شعراؤنا

ديوان
أبي القاسم الشابي
ورسائله

قدم له وشرحه

مجيد طراد

الناشر
دار الكتاب العربي

الطبعة الثانية

١٤١٥ هـ ١٩٩٤م

دار الكتاب العربي

الطابق الثامن ـ بناية بنك بيبلوس ـ فردان ـ تلفون: ٨٦١١٧٨ / ٨٠٠٨١١ / ٨٦٢٩٠٥
تلفاكس: ٤٧٨١٤٣١ (١٢١٢) تلكس: I.E ٤٠١٣٩ كتاب برقياً: الكتاب. ص.ب: ٥٧٦٩-١١ بيروت. لبنان

ديوان
أبي القاسم الشابي
ورسائله

إهداء

إلى أولادي
وإلى الطلاّب
من أبناء بلدتي برحليون
أهدي هذا الكتاب.



القِسمُ الأوَّل
ترجمته وشعره



ترجمته وشعره

١ ـ حياته:

ولد أبو القاسم الشّابّي نهار الأربعاء في الرابع والعشرين من شباط عام ١٩٠٩ م في بلدة «توزر» التّونسيّة. والده، الشيخ محمّد الشّابّي، كان رجلاً صالحاً، تولّى القضاء في أنحاء البلاد التّونسيّة خارج العاصمة لفترة امتدت بين عامي ١٩١٠، تاريخ تولّيه القضاء، وحتّى وفاته في العام ١٩٢٩. وكان من نتيجة ذلك أنّ الشّاعر لم ينشأ في مسقط رأسه، بل خرج منه في السّنة الأولى من عمره مع الأسرة، حين بدأ والده بالطّواف في البلدان التي كان يُعَيّن فيها للقضاء. وكان لهذا الطّواف الذي دام تسع عشرة سنة أثره على الشّاعر من جميع النّواحي. فقد تعرّض الطّفل النّاشىء، النّحيف الجسم، المديد القامة، السّريع الانفعال لجميع أنواع المناخ في البلاد التّونسيّة، من حرّ المدن الساحليّة إلى برد الجبال المرتفعة، كما تعرّض إلى الاحتكاك بمختلف العادات واللّهجات بين أهل الشّمال وأهل الجنوب، وبين تلك البيئات والمدن التي تنقّل بها الشّاعر، ما يقدّر بمئات الأميال أحياناً.

وإذا كان هذا التّرحال قد حرمه من الاستقرار في المدرسة الواحدة، فقد أكسبه خيالاً متوثّباً وغذّى ذاكرته بصور البيئة التّونسيّة المتنافرة وعمّق تجربته الشّعريّة، فأطلقه من حدود البيئة الضّيقّة، وأكسبه تجربة إنسانيّة شاملة.

وقد أخذ الوالد على نفسه مسؤوليّة تعليم ابنه في البيت حتّى بلغ الخامسة من

عمره، ثمّ أرسله الى الكتّاب في بلدة «قابس»، حين انتقل إليها في مطلع العام ١٩١٤. ولمّا بلغ الولد الثانية عشرة من عمره أرسله والده الى العاصمة حيث التحق بجامع الزّيتونة. والزّيتونة آنذاك في تونس، كالأزهر في مصر، أو النّجف في العراق. وقد استطاع الوالد أن يؤمّن لولده مسكناً متواضعاً في أحد بيوت الطّلبة، حيث يبيت طالب العلم بأجر زهيد، ولكنّ الشّاعر لم يكن راضياً على الإقامة في بيوت تلك المدارس التي لم تكن تسدّ سوى جزء يسير من حاجاته الضّروريّة، ذلك لأنّها كانت مقرّاً للفقر والمرض. أمّا في الجامعة نفسها، فإنّ الشّاعر لم يكن ميّالاً الى الدّروس التي كانت تلقى في «الزّيتونة» من علوم الأدب واللّغة والفقه والشّريعة، فالمنهاج لم يكن يتضمّن دراسة الآداب والعلوم العصريّة. كما أنّ شيوخ الزّيتونة لم يكونوا راضين عن تطرّف الشّاعر وشذوذه، ولا عن شعره.

وإذا كان جوّ الزّيتونة لم يَرُق للشّابّي فلم يمنعه ذلك من تكوين ثقافة واسعة عربيّة بحتة جمعت بين التّراث العربيّ القديم في أزهى حلله، وبين روائع الأدب الحديث في البلاد العربيّة وفي المهجر، إضافة إلى ترجمات الآداب الأوروبيّة التي كان المنفلوطي والعقّاد والصّاوي ينقلونها الى اللغة العربية وتُنشر في الصّحف التّونسيّة. وقد تركّزت رغبة الشّاعر، بصورة خاصّة، على الأدب العربي الذي نشأ في أميركا على أيدي المهاجرين العرب، وتأثّر به تأثّراً بالغاً.

وفي العام ١٩٢٧ تخرّج الشّابّي من الزّيتونة ونال إجازة «التّطويع» وهي شهادة نهاية الدّروس في الجامعة، لكنّه أدرك أنّ الشّهادة لا تؤمّن له كسب المعاش الذي يرضي طموحه ويوافق ميوله، وذلك لأنّ آراءه لم تكن تتّفق مع آراء شيوخ الزّيتونة. فقرّر، بعد مراجعة والده، أن ينتسب إلى كلّيّة الحقوق التّونسيّة في العام المدرسي التّالي. وخلال تلك الفترة تزوّج الشّابّي عام ١٩٢٨ قبل أن يتخرّج من كلّيّة الحقوق. وعن هذا الزّواج يحدّثنا زين الدّين العابدين السّنوسي أحد الذين تربطهم بالشّاعر علاقة وثيقة جدّاً، وكان يعرف عن الشّابّي أكثر ممّا كان أهل الشّاعر أنفسهم يعرفون عنه. يقول زين العابدين: «إنّ الشّابّي لم يكن حازماً أمره

على الزّواج، ولكنّ والده كان يحبّ أن يتّخذ ولدُه لنفسه عِرْقَ خلود وبقاء، والشّيخ أحرص ما يكون على بقاء جذوره. مع أنّ الشّاعر كان منكمش الفؤاد يتهيّب الزّواج بعقله المدرك»[1]. وجاء الشّابّي إلى صديقه ومعتمده في كثير من شؤونه يمشي على استحياء وقال له: «جئتك لاستشيرك... هل أتزوّج؟» قال السّنوسي: «وشعرت أنا بثقل مسؤولية تلك الاستشارة، فهو ينفض عن صدره تخوّفه على قلبه المريض ثمّ هو يميل إلى الزّواج إطاعة لأبيه. ومن وراء ذلك كنت أرى من حديثه بأنّ الزّواج من الميول البشريّة الخالدة. «ثمّ أنّ الشّابّي تزوّج» بالفعل وأرضى والدَه وضمن لوالدِه ما أحبّ والدُه من الخلود، ولكنّه في سبيل ذلك ضحّى نفسه وحدها؛ وقد أشرف أبوه على تنسيق هذا الزّواج وتعطيره ومباركته»[2].

وقد تضاربت الآراء في شأن نجاح هذا الزّواج، ففي حين يؤكّد السّنوسي أنّ الشّابّي كان في زواجه سعيداً موفّقاً، وأنّ زوجه كانت تعطيه كلّ ما وهبها الله، وتشفق عليه وتترضّاه، يرى آخرون أنّ هذا الزّواج كان فاشلاً.

ولكنّ الشّاعر، على الرّغم من أنّه قد أقنع نفسه بضرورة الزّواج إرضاء لأبيه، وعلى الرّغم من أنّه رزق من زواجه هذا ولدين، وعلى الرّغم ممّا يرويه السّنوسي عن نجاح زواجه، فإن سلوكه العاطفيّ، كما نرى من ديوانه، لا يدلّ على أنّه كان سعيداً في حياته الزوجيّة. ذلك أنّ المرأة الفاضلة التي تحدّث عنها السّنوسي، والتي قبلت أن تكون زوجاً لرجل عليلٍ، مصاب بمرض في قلبه، وتوليه تلك الرّعاية، وتُحيطه بتلك العناية الفائقة، لا بدّ وأن تكون زوجة فاضلة. غير أنّ الشّاعر لم يبادلها قطّ بما كان يلقى منها، ولم يذكر شيئاً من عطفها وحنانها في ديوانه، ولا خصّها ببيت واحد يدلّ على محبّته لها أو امتنانه لما كان يلقاه من حبّها وحسن معاملتها.

---

(١) أبو القاسم الشّابّي: حياته وأدبه، زين العابدين السّنوسي ص ٢٧.

(٢) المصدر نفسه. ص ٢٩.

إنّ زواج الشّابي لم يهبه الاطمئنان الذي كان يحلم به، فانقاد، بعد عام واحدٍ من زواجه، إلى الحبّ الذي لم يعثر عليه مع زوجته، فطلبه في حبّ فتاة خارج بيته، كان قد عشقها منذ عهد الطّفولة. ولكن الأقدار شاءت أن تموت الفتاة باكراً؛ فترك موتها في نفسه أسىً عميقاً تردّد في أشعار الفترة الأولى من حياته الشّعريّة. وظلّ الشّاعر يذكر هذا الحبّ لفترة طويلة سرعان ما حمل نفسه أخيراً على نسيانه، فأطاعه قلبه العليل، فانتقل إلى حبّ جديد ثمّ إلى آخر فآخر. على أنّ موضوع حبّ الشّابّي يحتاج إلى دراسة مستقلة لن نتوقّف عنده الآن، لأنّه يحتاج إلى عرض ومناقشة ليس مكانهما في هذه المقدّمة.

بالإضافة الى الصّدمة التي تلقّاها الشّاعر في زواجه وفي حبّه الأول، فقد تعرّض إلى كارثة كبرى تمثّلت بوفاة والده، ولم يكن الشّاعر قد نال بعد إجازة الحقوق. وشُغل الشّاعر الشّاب بعلاج والده والاهتمام به من النّاحية المادّيّة والنفسيّة. وحين أحسّ الشّاعر بقرب وفاة والده، انتقل به الى مسقط رأسه «توزر» حيث توفّي الشيخ الوالد في شهر أيلول من العام ١٩٢٩. وكانت وفاته خسارة كبرى هزّت أركان الشّاعر وبدّلت نظام حياته، بل كانت أكبر كارثة يتعرّض لها في حياته وتؤثّر على صحته وتصيب قلبه إصابة مباشرة. وبموت والده، ألقيت على أبي القاسم أعباء ماليّة كبيرة لم تمنعه من إتمام دراسته في كليّة الحقوق في تونس والتّخرّج عام ١٩٣٠ بإجازة الحقوق.

وفي ديوانه إشارات واضحة وصريحة الى تلك الكارثة التي ألمّت به، يظهر ذلك جليّاً في قصيدته «يا موت» التي رثى بها والده حيث تقول:

يا موتُ، قد مزّقتَ صدري وقصمت بالأرزاء ظهري
وفجعتني في مَنْ أحبُّ ومَنْ إليه أبثُّ سرّي
ورزأتني في عمدتي ومشورتي في كلّ أمرِ

ثمّ يعود في قصيدته «قيود الأحلام» فيكشف لنا عن الأعباء التي ينوء تحتها وتتمثّل بالقيام بأعباء العائلة التي تركها والده حين يقول:

لكنَّنـي لا أستطيـع فـإنّ لـي   أمّاً يَصـدُّ حنـانُهـا أوهـامـي
وصغـارَ أخـوانٍ يـرون سلامهـم   فـي الكـائنـات معلّقـاً بسلامـي
فقدوا الأبَ الحاني فكنتُ لضعفهمْ   كهفـاً يصـدُّ غـوائـلَ الأيّـامِ

لكن الشّاعر استطاع أن يتجاوز تلك المرحلة حيث تحسّنت حال المادّيّة وعاد إليه بعض التّحسّن الصّحّي، يدلّ على ذلك ما جاء في إحدى قصائده التي يقول فيها:

ما كنتُ أحسِبُ بعد موتك يـا أبـي   ومشـاعـري عميـاءُ بـالأحـزانِ
أنّـي سـأظمـأُ للحيـاة وأحتسـي   مـن نهـرهـا المتـوهّـج النّشـوانِ
وأعـود للـدّنيـا بقلـب خـافـق   للحـبّ والأفـراح والألحـانِ
فـإذا أنـا ما زلـتُ طفلاً مـولعـاً   بتعقّـب الأضـواء والألـوانِ

★ ★ ★

كان الشّابي على إثر تخرّجه من الزّيتونة، أو قبل ذلك بقليل، يعلم أنّه مريض في قلبه؛ لكنّ أعراض الدّاء لم تظهر عليه واضحة إلاّ سنة ١٩٢٩، وكان والده قد رغب إليه في أن يتزوّج. فلم يجد أبو القاسم بدّاً من أن يستشير طبيباً، ليوفّق بين رغبة والده وبين مقتضيات حالته الصحّيّة. وقد توجّه الشّابّي برفقة صديقه الصّحفي السّنوسي لاستشارة الدكتور محمّد الماطري، النّطاسي البارع في تونس، ولكن لم يكن قد مضى عليه يومذاك في ممارسة الطّبّ سوى عامين. وبسط الدكتور الماطري للشّابّي حالة مرضه، وحقيقة أمر ذلك المرض كما ذكر له أنّ هناك حالاتٍ كثيرةً سفّهت آراء كبار الأطبّاء في مرض القلب. غير أنّه حذّره على كلّ حال عواقب الإجهاد الفكري والجسدي. وبناء على رأي الدكتور الماطري وامتثالاً لرغبة والده عزم الشّابّي على الزّواج. ولكن يبدو أن حياته الزّوجيّة لم تبدأ فعلاً قبل عام ١٩٣٠.

لكنّ الشّابّي، يبدو أنّه كان يحمل بذور مرضه منذ طفولته، فقد ازدادت

حالته الصّحيّة تدهوراً بعد الزواج لأسباب متعددة: منها تطوّر المرض مع الزّمن، ثمّ ضعف بنية الشّاعر، والأحوال السّيّئة التي كانت تحيط به في حياته الطالبيّة، ووفاة والده وحبيبته الصّغيرة، وإهماله لنصائح الأطبّاء في الاعتدال في حياته الفكريّة والجسديّة.

وقد عالج الشّابي مجموعة من أطبّاء القلب ومنهم الطبيب الفرنسي الدكتور كالو، وكانوا ينصحونه بالإقامة في الأماكن المعتدلة المناخ. ثمّ بدأت النّوبات القلبيّة الحادّة تنتاب الشّاعر قبل أن يرزق ولده البكر في أواخر عام ١٩٣١. أمّا أخا الشّاعر محمد الأمين الشّابّي فإنّه يروي للسّنوسي خبر نوبة انتابت الشّاعر عام ١٩٣٠ حيث يقول: «كان يعتلج من ضائقة صدريّة من ذات القلب فزعت لها أمّه وزوجته (وأخوه) عندما كان أبو القاسم يخرز لهم بعينين لا ترجوان معونة من أحد، إلاّ من قلبه لو استعاد اتّزانه... نوبة دامت ساعتين يقلّب في أثنائهما وجهه ولا ينبس إلا بقطرات من العرق تتلألأ على وجهه بالجهد الذي تبذله الحياة لتحقيق وجودها. ونحن نشرئبّ لنغيثه بشيء يطلبه (ولا ندري ما هو)... ساعتين من هذا الفزع الجهيد تقريباً.... ثمّ هجعت النّوبة، إذ لان وجهه ورأينا عينيه تُطمئناننا عن فوزه بالرّاحة. وبالفعل هيؤ[1] وبدأ يسوّي ثيابه ورقبة قميصه. ثمّ تكلّم منشرحاً صوته انشراح من حطّ وزره ونزع الحمل الجهيد، وبادرْنا للاستجابة لأمره مغتبطين:

ـ أعطني ورقاً، والقلم من جيب فرملتي[2]. (وأعطيناه ما طلب). فأخذ يكتب حالاً. أذكرها الآن، فهي هذه القصيدة:

يا إله الوجود، هذي جراح في فؤادي تشكو إليك الدّواهي

---

(١) هيؤ: صار حسن الهيئة.

(٢) الفرملة: صدار يلبس على القسم الأعلى من الجسم.

ولم يحسن الشّابّي مداراة مرضه، بل استمرّ يرهق نفسه بما كان الأطباء قد نهوه عنه »[1].

وقضى الشّابّي صيف ١٩٣٢ مستشفياً وراح يتنقل بين المصايف والمنتجعات، ولكنّ ذلك لم يُجْدِهِ نفعاً. بل ساءت حالهُ في آخر عام ١٩٣٣ واشتدّت عليه الآلام فاضطرّ إلى ملازمة الفراش حتّى إذا مرّ الشّتاء وأقبل الرّبيع حرّم عليه أطبّاؤه الكتابة والمطالعة وطلبوا إليه أن ينتقل إلى « حامة توزر » طلباً للرّاحة وهي موضع فيه عين ماء حارّ تستشفى بها بعض العلل. وأخيراً أعيا الدّاء على التمريض المنزلي، فغادر الشّابّي إلى العاصمة حيث دخل مستشفى الطّليان في الثالث من تشرين الأول سنة ١٩٣٤ قبل وفاته فيها في التاسع منه عند الساعة الرابعة صباحاً من نهار الاثنين. ونقل جثمانه في أصيل ذلك اليوم إلى « توزر » ودفن فيها. وقد نال الشّابّي بعد وفاته عناية كبرى، وتألّفت عام ١٩٤٦ لجنة لإقامة ضريح له نقل رفاته إليه باحتفال مهيب في الثالث عشر من شهر أيّار سنة ١٩٤٦ حضره جمع غفير من رجال العلم والأدب والسياسة.

٢ ـ ديوانه:

في صيف ١٩٣٤ شرع الشّابي في جميع ديوانه الذي أسماه « أغاني الحياة »، لكنّ المنيّة باغتته وحالت دون تحقيق ما هدف إليه. ويبدو أنّ الشّاعر أشرف شخصيّاً على اختيار الأشعار التي رضي أن يحتويها ديوانه. وقد تولى أخوه محمّد الأمين الشّابي طبع الديوان بعد وفاة الشّاعر. وما يلفت النّظر أنّ الشّابي كان على شيء من النّضج جعله ينجز ديوانه في مدى ثماني سنوات أو عشر على الأكثر، وهو على صغر سنّه شاعر مُكثر، إذا قيس بأمثاله من الشعراء المعـاصـريـن، حتـى أولئك الذين هم أكبر منه سنّاً.

---

(١) أبو القاسم الشّابّي: زين العابدين السّنوسي ص ٣٠.

٣ ـ شعره:

في أحد مقالاته يصف الشّابّي الشّعر فيقول: «الشّعر ما تسمعه وتبصره في ضجّة الرّيح، وهدير البحار، وفي نسمة الورد الحائرة يدمدم فوقها النّحل، ويرفرف حولها الفراش، وفي النغمة المردّدة يرسلها الفضاء الفسيح...». ويبدو من هذا التّحديد، أنّه ينطبق على الشّعر الرومانطيقي حيث يعتمد الأديب على نفسيّته وحدها وعلى انفعالاته. وإذا شاءت الصّدَفُ أن يتأثر الأديب بما أو بمن حوله،فإنّه يضفي عليه ألواناً من ذاته تفقده كلّ موضوعيّة. ثم أنّ هذا التّحديد ينطبق على الأدب عامّة، كما ينطبق على كلّ أنواع الفنون، من الموسيقى الى الرّسم الى النحت...

والشّابي شاعر وجداني يندرج شعره في إطار المذهب الرومانطيقي حيث سعى الشّاعر الى تأكيد ذاته الشخصيّة في زمن كانت البيئة السّياسيّة والاجتماعيّة تحاول سلب حرّيّة الفرد وخصوصيّته، تلك الذّات الفرديّة التي حاول الاستعمار في بلدان الشّرق أن يكفّها عن المطالبة بحقوق بلدانها ورقيّ شعوبها.

أمّا شعر الشّابي فإنّه يرتكز في خصائصه اللفظيّة على ما أشاعته المدرسة الرمزيّة آنذاك، خاصة على كتابات جبران خليل جبران وغيره من كتّاب الغرب. قال زين العابدين السّنوسي في معرض كلامه عن شعر صديقه الشّابّي: «المكانة الأولى في الشعر (عنده) لمفعول رنّة الألفاظ وامتزاجها امتزاجاً موسيقياً غامضاً، هو منبع ما في الشّعر من جمال وتأثير عميق وصور جذّابة حتّى لتجد الصّورة المرئيّة تندمج مع اللّحن المسموع وتنضمّ إليه انضمام النّظير للنّظير». فالغاب والضّباب والرّاعي النافخ في نايه والثلج كلّها أمور لم يعرفها الشّابّي معرفة عميقة، ومع ذلك كانت أكثر الألفاظ دوراناً في شعره. وتتجلّى رمزيّة الشّاعر في مواقع متعدّدة من شعره نذكر منها على سبيل المثال:

ذلّ قلبي،

مات حِبّي![1]

فاذرفي، يا مقلةَ اللّيل، الدّراري عَبَراتْ

حول حبّي، فهْو قد ودّع آفاقَ الحياةْ

بعد أن ذاق اللّهيبْ.

واندبيهْ

واغسليهْ

بدموع الفجر من أكواب زهر الزّنبق.

٤ ـ أغراض شعره:

تدور أغراض شعره في الوجدانيّات وما يتبعها من تأمّل في الذّات والوجود، وقد أبدى منذ البدء عزوفه عن نظم الشّعر التّقليدي وكان له موقف لا يبتعد كثراً عن موقف أدباء المهجر، ونفر من أدباء المشرق الذي سعوا الى سبيل الحياة الغربيّة والتنفير من الحياة الشّرقية والى نفي كلّ عبقريّة خلاّقة في التراث العربي. وقد أعلن مراراً أنّ شعره هو تعبير عن شعوره:

شعري نُفَاثَةُ صدري إنْ جاش فيه شعوري

وكان وفيّاً بوعده إذ اقتصرت أغراضه في الديوان على التأمّل في الوجود ووصف الغابة، والزنبقة، والطّيور، والخريف، والمساء، والكآبة، والطفولة، والله، والموت، والأمومة، والغزل والحبّ.

أما معانيه فإنّها تتدفّق حتّى تفيض أحياناً عن اللّفظ، ذلك أنّ الشّاعر، لمّا اكتفى بعدد معين من الموضوعات الوجدانيّة، كان عليه أنْ يكرّرها مراراً، ممّا أوقعه في الترديد المملّ الذي جعل القاريء يخلط بين قصائد الديوان، فحين

(١) الحِبّ: (بكسر الحاء) الحبيب.

يتكلّم الشّابّي عن شعره يخاطبه قائلاً:

فيك ما في عوالمي من ظلامٍ   سرمديٍّ، ومن صباح وليدِ
فيك ما في عوالمي من نجومٍ   ضاحكاتٍ خلف الغمام الشّرودِ
فيك ما في طفولتي من سلامٍ   وابتسامٍ وغبطةٍ وسعودِ

أمّا النّاحية الوطنيّة في شعر الشّابّي فقد أولاها الدّارسون عناية خاصة، في حين أنّ هذه الناحية لم تشغل الشّاعر إلاّ بطريقة ثانويّة جداً. وإذا كان الشّاعر قد افتتح ديوانه ببيتين جعل عنوانهما: «من وراء الظّلام» هما:

ضيّع الدّهر مجد شعبي، ولكنْ   سترُدّ الحياةُ يوماً وشاحهْ
إنّ ذا عصرُ ظلمةٍ، غير أنّي   من وراء الظّلام شِمْتُ صباحهْ

وإذا كانت قصيدته «إرادة الحياة» هي التي يسّرت له شهرة في الشّرق، يحسده عليها الشّعراء، فإنّ هذه الشّهرة تعود إلى البيتين الأوّلين من القصيدة وهما:

إذا الشّعب يوماً أراد الحياة   فلا بدّ أن يستجيب القدرْ،
ولا بدّ للّيل أن ينجلي   ولا بدّ للقيد أن ينكسرْ!

ثم يأتي بعد هذين البيتين عشرة أبيات متفرّقة تتبع هذا النّمط في وصف النّضال السّياسي وفي الدّعوة الرّمزيّة إلى الطّموح والتّحرّر.

على أنّ سائر أبيات القصيدة تختلف كثيراً عن هذا النّمط وتغوص في رمزيّة لا تتّفق مع أي مضمون سياسي أو نضالي مثل:

تسائل: أين ضبابُ الصَّباحِ   وسِحرُ المساءِ وضوءُ القمرْ،
وأسرابُ ذاك الفراشِ الجميلِ   ونحلٌ يغنّي وغيمٌ يمرْ؟

٥ ـ المرأة في شعره:

كانت المرأة نعيم الشّابي وجحيمه فغنى لها في كلّ مراحل حياته. وإذا كنا

قد ذكرنا شيئاً عن زواجه في تلك المقدّمة، فسندرس في ما يلي حبّه خارج إطار العلاقة الزوجيّة. فقد انقسم النّاس حول حبّ الشّابّي قسمين: أحدهما يرى أنّ الشّاعر يصف في غزله نساء من عالم الواقع، دعاه إلى وصفهنّ ميله إليهن في وقت كانت فيه نفسه منصرفة الى الحياة، وكان يتمتّع بصحّة ونشاط، أو كان في هدنة مع مرضه. أمّا الفريق الآخر، فيرى أنّ الشّابّي خلق لنفسه مثالاً للمرأة وراح يتحدّث إليه، ملقياً عليه من خياله الشّيء الكثير.

وحول هذا الموضوع لا بدّ من العودة إلى كتاب زين العابدين السّنوسي حيث يقول إنّ الشّابيّ أحبّ رفيقة طفولته، وتغنّى بحبّها حبّاً عذرياً خالصاً. ثمّ ماتت تلك الحبيبة وهما في سنّ المراهقة، ماتت وتركته يندب الحبّ ويرثيها، إذ بقيت في نفسه حاضرة. وقد جاء هذا الشّعر عذرياً، عند الشّابّي، في مستهلّ صباه، وذلك قبل أن يبلغ العشرين من عمره، كما جاء ضعيف الأسلوب بالمقارنة مع شعره الذي جاء فيما بعد. وكان يسيطر على هذا الشّعر لون من الحزن والكآبة، والحنين:

مات من تهوى! وهذا اللّحد قد ضمّ الحبيبْ،
فابكِ، يا قلبُ، بما فيكَ من الحزنِ المذيبْ.

أمّا في الطّور الثّاني فقد أحبّ الشّاعر حبّاً صريحاً مادّياً، وأحبّ نساءً بعينهنّ. ذلك أنّ الشّاعر نضج باكراً وانتقل في بيئة مغلقة إلى بيئة منفتحة، بعيدة كلّ البعد عن الرّقابة، ومليئة بالمغريات. فساهم ذلك في إذكاء الجانب الغريزيّ في نفسه. فقصيدته: «صلوات في هيكل الحبّ» لا يمكن إلاّ أن تكون في فتاة بعينها حيث يقول فيه:

كلّما أبْصَرَتْكِ عينايَ، تمشيـ ـنَ بخطوٍ موقّع كالنّشيدِ
خفقَ القلبُ للحياة ورفّ الزّ هْرُ في حقلِ عُمريَ المجرودِ
كلُّ شيءٍ موقّعٌ فيكِ حتّى لفْتَةُ الجَيدِ واهتزازُ النّهودِ
خطواتٌ سكرانةٌ بالأناشيـ ـدِ، وصوتٌ كرجعِ نايٍ بعيدِ

أمّا قصيدة «السّاحرة» فهي بدورها وصف للقاء جرى بينه وبين امرأة، وتشكّل هذه القصيدة قصّة متكاملة لما تحتوي عليه من السّرد والوصف والحوار حيث نجد فيها الأبيات التّالية:

راعها منه صوتُه ووجومُهْ ... وشجاها شحوبُهُ وسهومُهْ[1]
فأمّرت كفاً على شعره العا ... ري برفقٍ كأنّها ستنيمهْ
وأطلّت بوجهها الباسم الحلـ ... ـوِ على خدّه وقالت تلومهْ:
خلِّ عبء الحياة عنكَ، وهيّا ... بمحيّا كالصّبحِ طلْقٍ أديمُهْ
واحتضِنّي فإنّني لكَ حتّى ... يتوارى هذا الدّجى ونجومهْ
واقطفِ الورد من خدودي وجيدي ... ونهودي، وافعل به ما ترومُهْ...
والتقت عندها الشّفاه، وغنّت ... قُبَلٌ أجفلتْ لديها همومُهْ

أمّا، في قصيدته، «تحت الغصون»، فيصف الشّاعر خلوة كانت في منتهى الصّراحة، والنّزوع العاطفي، وجاءت وصفاً لمغامرة واقعية تعبّر عن رغبة مكبوتة عند الشّاعر، وسنورد بعض أبياتها للوقوف على التطوّر الشّعري عنده، وليس لتتبّع علاقاته العاطفيّة، وفيها يقول:

هاهنا في خمائل الغاب تحت الزّ ... ان والسّنديان والزّيتونِ
ما أرقّ الشّبابَ في جسمكِ الغضْـ ... ـضِ وفي جيدك البديع الثمّينِ
قُبَلاً علّمت فؤادي الأغاني ... وأنارت له ظلام السّنينِ
أي خمرٍ رشفتَ، بل أيّ نارٍ ... في شفاهٍ بديعة التّكوينِ
وسكرنا هناك في عالم الأحـ ... ـلام، تحت السّماء، تحت الغصونِ
ونسينا الحياة والموت والكو ... نَ وما فيه من منىً ومنونِ

إنّ الغزل في هذه الأبيات حسّيّ مادّيّ، وإذا تركنا المعاني والصّور - وبعضها يمكن أن نحمله على المجاز - فلا بدّ من التأكيد، في هذه القصيدة وفي غيرها،

---

(١) السّهوم: العبوس.

بأنّ تعابيره لا يمكن أن تؤخذ إلاّ على سبيل العلاقة المادّيّة مثل: ورأينا النّهود تهتزّ... وابعثي في دمي الحرارة... واحتضنّي... قبّليني... آه ما أعذب الغرام... خضمّ يموج بالإثم...

على أنّنا نبادر إلى التأكيد على أنّ غزله لا يمكن أن يُقارن بالغزل الرّوحي الذي رأيناه عند الصوفيّين أمثال ابن الفارض، وابن عربي وغيرهما، لأن تعابير الصوفيّة لا تنكشف انكشاف ألفاظ الشّابّي، بل تشكّل مع غيرها من القصائد وحدة منسجمة متكاملة لا يمكن تجزئتها.

٦ ـ الطّبيعة في شعره:

يبقى أن نشير إلى أنّ للطّبيعة عند الشّابي حيّزاً بارزاً في ديوانه، غير أنّنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ وصف الطبيعة لم يكن مقصوداً لذاته، بل أراد الشاعر من خلاله أن يربط بينه وبين أحواله النّفسيّة. ومن أبرز العوامل التي جعلت الشّابي يتعلّق بالطبيعة، تنقّله منذ نشأته الأولى مع أسرته في أماكن متعدّدة ذات مظاهر طبيعيّة مختلفة، ثمّ تنقّله في أثناء مرضه الأخير بين المنتجعات الصّحيّة، طلباً للصّيف البارد والشّتاء الحارّ، أضف إلى ذلك اتّجاهه إلى الشّعر الرّومانطيقي وانصرافه عن فنون الشّعر التقليديّة. وقد تجلّى حبّه للطّبيعة في قصيدته المشهورة «أغاني الرّعاة» التي نظمها في منطقة ريفيّة جبليّة جميلة، والتي مطلعها:

أقبل الصّبح يغنّي للحياة النّاعسهْ
والرّبى تحلم في ظلّ الغصون المائسهْ

ثم تظلّ فكرة الطّبيعة مسيطرة عليه حتّى بعد أنّ دخل في آخر سنوات عمره، ويستبدّ به حبّ الطّبيعة وحبّ العيش في الجبال والغابات، منفرداً بعيداً عن النّاس، وعن هموم شعبه الذي حمل قضيّته في مطلع شبابه، مستغنياً عن الكفاح وعن الرسالة التي نذر نفسه لها. وهو لا يكتفي بأن ينشد هذه الحياة لنفسه فقط، بسبب مرضه، بل راح يدعو الآخرين إلى هذه الحياة طالباً منهم أن يفعلوا فعله:

ليت لي أن أعيش في هذه الدّنـ	ـيا سعيداً بوحدتي وانفرادي
أصرف العمر في الجبال وفي الغا	باتِ بين الصّنوبر الميّادِ
أرقب الموت والحياة، وأصغي	لحديث الآزال والآبادِ
لا أُعنّي نفسي بأحزان شعبي	فهْو حيٌّ يعيش عَيش الجمادِ
هذه عيشة تقدّسها نفـ	ـسي وأدعو لمجدها وأنادي!

ويبقى أنّ نشير إلى أنّ عبقريّة الشّابّي إنّما هي في شعره الوجدانيّ الذي يجري على السّليقة وأنّ عنصر التعبير عنده أهمّ من عنصر التفكير.

برحليون في ١٩٩٢/١٢/١٨

القسم الثاني

ديوانه (★)

(★) لقد رتّبت قصائد الديوان بحسب القوافي، فقد أخذت في الاعتبار قافية البيت الأوّل منها، لكنني أثبتُّ في قافية الهاء كلّ القصائد التي ينتهي بيتها الأوّل بالهاء سواءٌ كانت فيه رويًّا أم غير رويّ.



أبو القاسم الشابي

إرادة الحياة

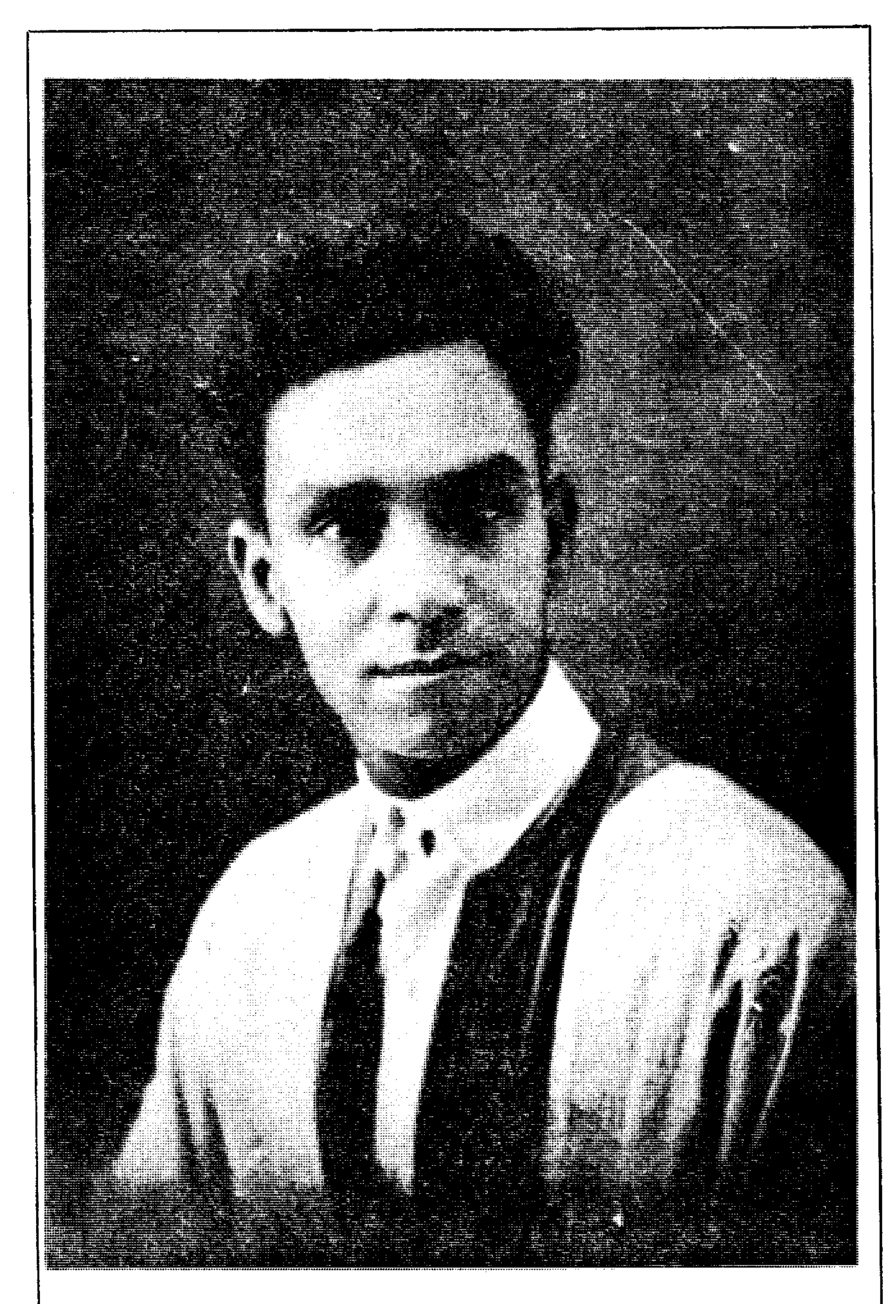
إذا الشعب يوماً أراد الحياة — فلا بدّ أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي — ولا بدّ للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة — تبخّر في جوّها، واندثر
فويل لمن لم تشقه الحياة — من صفعة العدم المنتصر
كذلك قالت لي الكائنات — وحدثني روحها المستتر

•

ودمدمت الريح بين الفجاج، — وفوق الجبال، وتحت الشجر:
«إذا ما طمحت إلى غاية — ركبت المنى، ونسيت الحذر،
ولم أتجنّب وعور الشعاب — ولا كبّة اللهب المستعر»
«ومن لا يحبّ صعود الجبال — يعش أبد الدهر بين الحفر»
فعجّت بقلبي دماء الشباب — وضجّت بصدري رياح أخر.
وأطرقت، أصغي لقصف الرعود،
وعزف الرياح، ووقع المطر

نموذج من خط الشابيّ.





صورة الشابي عام 1930

قافية الهمزة

نشيد الجبّار

أو هكذا غنّى بْرُومِيثْيُوس

– 1 – [من الكامل]

سَـأَعيشُ رَغْـمَ الدَّاءِ والأَعْـداءِ كـالنِّسْـر فـوقَ القِمَّـةِ الشَّمَّـاءِ[1]

أرنو إلى الشَّمْسِ المضيئةِ.. ، هازئـاً بـالسُّحْـبِ، والأمطـارِ، والأَنـواءِ[2]

لا أرمقُ الظِّـلَّ الكئيـبَ.. ، ولا أرى مـا فـي قـرارِ الهُـوَّةِ السَّـوداءِ[3]

وأسيرُ في دُنيا المشـاعـرِ، حـالمـاً، غـرِداً - وتلـكَ سعـادةُ الشُعَـراءِ

أُصغِي لمـوسيقـى الحيـاةِ، وَوَحْيِهـا وأذيـبُ رُوحَ الكـون فـي إنشـائـي

وأُصِيـخُ للصّـوتِ الإِلٰهـيِّ، الَّذي يُحيي بقلبـي مَيِّـتَ الأصْـداءِ[4]

وأقـولُ للقَـدَرِ الَّذي لا ينثنـي عَـنْ حَـرْبِ آمـالـي بِكُـلِّ بَلاءِ[5]

« لا يُطْفِئُ اللَّهبَ المؤجّجَ في دمـي موجُ الأسى، وعواصـفُ الأرزاءِ »[6]

« فاهدمْ فؤادي ما استطعـتَ، فـإنَّـهُ سيكـون مثـلَ الصَّخْـرة الصَّمَّـاءِ »

---

(١) الشمّاء: الشّامخة، العالية.

(٢) الأنواء: الأمطار.

(٣) رمق: نظر نظراً خفيفاً. قرار: قعر. الهوّة: الحفرة العميقة.

(٤) أصيخ: أستمع.

(٥) ينثني: ينصرف، يكفّ.

(٦) الأرزاء: المصائب.

« لا يعرفُ الشّكْوى الذليلَة والبكا ، وضراعَة الأطفالِ والضّعفاءِ »[٧]
« ويعيشُ جبّارا ، يحدّق دائماً بالفجر... بالفجرِ الجميلِ ، النّائي »
« إملأْ طريقي بالمخاوفِ ، والدُّجى ، وزوابع الأشواكِ ، والحصباءِ »[٨]
« وانشرْ عليه الرُّعب ، وانشرْ فوقه رُجُمَ الرّدى ، وصواعِقَ البأساءِ »[٩]
« سأظلُّ أمشي رغْمَ ذلك ، عازفاً قيثارتي ، مترنِّما بغنائي »
« أمشي بروحٍ حالمٍ ، متوهِّجٍ في ظُلمةِ الآلامِ والأدواءِ »
« النُّور في قلبي وبينَ جوانحي فعَلامَ أخشى السَّيرَ في الظلماءِ »!
« إنّي أنا النّايُ الذي لا تنتهي أنغامُهُ ، ما دامَ في الأحياءِ »
« وأنا الخِضَمُّ الرحْبُ ، ليس تزيدُهُ إلا حياةً سَطْوةُ الأنواءِ »
« أمَّا إذا خمدت حياتي ، وانقضى عُمُري ، وأخرسَتِ المنيَّةُ نائي »[١٠]
« وخبا لهيبُ الكون في قلبي الذي قد عاشَ مِثْلَ الشُّعْلةِ الحمراءِ »[١١]
« فأنا السَّعيد بأنّني متحوِّلٌ عَنْ عَالمِ الآثام ، والبغضاءِ »[١٢]
« لأذوبَ في فجر الجمالِ السرمديِّ وأرتوي من مَنْهَلِ الأضواءِ »
وأقولُ للجَمْعِ الّذين تجشّموا هَدْمي وودُّوا لو يخرُّ بنائي[١٣]
ورأوْا على الأشواك ظلّيَ هامِداً فتخيَّلُوا أنّي قضيْتُ ذَمائي[١٤]
وغدوْا يَشُبُّون اللّهيبَ بكلِّ ما وجدوا... ليشوُوا فوقَهُ أشلائي[١٥]
ومضَوْا يَمُدُّونَ الخُوَانَ ، ليأكلوا لحمي ، ويرتشفوا عليه دِمَائي[١٦]

(٧) ضراعة : خضوع.
(٨) الحصباء : الحجارة الصغيرة.
(٩) الرُّجُم : الشُّهب تظهر في السّماء . البأساء : الفقر والمشقّة.
(١٠) نائي : ربما كانت ما ينوء به الشّاعر من مصاعب الحياة.
(١١) خبا : خمد وهدأ.
(١٢) الآثام : الخطايا والذّنوب.
(١٣) تجشّم : تكلّف على مشقّة.
(١٤) الذّماء : بقيّة الرّوح.
(١٥) شبّ : أوقد النّار . الأشلاء : القِطع من اللّحم.
(١٦) الخوان : طبق الطّعام . ارتشف : امتصّ بشفتيه.

إنّي أقول - لَهُمْ - ووجهي مُشْرِقٌ وعلى شفاهي بَسْمَةُ استهزاءِ
« إنَّ المعاوِلَ لا تَهُدُّ مناكبي والنَّارَ لا تأتي على أعضائي »[17]
« فارموا إلى النَّار الحشائشَ.. ، والعبوا يا مَعْشَرَ الأطفال تحتَ سَمائي »
« وإذا تمرّدتِ العَواصفُ، وانتشى بالهول قَلْبُ القبّةِ الزَّرقاءِ »[18]
« ورأيتموني طائراً، مترنِّماً فوقَ الزَّوابعِ ، في الفَضاءِ النّائي »[19]
« فارموا على ظلّي الحجارةَ، واختفوا خَوْفَ الرِّياحِ الْهوجِ والأنواءِ.. »
« وهناكَ، في أمنِ البيوتِ، تطارحوا غَثَّ الحديثِ، وميِّتَ الآراءِ »[20]
« وترنَّموا - ما شئتمُ - بِشَتَائمي وتجاهَرُوا - ما شئتمُ - بِعِدائي »
« أمّا أنا فأُجيبكُمْ مِنْ فوقكمْ والشَّمسُ والشَّفقُ الجميل إزائي: »
« مَنْ جَاشَ بالوحي المقدّسِ قلبُه لم يحتفل بِحِجَارةِ الفلتاءِ »[21]

أيّها الحبُّ

— 2 — [من الخفيف]

أيُّها الحُبُّ أنْتَ سِرُّ بَلائِي وَهُمُومِي، وَرَوْعَتِي، وَعَنَائي
وَنُحُولِي، وَأَدْمُعِي، وَعَذَابي وَسُقَامي، وَلَوْعَتِي، وَشَقَائي[1]

★ ★ ★

أيُّها الحُبُّ! أنْتَ سِرُّ وُجُودي وَحَيَاتي، وَعِزَّتي وَإِبَائي

---

(١٧) المناكب: الأكتاف.
(١٨) انتشى: بدأ يسكر. الهول: الأمر الشّديد. القبّة الزّرقاء: كناية عن السّماء.
(١٩) النّائي: البعيد.
(٢٠) تطارحوا: تبادلوا. الغث: الرّديء الفاسد.
(٢١) جاش: هاج وتدفّق.
(١) النّحول: الضّعف، وكان الشّاعر نحيل الجسم.

وَشُعَاعِي مَا بَيْنَ دَيْجُورِ دَهْري ... وَأَلِيفي، وَقُرَّتي، وَرَجَائي[2]
يَا سُلافَ الفُؤَادِ! يا سُمَّ نَفْسي ... في حَيَاتي يَا شِدَّتي! يَا رَخَائي![3]
أَلَهِيبٌ يَثُورُ فِي رَوْضَةِ النَّفْسِ ... فَيَطْغَى، أَمْ أَنْتَ نُورُ السَّمَاءِ؟

★ ★ ★

أَيُّها الحُبُّ قَدْ جَرَعْتُ بِكَ الحُزْ ... نَ كُؤُوساً، وَمَا اقْتَنَصْتُ ابْتِغَائي[4]
فَبِحَقِّ الجَمَال، يَا أَيُّهَا الحُـ ... بُّ حَنَانَيْكَ بي! وَهَوِّن بَلائي[5]
لَيْتَ شِعْرِي! يَا أَيُّها الحُبُّ، قُلْ لي: ... مِنْ ظَلَامٍ خُلِقْتَ، أَمْ مِنْ ضِيَاءِ؟

---

(٢) ديجور: ظلام. القرّة: ما يُسرّ به الإنسان ويطمئنّ.
(٣) السّلاف من الشّيء: خالصه.
(٤) اقتنصت ابتغائي: نلت غايتي.
(٥) حنانيك: تحنّن عليّ وترأّف بي.

قافية الباء

يا شِعر

– 3 –　　　　[من الكامل]

يَـــا شِعْـــرُ أنْـــتَ فَـــمُ الشُّعُـــورِ، وَصَـــرْخَـــةُ الرُّوحِ الكَئِيـــبْ
يَـا شِعْرُ أنْـتَ صَـدَى نَحيـبِ القَلْـــبِ، والصَّـــبِّ الغَـــرِيـــبْ[١]

★ ★ ★

يَـــا شِعْـــرُ أنْـــتَ مَـــدَامِـــعٌ عَلِقَـــتْ بِـــأَهْـــدَابِ الحَيَـــاةْ
يَـــا شِعْـــرُ أنـــتَ دَمٌ، تَفَجَّـــرَ مِـــنْ كُلُـــومِ الكَـــائِنَـــاتْ[٢]

★ ★ ★

يَـــا شِعْـــرُ! قَلْبِـــي - مِثْلمـــا تـــدري - شَقِـــيٌّ، مُظْلَـــمُ
فِيـــهِ الجِـــراحُ، النُّجْـــلُ، يَقْطُـــرُ مِـــن مَغَـــاوِرِهَـــا الدَّمُ[٣]

★ ★ ★

جَمَـــدَتْ عَلَـــى شَفَتَيـــهِ أَرْزَاءُ الحَيَـــاةِ العَـــابِسَـــهْ[٤]

---

(١) الصّبّ: العاشق.
(٢) كلوم: جراح.
(٣) النّجل: الواسعة، العميقة.
(٤) أرزاء: مصائب. والهاء في شفتيه تعود إلى « القلب ».

فَهُـوَ التَّعِيسُ، يُـذِيبُـهُ نَـوْحُ القُلُـوبِ البَـائِسَـهْ

★ ★ ★

أبـداً يَنـوحُ بِحُـرْقَـةٍ، بَيْـنَ الأَمَـانـي الهَـاوِيـهْ
كـالبُلْبُـلِ الغِـرِّيـدِ مَـا بيـنَ الزُّهـورِ الذَّاوِيـهْ[5]

★ ★ ★

كـمْ قَـدْ نَصَحْـتُ لَـهُ بـأنْ يَسْلُـو، وَكَـمْ عَـزَّيْتُـهُ
فَـأبـى، وَمَـا أصغَـى إلـى قَـوْلِـي، فَمَـا أجْـديتُـهُ[6]

★ ★ ★

كَـمْ قُلْـتُ: «صبـراً يَـا فُـؤَادُ! ألا تَكُـفُّ عَـنِ النَّحِيـبْ؟»
«فَـإذا تَجَلَّـدَتِ الحَيَـاةُ تَبَـدَّدَتْ شُعَـلُ اللَّهِيـبْ»[7]

★ ★ ★

«يَـا قَلْـبُ»! «لا تجـزعْ أمَـامَ تَصَلُّـبِ الدَّهْـرِ الهَصُـورْ»[8]
«فـإذا صَـرَخْـتَ تـوجُّعـاً هَـزِأَتْ بِصَـرخَتِـكَ الدُّهُـورْ»

★ ★ ★

«يَـا قَلْـبُ! لا تَسْخُـطْ عَلـى الأيّـامِ، فـالـزَّهْـرُ البَـديـعْ»
«يُصْغِـي لضَجَّـاتِ العَـوَاصِـفِ قَبْـلَ أنْغَـامِ الرَّبيـعْ»

★ ★ ★

«يـا قَلْـبُ! لا تَقْنَـعْ بِشَـوْكِ اليَـأْسِ مِـنْ بَيـنِ الزُّهُـورْ»

---

(٥) الذّاوية: الذّابلة.
(٦) أجديته: نفعته. يميّز الشّاعر بين صوت عقله وقلبه.
(٧) تجلّدت: صبرت.
(٨) الهصور: الذي ينتصر على فريسته.

« فَــوَراءَ أَوْجَــاعِ الحَيَــاةِ عُـــذُوبـــةُ الأَمَـــلِ الجَسُـــور »[9]

★ ★ ★

« يــا قَلْــبُ! لا تَسْكُــبْ دُمُــوعَــكَ بِـــالفَضَـــاءِ فَتَنْـــدَمِ »
« فَعَلَـــى ابتســـامـــاتِ الفَضَـــاءِ قَسَـــاوةُ المُتَهَكِّـــمِ »

★ ★ ★

لكِـــنَّ قَلْبِـــي وَهْـــوَ ـ مُخْضَـــلُّ الجـــوانـــبِ بـــالـــدُّمُـــوعْ[10]
جَـاشَـتْ بِــهِ الأَحْــزَانُ، إذْ طَفَحَـــتْ بِهـــا تِلْـــكَ الصُّـــدُوعْ[11]

★ ★ ★

يَبْكِـــي عَلَـــى الحُلْـــمِ البَعِيـــدِ بِلَـــوْعَـــةٍ، لا تَنْجَلِـــي
غَـــرِداً، كَصَـــدّاحِ الهَـــوَاتِـــفِ فـــي الفَلا، وَيَقُـــول لـــي:[12]

★ ★ ★

« طَهِّـــرْ كُلُـــومَـــكَ بـــالـــدُّمُـــوع، وَخَلِّهَـــا، وَسَبِيلَهَـــا »[13]
« إنَّ المَـــدَامِـــعَ لا تَضِيـــعُ حَقِيـــرَهَـــا وَجَلِيلَهَـــا »

★ ★ ★

« فَمِـنَ المَـدَامِـعِ مـــا تَـــدَفَّـــعَ جَـــارِفـــاً حَسَـــكَ الحَيَـــاةْ »[14]
« يـــرْمِـــي لِهَـــاوِيَـــةِ الوُجُـــودِ بِكُـــلِّ مـــا يبنـــي الطُّغـــاةْ »

★ ★ ★

---

(٩) الجسور: الشجّاع. ما زال في نفس الشّاعر بقيّة من الأمل ومن الإيمان.
(١٠) مخضلّ: نديّ، مبتلّ.
(١١) جاش: هاجَ. الصّدوع: الشّقوق.
(١٢) الهواتف: الأصوات تسمع دون أن يُرى صاحبها. الفلا: الفلاة، الصحراء الواسعة.
(١٣) الكلوم: الجروح. دموع الشّاعر هي دواء لأوجاعه.
(١٤) الحسك: العداوة والحقد.

«وَمِـنَ المَـدَامِـعِ مَـا تـألَّـقَ فِـي الغَيَـاهِـبِ كـالنُّجُـومْ»[15]
«وَمِـنَ المَـدَامِـعَ مَـا أراحَ النَّفْسَ مِـنْ عـبءِ الهُمُـومْ»

★ ★ ★

فـارْحَـمْ تَعَـاسَتَـهُ، ونُـحْ مَعَـهُ عَلَـى أحْلامِـهِ
فَلَقَـدْ قَضَـى الحُلْـمُ البَـدِيـعُ عَلَـى لَظَـى آلامِـهِ

★ ★ ★

يـا شِعْـرُ! يـا وحْـيَ الوُجُـودِ الحيِّ، يـا لُغَـةَ المَلاَيِـكْ
غَـرِّدْ، فـأيَّـامِـي أنـا تبْكِـي عَلَـى إيقَـاعِ نـايِـكْ

★ ★ ★

رَدِّدْ عَلَـى سَمْـعِ الدُّجَـى أنَّـاتِ قَلْبِـي الوَاهِيَـهْ[16]
واسْكُـبْ بِـأجْفَـانِ الزُّهُـورِ دُمُـوعَ قلبـي الدَّاميـهْ

★ ★ ★

فَلَعَـلَّ قَلْـبَ اللَّيـلِ أرْحَـمُ بِـالقُلُـوبِ البَـاكِيَـةْ
وَلَعَـلَّ جَفْـنَ الزَهْـرِ أحْفَـظُ لِلـدُّمُـوعِ الجَـارِيَـةْ

★ ★ ★

كَـمْ حَـرَّكَـتْ كَـفُّ الأَسَـى أوْتَـارَ ذَيَّـاكَ الحَنِيـنْ
فَتَهَـامَلَـتْ أحْـزَانُ قلبـي فِـي أغَـارِيـدِ الأَنِيـنْ[17]

★ ★ ★

---

(١٥) الغياهب: الظلّمات.
(١٦) الدّجى: الظّلام. الواهية: الضّعيفة.
(١٧) تهاملت: تُركتْ وأُهملتْ. لم يبقَ إلاّ الطّبيعة يمكنه أن يبثّها شكواه، أو اللّيل يمكن أنْ يرحم قلبه المعذّب.

فَلَكَـــمْ أرَقْــتُ مَــدَامِعــي، حتَّـــى تَقَــرَّحَــتِ الجُفُــونْ
ثــمَّ التَفَـــتُّ، فَلَـــمْ أجِــدْ قَلْبـــاً يُقَـــاسِمُنـــي الشُّجُـــونْ

★ ★ ★

فَعَسَـــى يَكُـــونُ اللَّيْـــلُ أَرْحَـــمَ، فَهْـــوَ مِثْلِـــي ينـــدُبُ
وَعَسَـــى يَصُـــونُ الزَّهْـــرُ دَمْعِـــي، فَهْـــوَ مثلـــي يَسكُـــبُ

★ ★ ★

قَـدْ قَنَّعَــتْ كَــفُّ المَسَــاءِ المــوتَ بــالصَّمْـتِ الرَّهيــبْ،[18]
فَغَــدا كــأَعْمَــاقِ الكُهُــوفِ، بِلا ضَجيـــجٍ أو وَجِيـــبْ[19]

★ ★ ★

يَــأتــي بِـــأَجْنِحَـــةِ السُّكُـــون، كــأَنَّـــهُ اللَّيْـــلُ البَهيـــمْ
لكِـــنَّ طَيْـــفَ المـــوتِ قَـــاسٍ، والدُّجـــى طَيـــفٌ رَحِيـــمْ

★ ★ ★

مَـــا لِلمَنِيَّـــةِ لا تَـــرِقُّ علـــى الحَيَـــاةِ النَّـــائِحَـــهْ؟
سِيَّـــانِ أفئـــدةٌ، تَئِـــنُّ، أوِ القُلُـــوبُ الصَّـــادِحَـــهْ[20]

★ ★ ★

يَـــا شِعْـــرُ! هَـــلْ خُلِـــقَ المَنُـــونُ بلا شعـــورٍ كـــالجَمَـــادْ؟[21]
لا رَعْشَـــةٌ تَعْـــرُو يـــديْـــهِ إذَا تملَّقَـــهُ الفُـــؤَادْ؟[22]

★ ★ ★

(١٨) قنّعت: ألبست القِناع.
(١٩) الوجيب: الارتجاف والخفقان.
(٢٠) سيّان: متساويان. صدح: رفع صوته بالغناء.
(٢١) المنون: الموت. يبلغ ذروة اليأس في هذه الأبيات.
(٢٢) تعرو: تُصيب.

أرأيْـــتَ أزْهَـــارَ الرَّبيـــعِ ، وقَـــدْ ذَوَتْ أوراقُهَـــا[٢٣]
فَهَـــرَتْ إلى صَـــدْرِ التُّـــرابِ، وقَـــدْ قَضَـــتْ أشْـــواقُهَـــا؟[٢٤]

★ ★ ★

أرأيـــتَ شُحْـــرورَ الفَلا ، مُتَـــرَنِّمـــا بَيْـــنَ الغُصُـــونْ
جَمَـــدَ النَّشِيـــدُ بِصَـــدْرِه، لمّـــا رأى طَيْـــفَ المَنُـــونْ؟

★ ★ ★

فَقَضَـــى ، وقَـــدْ غَـــاضَـــتْ أغَـــاريـــدُ الحَيَـــاةِ الطَّـــاهِـــرَةْ[٢٥]
وهَـــوى مِـــنَ الأغْصَـــانِ ، مَـــا بَيْـــنَ الزُّهُـــورِ البَـــاسِـــرَةْ؟[٢٦]

★ ★ ★

أرأيـــتَ أُمّ الطِّفْـــلِ تَبْكِـــي ذَلِـــكَ الطِّفْـــلَ الوَحِيـــدْ
لمّـــا تَنَـــاوَلَـــهُ، بِعُنْـــفٍ، ســـاعِـــدُ المَـــوتِ الشَّـــدِيـــدْ؟

★ ★ ★

أسَمِعْـــتَ نَـــوْحَ العَـــاشِـــقِ الوَلْهَـــانِ ، مَـــا بيـــنَ القُبُـــورْ
يَبْكِـــي حَبيبَتَـــهُ؟ فَيـــا لِمَصَـــارعِ المـــوتِ الجَسُـــورْ!

★ ★ ★

طَفَحَـــتْ بِـــأعْمَـــاقِ الوُجُـــودِ سَكِينَـــةُ الصَّبْـــرِ الجَلِيـــدْ[٢٧]
لمّـــا رَأى عَـــدْلَ الحَيَـــاةِ يَضُمُّـــه اللَّحْـــدُ الكَنُـــودْ[٢٨]

---

(٢٣) ذَوَتْ: ذبلتْ.
(٢٤) هَرَت: هرأت (مخفّفة)، أي اشتدّ عليها البرد فقتلها.
(٢٥) غاض: ذهب في الأرض وغاب، وأصله في الماء.
(٢٦) الباسرة: النّبتة أوّل ظهورها.
(٢٧) طفح: امتلأ وفاض.
(٢٨) الكنود: الذي يُلحق المصائب بالنّاس. إنّ الشّاعر يشكّ بالعدالة في هذا الكون. وقد بلغ في هذه القصيدة منتهى التّشاؤم بالوجود.

فَتَدَفَّقَتْ لَحْناً، يُرَدِّدُهُ علَى سَمْعِ الدُّهُورْ
صَوتُ الحياةِ بِضَجَّةٍ...، تَسْعَى على شَفَةِ البُحُورْ

★ ★ ★

يا شِعْرُ! أنتَ نَشِيدُ أمْواجِ الخِضَمِّ السَّاحِرهْ[29]
النّاصِعَاتِ، الباسِمَاتِ، الرّاقِصَاتِ، الطَّاهِرهْ

★ ★ ★

السَّافِراتِ، الصَّادِحَاتِ مَعَ الحياةِ إلى الأبدْ؟[30]
كَعَرائسِ الأَمَلِ الضَّحُوكِ، يَمِسْنَ مَا طَالَ الأَمَدْ[31]

★ ★ ★

هَا إنَّ أَزْهَارَ الرَّبيعِ تَبَسَّمَتْ أَكْمَامُها
تَرنُو إلى الشَّفَقِ البَعِيدِ، تغُرُّها أحْلاَمُها

★ ★ ★

فِي صَدْرِهَا أملٌ، يحدِّق نَحْوَ هاتيك النُّجُومْ
لكنّه أملٌ، سَتُلْحِدُه جَبَابِرَةُ الوُجُومْ[32]

★ ★ ★

فَلَسَوْفَ تُغْمِضُ جَفْنَهَا، عَنْ كُلِّ أضواءِ الحياةْ
حَيْثُ الظَّلامُ مخيِّمٌ فِي جوٍّ ذَيَّاكَ السُّبَاتْ[33]

★ ★ ★

---

(٢٩) الخضمّ: البحر.
(٣٠) السّافرات: الكاشفات عن وجوههنّ.
(٣١) يَمِسْنَ: من ماسَ، اختال في مشيته.
(٣٢) ستلحده: ستقبره. الوجوم: الامتناع عن الكلام.
(٣٣) السّبات: النّوم.

هَا إنّها هَمَسَتْ بِآذانِ الحَيَاةِ غَرِيدَهَا
قَتَلَتْ عَصَافِيرُ الصَّبَاحِ صُدَاحَهَا وَنَشِيدَهَا[٣٤]

★ ★ ★

يَا شِعْرُ! أَنْتَ نَشِيدُ هَاتِيكَ الزُّهُورِ البَاسِمَهْ
يَا لَيْتَنِي مِثْلُ الزُّهورِ، بلا حَيَاةٍ وَاجِمَهْ

★ ★ ★

إنَّ الحَيَاةَ كئيبةٌ، مَغْمُورَةٌ بِدُمُوعِهَا!!
والشَّمسُ أضْجَرَهَا الأسى، في صَحْوِهَا وَهُجُوعِهَا[٣٥]

★ ★ ★

فَتَجَرَّعَتْ كَأساً دِهاقاً، مِنْ مُشَعْشَعَةِ الشَّفَقْ[٣٦]
فَتَمَايَلَتْ، سَكْرَى إلى كَهْفِ الحَيَاةِ.. وَلَمْ تُفِقْ

★ ★ ★

يَا شِعْرُ! أنتَ نَحِيبُهَا لمّا هَوَتْ لسُبَاتِهَا
يَا شِعْرُ أنتْ صُدَاحُهَا، في مَوْتِها وَحَيَاتِهَا[٣٧]

★ ★ ★

أنْظُرْ إلى شَفَقِ السَّمَاءِ، يَفِيضُ عَنْ تِلْكَ الجِبَالْ
بِشُعَاعِهِ الخَلاّبِ، يَغْمُرُهَا بِبَسْمَاتِ الجَمَالْ

★ ★ ★

---

(٣٤) الصّداح: رفع الصّوت بالغناء.
(٣٥) الهجوع: نوم اللّيل.
(٣٦) دهاق: ممتلئة، طافحة.
(٣٧) لم يبقَ للشّاعر إلاّ شعره يبثّه لواعج نفسه.

فَيُثِيرُ فِي النَّفْسِ الكَئِيبَةِ عَاصِفاً لا يَرْكُدُ
وَيُؤَجِّجُ القَلْبَ المُعَذَّبَ شُعْلَةً لا تَخْمُدُ

★ ★ ★

يَا شِعْرُ! أنتَ جَمَالُ أضْوَاءِ الغُرُوبِ السَّاحِرَةْ
يَا هَمْسَ أَمْوَاجِ المَسَاءِ، البَاسِمَاتِ الحَائِرَهْ

★ ★ ★

يَا نَايَ أحْلامِي الحَبِيبَةِ! يَا رَفِيقَ صَبَابَتِي[٣٨]
لَوْلاكَ مُتُّ بِلَوْعَتِي، وَبِشِقْوَتِي، وَكَآبَتِي[٣٩]

★ ★ ★

فِيكَ انْطَوَتْ نَفْسِي، وَفِيكَ نَفَخْتُ كُلَّ مَشَاعِرِي
فَاصْدَحْ عَلَى قِمَمِ الحَيَاةِ بِلَوْعَتِي، يَا طَائِرِي[٤٠]

نشيد الأسى

– 4 – [من مجزوء الكامل]

يَا ليتَ شِعْرِي! هَلْ لِلَيْلِ النَّفْسِ مِنْ صُبْحٍ قَرِيبْ؟
فَتَقَرَّ عَاصِفَةُ الظَّلامِ، وَيَهْجَعَ الرَّعْدُ الغَضُوبْ[١]
وَيُرَتِّلَ الإِنْسَانُ أغنِيَةً مع الدُّنيا، طَرُوبْ

★ ★ ★

---

(٣٨) الصَّبابة: رقّة الحبّ.

(٣٩) الشِّقوة: الشّقاء.

(٤٠) يقول إنّ شعره هو تعبير عن مأساته في هذا الكون الغريب.

(١) يهجع: يرقد، ينام.

مَا للـرِّيَـاحِ تَهُـبُّ فـي الدُّنيـا، ويـدرِكُهَـا اللُّغـوبْ[٢]
إلاّ ريـاحـي، فَهْـيَ جَـامِحَـةٌ، تَمَـرُّدُهَـا عَصِيـبْ؟
مـا لـي تُعَـذِّبني الحيـاةُ كَـأَنَّنـي خلْـقٌ غَـريـبْ؟
وتَهُـدُّ مِـنْ قلبي الجميـلِ؟ فَهَـلْ لقلبـي مِـنْ ذُنـوبْ؟
وإذا سَـأَلْتُ: «لِـمَ الوجـودُ، وَكُلُّـهُ هـمٌّ مُـذِيـبْ؟»
قالتْ: «نواميسُ السَّماءِ قَضَتْ، وَمَـا لَـكَ مِـنْ هُـرُوبْ؟»[٣]
آهٍ علـى قلبـي! وَإنْ شَقِيَـتْ كَشَقْـوَتِـهِ قُلُـوبْ
أنقى مِـنَ المـوجِ الوضـيءِ، وَمِـنْ نَشِيـدِ العَنـدليـبْ
لـم تَقْتَـرِفْ إِثْـمَ الحيـاةِ، وكـان مـأواهـا اللَّهيـبْ

★ ★ ★

يَـا مُهْجَـةَ الغَـابِ الجميـلِ	أَلـمْ يُصَـدِّعْـكِ النَّحيـبْ؟
يَـا وجْنَـةَ الوَرْدِ الأنيـقِ	أَلْـم تشـوِّهْـكِ النُّـدوبْ؟
يا جَـدْولَ الوادي الطَّـروبَ	أَلَـمْ يُـرَنِّقْـكَ القُطُـوبْ؟[٤]
يا غيْمـةَ الأفُـقِ الخضِيـبِ	أَلَـمْ تُمَـزِّقْـكِ الخُطـوبْ؟
يَا كَوْكَبِ الشَّفَقِ الضَّحـوكَ	أَمَا ألَـمَّ بِـكَ الشُّحُـوبْ؟[٥]

هـا أنـتَ ذَا فِـي الأفْـقِ تَضْحَـكُ، لا تُهَـمُّ، ولا تَخِيـبْ
تُلقـي علـى قُنَـنِ الجبَـالِ رِداءَ لألاءٍ قَشِيـبْ[٦]
لِتَنـامَ أورادُ الجبـالِ الشُـمِّ، فـي مهْـدٍ عَجيـبْ[٧]
ولكـي تغنّيـكَ الجَـداولُ لَحْنَهـا العَـذْبَ الحَبِيـبْ

---

(٢) اللغوب: الضعف والحماقة.
(٣) نواميس: قوانين. إنّه يستسلم لمشيئة الأقدار.
(٤) رنّق: كدّر.
(٥) الشّحوب: الاصفرار.
(٦) اللألاء: الضّوء.
(٧) أوراد: جمع ورد، وهو السّرب من الطّيور.

وَتَرى جَمَالَكَ مِنْ بناتِ الغَابِ معطارٌ، لَعُوبْ
معشوقةٌ، في فَرْعِهَا تَاجٌ مِنَ الوَرْدِ الخَضِيبْ
تَتْلُو أناشِيدَ الرّبيعِ، كأنّهَا نَجْوَى القُلُوبْ
يا كوكبَ الشَّفَقِ الضَّحُوكِ! وأنتَ مبْتَهَلُ الكَئِيبْ
لُحْ في السماءِ! وغنِّ أبناءَ الشَّقَاوةِ والخُطوبْ
أنشودةً تَهَبُ العَزاءَ لِكلِّ مُبتئسٍ غَريبْ
فالطَّير قَدْ أغفتْ، وأسْكَتَ صوتَها الليلُ الهَيُوبْ[8]
وابسطْ جَنَاحَكَ في الوُجُودِ، فإنّهُ عَذْبٌ، خَلُوبْ
مُتَألِّقٌ بين النُّجومِ، كأنَّهُ حُلْمٌ طَرُوبْ
وانْشُرْ ضِيَاءَكَ ساطعاً، لِيُنِيرَ أعماقَ القُلُوبْ
فَعَلى جَوَانِبِها مِنَ الأحزانِ دَيْجُورٌ رَهِيبْ[9]

★ ★ ★

مَا لِلْمياهِ نقيّةٌ حولِي، وَيَنْبُوعي مَشُوبْ؟[10]
مَا للصَّباحِ يَعُودُ للدُّنيا، وصُبْحِي لا يَؤُوبْ؟[11]
مَا لي يَضِيقُ بِي الوجودُ، وكلُّ ما حَولِي رَحِيبْ؟
ما لي وَجَمْتُ وَكُلُّ ما في الغَابِ مُغْتَرِدٌ طَروبْ؟
ما لي شَقِيتُ، وَكُلُّ ما في الكونِ أخَّاذٌ عَجِيبْ:
في الأرض أقدامُ الرَّبيعِ تُلامِسُ السَّهْلَ الجَديبْ
فإذا به يحيا، ويُنْبِتُ رائقَ الزَّهرِ الرَّطيبْ
وَهُنَاكَ أنْوارُ النَّهارِ تُطِلُّ مِنْ خَلْفِ الغُروبْ

(٨) الهيوب: المهيب، المخيف.
(٩) ديجور: ظلام.
(١٠) مشوب: معتكر.
(١١) يؤوب: يعود، يرجع.

فَتُخَضِّبَ الأمواجَ، والآفاقَ، والجَبَل الخَصِيبْ[12]
إنّ الوُجودَ الرَّحْبَ، والغَاباتِ، والأُفُقَ الخَضيبْ
لمْ تَخْبُ أشواقُ الحياةِ بِهَا، فَغَادرَها القُطُوبْ
أما أنا فَفَقَدْتُها، واللَّيلُ مُربَدٌّ، رَهِيبْ[14]
والرِّيحُ تَعْصِفُ بالورود...، فَعِشْتُ سُخْرِيَةَ الخُطوبْ..

★ ★ ★

مَهْمَا تَضَاحَكَتِ الحياةُ فإنَّني أبداً كَئيبْ
أُصْغِي لأوجاعِ الكَآبةِ، والكآبةُ لا تُجيبْ
في مَهْجَتي تَتَأوَّهُ البَلْوَى، ويَعْتَلِجُ النَّحيبْ[15]
ويَضُجُّ جبَّارُ الأسى، وتَجيشُ أمواجُ الكُرُوبْ
إنّي أنا الرُّوحُ الَّذي سيظَلُّ في الدُّنيا غَريبْ
ويَعِيشُ مُضْطَلِعاً بأحزانِ الشَّبيبةِ والمَشِيبْ[16]

الكآبة المجهولة

— 5 — [من المسرح]

أَنَا كَئيبْ،
أَنَا غَريبْ،

(١٢) تخضّب : تصبغ.
(١٣) تخبو : تهدأ، تسكن.
(١٤) مربدّ : مغبرّ.
(١٥) يعتلج : يتضارب، يتلاطم.
(١٦) مضطلعاً : محتملاً.

كَـآبتـي خَـالَفَـتْ نَظَـائِـرَهَـا[1]
غَـرِيبَـةٌ فِـي عَـوَالِمِ الحَـزَن
كَـآبَتـي فِكْـرَةٌ مُغَـرِّدَةٌ
مَجْهُـولَـةٌ مِـنْ مَسَـامِـعِ الزَّمَـن

لَكِنَّنـي قَـد سَمِعْـتُ رَنَّتَهَـا
بِمُهْجَتـي، فِـي شَبَـابِيَ الثَّمِـلِ[2]
سَمِعْتُهَـا، فَـانْصَـرَفْـتُ مُكْتَئِبَـا
أَشْـدُو بِحُـزْنِـي، كَطَـائِـرِ الجَبَـلِ

سَمِعْتُهَـا أَنَّـةً يُـرَجِّعُهَـا
صَـوْتُ اللَّيَـالـي، وَمُهْجَـةُ الأزل[3]
سَمِعْتُهـا صَـرْخَـةً مُضَعْضَعَـةً[4]
كَجَـدْولٍ فـي مَضَـايِـقِ السُّبُـلِ

سَمِعْتُهـا رَنَّـةً، يُعَـانِقُهَـا
شَـوقٌ إلـى عَـالَـمٍ يُضَعْضِعُهَـا
ضَعِيفَـةٌ مثـلَ أنَّـةٍ صَعَـدَتْ
مِـنْ مُهْجَـةٍ هـدَّهـا تَـوجُّعُهَـا

كَـآبَـةُ النَّـاسِ شُعْلَـةٌ، وَمَتـى
مـرّتْ ليـالٍ خَبَـتْ مع الأمَـدِ[5]
أَمَّـا اكتِئَـابِـي فَلَـوْعَـةٌ سَكَنَـتْ
رُوحِـي، وَتَبْقَـى بِهـا إلـى الأَبَـدِ

---

(١) نظائرها: مثيلاتها.
(٢) الثّمل: السّكران. إنّ حزنه هو النّشيد الذي يردّده، وهذا ذروة الإحساس بالكآبة.
(٣) المهجة: الرّوح.
(٤) مضعضعة: خاضعة.
(٥) خبا: خمد، سكن.

أنَــا كئيــبٌ، أنَــا غَــرِيــبُ
وَلَيْسَ فــي عــالــم الكَــآبَــةِ مَــنْ
يَحْمِـلُ مِعْشَـارَ بَعْـضِ مَـا أَجِـدُ[٦]
كـآبتــي مــرّةٌ، وَإنْ صَــرَخَــتْ
روحـــي فلا يسمعنَّهَــا الجَسَــدُ

كــآبَتــي ذَاتُ قَسْــوَةٍ صَهَــرَتْ
مَشَــاعِــرِي فِــي جَهَنَّــمَ الأَلَــمِ
لَـمْ يَسْمَـعِ الدَّهْـرُ مِثْـلَ قَسْـوَتِهَــا
فِـي يَقْظَــةٍ قَــطُّ، لا، ولا حُلُــمِ

كــآبَتــي شُعْلَــةٌ مــؤجَّجَــةٌ،[٧]
تَحْــتَ رَمَــادِ الكَــوْنِ تستعــرُ[٨]
سَيَعْلَــمُ الكَــوْنُ مَــا حَقِيقَتُهَــا
وَيَطْلَــعُ الفَجْــرُ يَــومَ تَنْفَجِــرَ

كــآبــةُ النَّــاسِ شُعْلَــةٌ، ومتــى
مــرّت ليــالٍ خَبَــتْ مِــنَ الأَمَــدِ[٩]
أمّـا اكتئـابـي فَلَــوْعَــةٌ، سَكَنَــتْ
رُوحــي، وَتَبْقَــى بِهــا إلــى الأَبَــدِ

---

(٦) معشار : جزء من عشرة. مأساته أنّه يصرخ وحيداً فلا يسمعه أحد.
(٧) مؤجّجة : ملتهبة بصورة دائمة.
(٨) تستعر : تشتعل بشدّة.
(٩) خبت : انطفأت. الأمد : الزّمن والوقت. يريد القول أنّ كآبته لا تشبه كآبة الآخرين فهي خالدة.

السّآمة

[من المتقارب] — 6 —

سَئِمـتُ الحَيَـاةَ، وَمَـا فِـي الحَيَـاةِ ... وَمَـا إنْ تَجَـاوزْتُ فَجْـرَ الشَّبَـابْ
سَئِمْـتُ اللَّيَـالِـي، وَأوجَـاعَهـا ... وَمَا شعْشَعتْ مـن رحيـقٍ بِصَـابْ[١]
فَحَطّمْـتُ كَـأسِـي، وَألقَيتُهـا ... بِـوَادي الأسَـى وَجَحِيـمِ العَـذَابْ
فَـأنَّـتْ، وَقَـدْ غَمَـرَتْهـا الدُّمُـوعُ ... وَقَرّتْ، وَقَدْ فَاضَ مِنْهَـا الحَبَـابْ[٢]
وَألقَـى عَلَيهـا الأسَـى ثَـوْبَـهُ ... وَأقبـرَهـا الصَّمْـتُ وَالإكْتِئَـابْ[٣]

★ ★ ★

فَـأيـنَ الأمَـانِـي وَألْحَـانُهـا؟ ... وأيـنَ الكـؤوسُ؟ وَأيـنَ الشَّـرابْ
لَقَـدْ سَحَقَتْهـا أكـفُّ الظَّلَامِ ... وَقَـدْ رَشَفَتْهـا شِفَـاهُ السَّـرابْ[٤]
فَمَـا العَيْشُ فِـي حَـوْمَـةٍ بَـأسُهَـا ... شَـدِيـدٌ، وَصَـدّاحُهَـا لاَ يُجـابْ[٥]
كَئِيـبٌ، وَحِيـدٌ بـآلامِـهِ ... وأحْلامِـهِ، شَـدْوُهُ الانْتحَـابْ
ذَوَتْ فـي الرّبيـعِ أزَاهِيـرُهَـا ... فَنمْـنَ، وَقَـدْ مَصَّهُـنَّ التُّـرَابْ[٦]
لـوَيْـنَ النُّحـورَ علـى ذِلّـةٍ ... وَمُتْـنَ وَأحْلامُهُـنَّ العِـذَابْ[٧]
فَحَـالَ الجَمَـالُ، وَغَـاضَ العبيـرُ ... وأذْوى الرّدَى سِحْرَهـنَّ العُجَـابْ[٨]

---

(١) الصّاب: شجر شرابه مرّ المذاق.
(٢) الحَباب: فقاقيع تظهر على سطح الماء أو الخمر.
(٣) أقبرها: دفنها. وقد وردت عبارة «أقبر» مكان «أقبرها» وهي خطأ.
(٤) رشف: شرب من الإناء ولم يترك به شيئاً.
(٥) الحومة: معظم الشّيء: الصدّاح: المنشد.
(٦) ذوت: ذبلت.
(٧) النّحور: أعالي الصّدور.
(٨) حال: زال، غاب.

قبضة من ضباب

– 7 – [من مجزوء الكامل]

مَهْمَا تَأَمَّلْتُ الحياةَ، وَجُبْتُ مَجْهَلَهَا الرَّهِيبْ
وَنَظَرْتُ حولي، لَمْ أَجِدْ إلا شُكُوكَ المُسْتَرِيبْ
حتّى دَهِشْتُ، وما أُفِدْتُ بدهشتي رأياً مُصِيبْ
لكنّني أجْهَدتُ نفسي، وَهْيَ باديةُ اللُّغوبْ[1]
وَدَفَعْتُها وَهْيَ الهزيلةُ في مُغالَبَةِ الكُروبْ[2]
في مَهْمَهٍ مُتَقَلّبٍ، تُخشى غَوَائِلُه، جَدِيبْ[3]
فإذا أَصَابَتْ مِنْ مناهِلِهِ شراباً تَستَطِيبْ
أروتْ جوانِحَهَا، وذلكَ حَسْبُها كيما تَؤُوبْ[4]
وَمَنِ ارتوى في هذه الدُّنيا تَسَنَّمَهَا خَطِيبْ؟[5]
أَوْ لاَ فقد رَكِبَتْ مِنَ الأَيّامِ مَرْكَبَها العَصِيبْ..
وَقَضَتْ كما شَاءَ الخُلودُ، وفي جوانِحِهَا اللَّهِيبْ[6]!.

---

(١) اللّغوب: الضّعف والحماقة.

(٢) الكروب: المصائب.

(٣) المهمه: القفر. الغوائل: الدّواهي، المصائب، وهي جمع غائلة.

(٤) تؤوب: تعود، ترجع.

(٥) تسنّم الشّيء: اعتلاه، وأصلها سنام البعير: أعلى ظهره.

(٦) الجوانح: الجوانب.

من حديث الشّيوخ

– 8 – [من الطويل]

ألا إنَّ أَحْلاَمَ الشَّبَـــابِ ضَئِيلَـــــةٌ تُحَطِّمُهَا مِثْـلَ الغُصُـونِ المَصَـائِـبُ
سَأَلتُ الدَّيَاجِي عَنْ أَمَـانِـي شَبِيبَتِي فَقَالَتْ: «تَرَامَتْهَا الرِّيَاحُ الجَوَائِبُ»[1]
وَلَمَّا سَأَلْتُ الرِّيـحَ عَنْهـا أَجَـابَنِـي: تَلَقَّفَهَا سَيْلُ القَضَـا، وَالنَّـوَائِـبُ»[2]
«فَصَارَتْ عَفَاءً، واضْمَحَلَّتْ كَـذَرَّةٍ عَلى الشَّاطِيءِ المَحْمُومِ، وَالمَوْجُ صَاخِبُ»[3]

أيها اللَّيل

– 9 – [من الخفيف]

أَيُّهـا الليـلُ! يـا أَبَـا البـؤسِ والهَـوْ ل، يَـا هيكـلَ الحَيَــاةِ الرهيـــبِ!
فِيـكَ تَجْثُـو عـرائسُ الأَمَـلِ العـذْ بِ، تُصَلِّـي بِصَـوْتـهِ المحبـــوبِ[1]
فَيُثِيـــرُ النَّشِيـــدُ ذكـــرى حيـــاةٍ حَجَبَتْهَــا غُيُــومُ دَهْــرٍ كئيـــبِ
وَتَـرُفُّ الشُّجـونُ مِـنْ حـول قلبـي بسُكُــونٍ، وَهَيْبَـــةٍ، وَقُطُــوبِ[2]
أنتَ يـا ليـلُ! ذرَّةٌ، صَعَـدَتْ للـ كون، من مَوْطِيءِ الجحيـم الغَضـوبِ
أيُّهـا الليـــلُ! أنـــت نَغْـــمٌ شَجِــيٌّ فـي شفـاهِ الدُّهـورِ، بيـن النَّحيـبِ
إنَّ أُنشـودَةَ السُّكُـونِ، التـي تـرتـجّ فـي صَـدْرِكَ الرَّكُـودِ، الرَّحيـبِ[3]

---

(١) الجوائب: من جاب أي قطع البلاد.
(٢) تلقَّفَ: تناول بسرعة. القضا: القضاء. النّوائب: المصائب.
(٣) عفاء: دارسة ممحوّة. المحموم: السّاخن. يقول: إنّ أحلام الشّباب تتبدّد وتضيع لأنّها تصطدم بالواقع، كريشة في مهبّ الرّيح أو كذرّة من الرّمال على الشاطيء الذي جاشت أمواجه.
(١) تجثو: تجلس على ركبتها.
(٢) الشّجون: الأحزان. القطوب: ضم الحواجب والعبوس.
(٣) الرّكود: الهادىء.

تُسْمِعُ النَّفْسَ، فـي هـدوء الأمـانـي ... رَنّـةَ الحَـقِّ، والجمـال الخَلَـوبِ

فَتَصـوغُ القلـوبُ، منهـا أَغـاريـداً، ... تَهُـزُّ الحيـاةَ هَـزَّ الخُطُـوبِ[٤]

تتلـوّى الحيـاةُ، مِـنْ أَلَـم البـؤْ ... س، فتبكـي، بِلَـوْعَـةٍ ونَحيـبِ

وَعَلـى مَسْمَعيـكَ، تَنْهَـلُّ نـوحـاً ... وعـويلاً مُـرّاً، شجـونُ القُلـوبِ

فـأرى بُـرْقُعـاً شفيفـاً، مـن الأو ... جاعِ، يُلقي عليكَ شجوَ الكَئيبِ[٥]

وأرى فـي السُّكـونِ أجنحـة الجبَّـ ... ـارِ، مُخْضَلّـةً بِـدَمْـعٍ حَبيـبِ[٦]

فَلَـكَ اللّهُ! مِـنْ فـؤادٍ رَحيـمٍ ... ولـكَ اللّهُ مِـنْ فـؤادٍ، كئيـبِ

يَهْجَعُ الكَوْنُ، في طمـأنينـةِ العُصْـ ... ـفُورِ، طِفْلاً بِصَدْرِكَ الغِرِّيبِ[٧]

وَبأَحْضَانِكَ الرَّحيمةِ يستيقظُ، في ... نضـرة الضَّحُـوكِ، الطَّـرُوبِ

شَاديـاً، كـالطُّيـوبِ بـالأمـلِ العَـذْ ... بِ، جميلاً، كَبَهْجَةِ الشُّؤْبُوبِ[٨]

يَـا ظلامَ الحَيَـاةِ! يـا رَوْعَـةَ الحُـزْ ... نِ! وَيَـا مِعْـزَفَ التَّعيسِ الغَـريـبِ

وَبقيثـارةِ السَّكينـةِ، فـي كَـ ... ـفَّيْكَ، تَنْهَـلُّ رَنَّـةُ المَكْـرُوبِ[٩]

فيـكَ تنمـو زَنَـابِـقُ الحُلْـمِ العـذْ ... بِ، وتَذوي لَدَى لَهيبِ الخُطُوبِ[١٠]

خَلْفَ أعمـاقِـكَ الكئيبـةِ تَنْسـا ... بُ ظِلالُ الدُّهـورِ، ذَاتَ قُطـوبِ

وَبِفَـوْديـكَ، فِـي ضَفَـائِـرِكَ ... السُّودِ، تَدُبُّ الأَيَّامُ أيَّ دَبيبِ[١١]

* * *

صَـاحِ! إنَّ الحيـاةَ أنشـودةُ الحُـزْ ... نِ، فَـرَتِّـلْ على الحيـاةِ نَحِيبـي

---

(٤) الخطوب: المصائب.

(٥) البرقع: القناع. شفيف: شفّاف. الشّجو: الحزن.

(٦) مُخْضَلّة: نديّة مبتلّة.

(٧) يهجع: ينام. إنّ الليل يحتوي كلّ أسرار هذا الكون.

(٨) الشّؤبوب: الدّفعة من المطر تُستقبل بفرح.

(٩) تنهلّ: يشتدّ انصبابها. المكروب: الحزين.

(١٠) تذوي: تذبل.

(١١) الفودان: جانبا الرّأس مما يلي الأذنين إلى الأمام. الضّفائر: خصلات من الشعر على شكل غدائر.

إنّ كـأسَ الحيـاةِ مُتْـرَعَـةٌ بـالـدَّ مْعِ ، فاسْكُبْ على الصَّبَاحِ حَبيبي
إنّ وادِي الظّلامِ يَطْفَـحُ بـالهَـوْ لِ ، فَمـا أبْعَـدَ ابتسـامَ القُلُـوبِ!
لا يغُـرَّنّـكَ ابتسـامُ بَنـي الأرْ ضِ فَخَلْفَ الشُّعـاعِ لَـذْعُ اللّهيـبِ
أنْـتَ تـدري أنَّ الحيـاةَ قُطُـو بٌ وَخُطُوبٌ، فَما حَيَاةُ القُطُوبِ؟
إنَّ فـي غيبـةِ الدُّهـورِ، تِبَـاعـاً لِخَطِيبِ يَمُـرُّ إثْـرَ خَطِيـبِ[١٢]
سَدَّدَتْ في سكينةِ الكـونِ ، لِلأعمـا قِ ، نفسي لَحْظاً بعيـدَ الرُّسـوبِ[١٣]
نَظْـرةٌ مَـزَّقَـتْ شِغَـافَ اللّيـالـي فَـرأَتْ مُهْجَـةَ الظّلامِ الهَيُـوبِ[١٤]
وَرَأَتْ فـي صَمِيمِهَـا، لَـوْعَـةَ الحُـز نِ ، وأَصْغَتْ إلـى صُـراخِ القُلُـوبِ
لا تُحـاوِلْ أنْ تنكـرَ الشَّجْـوَ، إنّـي قَدْ خَبِـرتُ الحياةَ خُبْـرَ لَبِيـبِ[١٥]
فتبـرّمـتُ بـالسَّكينـةِ والضَّجَّـةِ، بل قَدْ كَـرِهْـتُ فيهـا نصيبـي..[١٦]
كُـنْ كَمَـا شـاءتِ السَّمـاءُ كَئيبـاً أيُّ شـيءٍ يَسُـرُّ نفسَ الأريـبِ؟
أنُفُـوسُ تمـوتُ، شَـاخِصـةً بـالهـو لِ، في ظُلْمةِ القُنُـوط العَصِيـبِ؟[١٧]
أمْ قُلُـوبٌ مُحِطَّـاتٌ عَلَـى سَـا حلِ لُجِّ الأَسَى، بِمَـوْجِ الخُطُـوبِ؟
إنَّمـا النّـاسُ فـي الحيـاةِ طيـورُ قـد رَمَـاهَـا القَضَـا بِـوادٍ رَهيـبِ
يَعْصُـفُ الهـولُ فـي جَـوَانِبـه السو دِ فَيَقْضِي علـى صَـدَى العَنْدلِيـبِ

★ ★ ★

قَدْ سَـألـتُ الحيـاةَ عَـنْ نغمـةِ الفَجْـ ـرِ، وَعَنْ وَجْمة المساءِ القَطُـوبِ[١٨]
فَسَمِعْتُ الحياةَ، في هيكـلِ الأحـزا نِ ، تشـدو بِلَحْنِهـا المحبـوبِ:

---

(١٢) لا يستقيم معنى البيت إلاّ بجعل لفظة « خطيب » منصوبة على أنّها إسم « إنَّ ».
(١٣) « نفسي »: هي فاعل سَدّد. الرّسوب: هنا بمعنى النّفاذ.
(١٤) شغاف: حجاب، وأصله في القلب. الهيوب: المخيف.
(١٥) الخُبْر: المصدر من فعل « خَبَرَ » و« اختبر ».
(١٦) تبرّم: ملّ، سئم.
(١٧) القنوط: اليأس.
(١٨) الوجمة: العبوس والقطوب.

مَا سُكُوتُ السَّمَاءِ إلا وُجُومٌ ... مَا نشيدُ الصَّبَاحِ غيرُ نحيبِ

لَيْسَ في الدَّهْرِ طَائرٌ يتغنّى ... في ضِفَافِ الحياةِ غَيْرَ كَئيبِ

خَضَّبَ الاكتئابُ أجنحةَ الأيّا ... مِ، بِالدَّمْعِ، والدَّمِ المَسْكُوبِ[19]

وَعَجيبٌ أنْ يفرحَ النّاسُ في كَهْـ ... فِ اللَّيالي، بِحُزْنِهَا المَشْبُوبِ!»[20]

كنتُ أرْنو إلى الحياةِ بِلَحْظٍ ... بَاسِمٍ، والرَّجَاءُ دُون لُغُوبِ[21]

ذَاكَ عَهْدٌ حَسِبْتُهُ بَسْمَةَ الـ ... فَجْرِ، ولكنّهُ شُعَاعُ الغُرُوبِ

ذَاكَ عَهْدٌ، كَأَنَّه رَنَّةُ الأفرا ... حِ، تَنْسَابُ مِنْ فَمِ العَنْدَلِيبِ

خُفِّفَتْ - رَيْثَما أَصَخْتُ لَهَا بالقَلْـ ... بِ، حيناً - وَبُدِّلَتْ بِنَحِيبِ[22]

إنَّ خَمْرَ الحياةِ وَرْدِيَّةُ اللَّو ... نِ، ولكنّها سِمَامُ القُلُوبِ[23]

* * *

جَرَفَتْ مِنْ قَرَارَةِ القَلْبِ أحلا ... مِي، إلى اللَّحْدِ، جَائِراتُ الخُطُوبِ

فَتلاشَتْ عَلَى تُخُومِ الليالي ... وتَهَاوتْ إلى الجَحِيمِ الغَضُوبِ

وَثَوى في دُجُنَّةِ النَّفْس، وَمْضٌ ... لَمْ يَزَل بين جيْئَةٍ، وذُهُوبِ[24]

ذُكْرياتٌ تَمِيسُ في ظُلْمَةِ النَّفْـ ... سِ، ضِئَالاً، كَرَائعاتِ المَشيبِ[25]

يَا لِقَلْبٍ تجَرّعَ اللَّوعةَ المُرَّ ... ةَ مِنْ جدول الزّمانِ الرَّهيبِ!

وَمَضَتْ في صَمِيمِهِ شُعْلَةُ الحُزْ ... نِ، فَعَشَّتْهُ مِنْ شُعَاعِ اللَّهيبِ..[26]

---

(١٩) خضّب: صبغ.

(٢٠) المشبوب: المشتعل.

(٢١) لغوب: ضعيف أحمق.

(٢٢) أصاخ: استمع.

(٢٣) السّمام: السّمّ.

(٢٤) ثوى: أقام. دُجُنّة: ظلمة.

(٢٥) تميس: تختال في مشيتها.

(٢٦) يقول إنّ الحزن المشتعل في قلبه أشعل نور عقله حتى عشّاه ذلك النّور أي جعله أعمى من شدّة الوهج.

فلسفة الثّعبان المقدّس

— 10 —

فلسفة الثعبان المقدس هي فلسفة القوة المثقفة في كل مكان. وكما تحدث الثعبان في القطعة التالية الى الشحرور بلغة الفلسفة المتصوفة حينما حاول أن يزين له الهلاك الذي أوقعه فيه، فسماه «تضحية» وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس...

كذلك تتحدث اليوم سياسة الغرب إلى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر والأحلام حيثما تحاول أن تسوغ طريقتها في ابتلاعها والعمل لقتل ميزَاتها القومية فتسميها: «سياسة الادماج» وتتكلم عنها كالسبيل الوحيد الذي لا معدى عنه لهاته الشعوب إذا أرادت نيل حقوقها في هذا العالم، وبلوغ الكمال الانساني المنشود، ولكن الفناء حقيقة شنيعة، مبغضة، لا ينقص من فظاعتها وكرهها كل ما في التصوف والفلسفة والشعر من خيال وأحلام».

[من الكامل]

كان الرَّبيعُ الحيُّ روحاً، حالماً ... غضَّ الشَّبابِ، مُعَطَّرَ الجلبابِ[1]

يَمْشي على الدّنيا، بفكرةِ شَاعرٍ ... ويطوفُهَا، في موكبٍ خَلاَّبِ[2]

والأفْقُ يملأُهُ الحَنانُ، كأنَّهُ ... قَلْبُ الوجودِ المنتجِ الوَهَّابِ

والكونُ مِنْ طُهْرِ الحياةِ كأنّما ... هوَ معبدٌ، والغابُ كالمحرابِ

والشّاعرُ الشَّحْرورُ يَرْقُصُ، مُنشداً ... للشَّمسِ، فوقَ الوردِ والأعشابِ

شعْرَ السَّعادة والسَّلامِ، ونفسهُ ... سَكْرَى بسِحْرِ العالَمِ الخلاّبِ

ورآه ثعبانُ الجبالِ، فغمَّه ... ما فيه من مَرَحٍ، وفيْضِ شبابِ[3]

(١) الجلباب: القميص.

(٢) الخلاّب: الفاتن الجميل يخلب العقل.

(٣) غمّه: أحزنه.

وانقضّ، مضْطَغِناً عليه، كأنّه ... سَوْطُ القضاءِ، ولعنةُ الأربابِ[4]
بُغِتَ الشَّقيُّ، فَصَاح في هول القضا ... متلفِّتاً للصَّائلِ المنْتَابِ[5]
وتَدَفَّق المسكينُ يصرخُ ثائراً: ... «ماذا جنيتُ أنا فَحُقَّ عِقابي؟»
«لا شيءَ، إلاّ أنّني متغزّلٌ ... بالكائناتِ، مغرِّدٌ في غابي»
«ألْقَى من الدّنيا حناناً طاهراً ... وأبُثُّها نَجْوَى المحبِّ الصّابي»[6]
«أيُعَدُّ هذا في الوجود جريمةً؟! ... أينَ العدالةُ يا رفاقَ شبابي؟»
«لا (أين)؟، فالشَّرْعُ المقدّسُ ههنا ... رأيُ القويِّ، وفكرةُ الغَلاّبِ!»
«وَسَعادةُ الضَّعفاءِ جُرْمٌ.. ما لَهُ ... عند القويِّ سوى أشدِّ عِقابِ!»
«وَلْتَشْهَدِ الدُّنيا التي غَنَّيْتُهَا ... حُلْمَ الشَّبابِ، ورَوعةَ الإعجابِ
«أنَّ السّلاَمَ حَقِيقةٌ، مَكْذُوبةٌ ... والعَدْلَ فَلْسَفَةُ اللّهيبِ الخابي»[7]
«لا عَدْلَ، إلا إنْ تَعَادَلَتِ القوَى ... وتَصَادَمَ الإرهابُ بالإرهابِ»
فَتَبَسَّمَ الثُّعبانُ بَسْمةَ هازىءٍ ... وأجابَ في سَمْتٍ، وفَرْطِ كِذَابٍ:[8]
«يا أيُّها الغِرُّ المثرثِرُ، إنّني ... أرثي لثورةِ جَهْلِكَ التلاّبِ»[9]
«والغرُّ يعذره الحكيمُ إذا طغى ... جهلُ الصِّبا في قلبه الوثّابِ»
«فاكبحْ عواطفكَ الجوامحَ، إنّها ... شَرَدَتْ بلُبِّكَ، واستمعْ لخطابي»[10]
«إنّي إلهٌ، طَالَما عَبَدَ الورى ... ظلّي، وخافوا لعنتي وعقابي»[11]

---

(٤) انقضّ: اندفع، انصبّ. مضطغناً: من الضغينة، وهي الحقد. السّوط: أداة من جلد تضرب بها الدّواب.

(٥) الصّائل: من صال، يصول بمعنى وثب يثب. المنتاب: القاصد مرّة بعد مرّة.

(٦) الصّابي: الذي يميل إلى الشّباب ولهوه.

(٧) الخابي: السّاكن، الخامد.

(٨) السَّمْت: الوقار.

(٩) الغِرّ: الذي لا تجربة له ولا خبرة. التلاّب: الخاسر، الهالك.

(١٠) كبح: لجم، منع. جمح: تمرّد. اللّب: العقل.

(١١) الورى: النّاس.

« وتقدّموا لي بالضَّحايا منهُمُ فَرحينَ، شأنَ العَابدِ الأوّابِ »[١٢]
« وَسَعَادةُ النَّفسِ التَّقيَّة أنّها يوماً تكونُ ضحيَّةَ الأربابِ »
« فتصيرُ في رُوحِ الألوهة بضعةً، قُدُسِيَّةً، خَلُصَتْ منَ الأوشابِ »[١٣]
« أفَلاَ يَسُرُّكَ أنْ تكونَ ضحيَّتي فتحُلَّ في لحمي وفي أعصابي »
« وتكونَ عزماً في دمي، وتوهُّجاً في نَاظِريَّ، وحدّةً في نابي »
« وتذوبَ في رُوحِي التي لا تنتهي وتصيرَ بعضَ ألوهتي وشَبابي..؟ »
« إنّي أرَدْتُ لكَ الخلودَ مؤلّهاً في روحيَ الباقي على الأحقابِ.. »
« فكِّرْ، لِتُدْرِكَ ما أريدُ، وإنَّه أسمى من العيش القَصيرِ النَّابي »[١٤]
« فأجابه الشُّحرورُ، في غُصَصِ الرَّدَى والموتُ يخنقه: « إليكَ جوابي »:
« لا رأي للحقِّ الضَّعيفِ، ولا صدىً والرأيُ، رأيُ القَاهرِ الغلاّبِ »
« فافعلْ مشيئتكَ التي قد شئتَها وارحمْ جلالكَ من سماعِ خطابي »

* * *

وكذاك تتّخذُ المَظَالمُ منطقاً عذباً لتخفيَ سَوْءَةَ الآرابِ[١٥]

الدّنيا الميتة

— 11 — [من الكامل]

إنّي أرى... فأرى جموعاً جمَّةً لكنّها تحيا بِلاَ ألْبابِ[١]
يَدْوِي حوالَيْها الزّمانُ، كأنّما يدوي حوالَي جندلٍ وترابِ[٢]

---

(١٢) الأوّاب: التائب.
(١٣) الأوشاب: الأخلاط المتفرقة من النّاس.
(١٤) النّابي: القبيح، غير المطمئنّ.
(١٥) الآراب: جمع أرب، وهي الغاية والهدف.
(١) ألباب: قلوب.
(٢) الجندل: الصّخر.

وإذا استجَابُوا للزَّمان تَنَاكروا ... وَتراشَقُوا بالشَّوكِ والأحْصَابِ[3]

وقضوا على رُوحِ الأُخُوَّةِ بينهمْ ... جَهْلاً وعاشُوا عِيشَةَ الأغرابِ

فرِحتْ بهم غولُ التّعاسةِ والفَنَا ... وَمَطَامِعُ السّلاّبِ والغَلاّبِ

لُعَبٌ، تُحرِّكُها المَطامعُ، واللّهى ... وَصَغَائرُ الأحقادِ والآرابِ[4]

وأرى نفوساً، مِنْ دُخانٍ، جامدٍ ... مَيْتٍ، كأشباحٍ، وراءَ ضَبَابِ

مَوْتَى، نَسُوا شَوْقَ الحياةِ وعزمَها ... وتحرّكوا كَتَحَرُّكِ الأنْصابِ[5]

وخبَا بهمْ لَهَبُ الوجودِ، فما بقُوا ... إلاّ كمحترقٍ منَ الأخْشَابِ[6]

لا قلبَ يقتحمُ الحياةَ، ولا حِجًى ... يَسْمُو سُمُوَّ الطّائرِ الجوّابِ[7]

بل في التّرابِ المَيْتِ، في حَزْنِ الثَّرى ... تنمو مَشَاعِرُهُمْ مع الأعشابِ[8]

وتموت خَامِلَةً، كزهرٍ بائسٍ ... ينمو ويذبُل في ظَلامِ الغَابِ

أبداً تُحدِّقُ في التّرابِ..، ولا تَرَى ... نورَ السماءِ..، فروحُها كتُرابِ..!

ألشَّاعرُ الموهوبُ يَهْرِق فنَّه ... هدراً على الأَقْدامِ والأعتابِ

ويعيشُ في كونٍ، عقيمٍ، ميِّتٍ ... قَدْ شَيَّدتْهُ غباوةُ الأحقَابِ[9]

والعالِمُ النَّحريرُ يُنْفِقُ عُمْرَه ... في فَهْمِ ألفاظٍ، وَدوسِ كِتابِ[10]

يحيا على رِمَمِ القَديمِ المجتَوَى ... كالدُّود في حِمَمِ الرَّمادِ الخابي[11]

والشَّعبُ بينهما قطيعٌ، ضَائعٌ ... دنياهُ دنيا مأكلٍ وَشَرابِ

---

(٣) الأحصاب: صغار الحجارة.

(٤) اللّهى: جمع اللهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفمّ. الآراب: جمع أَرَب، وهي الأمنية والبغية.

(٥) الأنصاب: جمع نُصْب، وهو كلّ ما عُبد من أصنام أو تماثيل من دون الله.

(٦) خبا: انطفأ، خفت نوره.

(٧) الحجى: العقل.

(٨) الحَزْن: الأرض الغليظة في ارتفاع.

(٩) عقيم: لا خير فيه ولا نفع.

(١٠) النّحرير: العاقل، الحاذق، الفطن.

(١١) المجتوى: المكروه. الخابي: الخامد، السّاكن.

ألـويـلُ للحسّـاس فـي دنيـاهُـمُ ماذا يلاقـي مِـنْ أسـىً وَعَـذابِ!

صوتٌ من السَّماء

– 12 – [من الكامل]

في اللّيل نَادَيتُ الكَوَاكِـبَ ساخطـاً متـأجِّـجَ الآلامِ والآرابِ:[١]
« الحقـلُ يَمْلِكُـهُ جَبَـابِـرةُ الدُّجـى والرَّوضُ يسكُنُـهُ بنـو الأَربـابِ »[٢]
« والنَّهـرُ، للغُـول المقـدّسـة التـي لا تـرتـوي، والغـابُ للحَطّـابِ »[٣]
« وعرائسُ الغابِ الجميـلِ ، هـزيلـةٌ ظمأى لِكُلِّ جَنـىً، وَكُـلِّ شَـرابِ »
« ما هذه الدُّنيـا الكـريهـةُ؟ ويلَهَـا! حَقّـتْ عليهـا لَعْنَـةُ الأَحْقـابِ! »[٤]
« الكونُ مُصْغٍ ، يَا كواكبُ، خاشـعُ طال انتظاري، فـانطِقـي بِجَـوابِ! »

★ ★ ★

فسمعتُ صوتـاً سـاحـراً، متمـوِّجـاً فوق المروجِ الفِيـحِ ، والأَعْشـابِ[٥]
وَحَفيفَ أجنحةٍ ترفـرف فـي الفضـا وصدىً يَـرِنُّ علـى سُكـون الغـابِ:
الفجـرُ يُـولـدُ بـاسمـاً، متهَلِّلا في الكونِ ، بيـنَ دُجُنَّةٍ وضبـابِ »[٦]

---

(١) الآراب: الأماني والحاجات.
(٢) الدّجى: الظّلام.
(٣) الغول: حيوان وهمي.
(٤) الأحقاب: المدّة الطويلة من الدّهر.
(٥) الفِيح: جمع الفيحاء، وهي الواسعة.
(٦) الدُّجنّة: الغيم الكثير المظلم.

للتّاريخ

– 13 –

[من الكامل]

« البؤسُ لابنِ الشَّعْبِ يـأكـلُ قلبَـه ... والمجـدُ والإثـراءُ للأغـرابِ »
« والشّعْب مَعْصُوبُ الجفونِ ، مُقَسَّمٌ ... كالشّاة، بيـن الذّئـب والقَصَّـابِ »[1]
« والحـقُّ مَقْطُـوعُ اللّسـانِ مُكَبَّـلٌ ... والظّلْمُ يمرَح مُـذْهَـبَ الجِلبـابِ »[2]
« هـذَا قليـلٌ مِـنْ حَيـاةٍ مُـرّة ... فـي دولـةِ الأنْصَابِ والألقـابِ »[3]

---

(١) معصوب: من عَصَب بمعنى اجتمع وأحاط. الشّاة: النّعجة.

(٢) مُذْهب: مُذَهَّب. الجلباب: القميص.

(٣) الأنصاب: جمع نُصْب، وهو كلّ ما يعبد من أصنام أو تماثيل ونحوها من دون الله.

قافية التّاء

إلى قلبي التّائه

– 14 – [مجزوء الرّمل]

مَا لآفاقِكَ يا قلبِيَ سُوداً، حالكاتْ؟
ولأَوْرادِكَ بينَ الشَّوْكِ صُفراً، ذَاوياتْ؟[1]
ولأطْيارِكَ لا تلغُو؟ فأينَ النّغَماتْ؟[2]
ما لمِزْمَارِكَ لا يشدو بغيرِ الشهَقَاتْ؟
ولأوتارِكَ لا تَخْفُقُ إلا شَاكِياتْ
ولأنغامِكَ لا تَنْطُقُ إلا بَاكِياتْ
ولقد كانتْ صَبَاحَ الأمْسِ بين النَّسَمَاتْ
كعذارى الغابِ، لا تعرِفُ غيرَ البَسَماتْ؟
هوذا يا قلبيَ البَحْرُ، وأمواجُ الحياةْ!
هوذا القَارِبُ مشدوداً إلى تلك الصَّفَاةْ[3]!
هوذا الشاطئ! لكنْ أينَ رُبّانُكَ؟ مَاتْ!
أين أحلامُك يا قلبي؟ لقد فَاتَ الفَوَاتْ!

---

(١) الأوراد: الورود، جمع وردة.
(٢) اللّغو: ما لا يُعتدّ به ولا يُلتفت إليه من الكلام.
(٣) الصّفاة: الصّخرة.

تلكَ أطيارٌ، أنيقاتٌ، طِرابٌ، فرِحَات
غرّدتْ، ثم تَوارتْ في غيابَاتِ الحَياةْ

★ ★ ★

أنتَ يا قلبيَ قلبٌ، أنضجَتْهُ الزَّفَرَاتْ
أنتَ يا قلبيَ عُشٌّ، نَفَرَتْ عنهُ القَطَاةْ[٤]
فأطارَتْهُ إلى النَّهْرِ الرِّياحُ العَاتِياتْ[٥]
فَهْوَ في التيَّار أوراقٌ، وأعوادٌ عُراةْ
أنتَ حَقْلٌ، مُجدِبٌ، قد هَزَأَتْ منه الرُّعَاةْ
أنتَ ليلٌ، مُعْتِمٌ، تَنْدُبُ فيه البَاكِيات
أنتَ كهفٌ، مظلِمٌ، تأوي إليه البَائِسَاتْ
أنت صَرْحٌ، شادَهُ الحُبُّ على نهرِ الحَيَاةْ
لِبَنَاتِ الشِّعْرِ..، لكنْ قوَّضَتْهُ الحَادِثاتٌ[٦]
أنْتَ قبرٌ، فيه من أيامِيَ الأولى رُفَاتْ

★ ★ ★

أنتَ عودٌ، مزّقتْ أوتارَه كفُّ الحياةْ
فهْو في وحشته الخَرساءِ، بينَ الكَائِنَاتْ
صامتٌ كالقبرِ، إلاّ مِنْ أنينِ الذِّكرَيَاتْ
أنت لحنٌ سَاحرٌ، يَخْبُطُ في التّيهِ المَوَاتْ[٧]
أنتَ أنشودةُ فَجْرٍ..، رتَّلَتْها الظُّلُمَاتْ

★ ★ ★

(٤) القطاة: نوع من الطّيور.

(٥) العاتية: الظّالمة.

(٦) يقول إن قلبه كان هيكلاً للشّعر لكنّ الأقدار هدمته.

(٧) يخبط: يسير على غير هدى. التّيه: الأرض الواسعة يضيع فيها المرء.

أيها السَّاري، مع الظُّلْمـةِ، فـي غيـر أَنَـاةْ
مُطرِقاً، يَخْبُطُ في الصحراءِ، مَكْبُوحَ الشَّكَاةْ[٨]
تُهْتَ في الدّنيا، وَمَـا أُبْـتَ بغيـرِ الحَسَـراتْ
صـلِّ يـا قلبـي إلـى الله، فـإنَّ المـوتَ آتْ
صَـلِّ فـالنّـازعُ لا تبقَـى لــه غيــرُ الصَّلاةْ

الطّفولة

— 15 —

[من مجزوء الكامل]

للهِ مــا أحْلــى الطفـولَــةَ! إنهــا حلــمُ الحيــاةْ
عهـدٌ كَمَعْسُـول الرُّؤَى مـا بيـن أجنحـةِ السُّبَـاتْ..[١]
تـرنــو إلــى الدُّنيــا، وَمَــا فيهــا بعيــنٍ بِــاسِمَــةْ
وَتَسِيــر فــي عَــدَوَاتِ وَادِيهــا بِنَفْسٍ حَــالمَــةْ[٢]



إن الطّفــولــةَ تهتَــزُّ فــي قَلْــبِ الرَّبيــعْ[٣]
ريَّـانـةٌ مِـنْ رَيِّـقِ الأَنْـداءِ فـي الفَجْـرِ الوَديـعْ[٤]
غنَّــت لهــا الدنيــا أغــانــي حبِّهــا وَحُبُــورِهَــا[٥]

(٨) مُطرقاً: ساكتاً. الشّكاة: الشّكوى. يطلق الشّاعر صرخة إيمان مدوّية لأنّه يعتبر أن الصّلاة هي السّلاح الوحيد أمام الموت.
(١) السّبات: النّوم.
(٢) العدوات: جمع عدواء، وهي الأرض الصّلبة غير المطمئنّة.
(٣) البيت مختلّ الوزن.
(٤) ريّانة: مرتوية. الأنداء: جمع ندى.
(٥) الحبور: الفرح.

فتـــأوَّدَتْ نَشـــوى بـــأحلامِ الحَيـــاةِ وَنُـــورِهَـــا[٦]

★ ★ ★

إنّ الطُّفـــولـــةَ حِقْبَـــةٌ شعـــريَّـــةٌ بِشُعُـــورِهـــا
وَدُمُـوعِهـا، وَسُـرُورِهَـا، وَطُمُـوحِهـا، وَغُـرُورِهـا
لـم تمشِ فـي دنيـا الكـآبـةِ، والتَّعَـاسَـةِ، والعَـذابْ
فترى علـى أضـوائِهـا مـا فـي الحقَيقـةِ مِـنْ كِـذَابْ[٧]

الرّواية الغريبة

— 16 —

[من الطويل]

ضحِكْنا على الماضي البعيدِ، وفي غدٍ ... ستجعَلُنـا الأيّـامُ أُضْحُـوكـةَ الآتـي
وتلـكَ هِـيَ الدُّنيـا، رِوَايـةُ سـاحـرٍ ... عَظِيمٍ، غَرِيبِ الفـنِّ، مُبْـدِعِ آيـاتِ
يمثِّلها الأحيـاءُ فـي مَسْـرحِ الأسـى ... ووسْط ضَبَابِ الهمِّ، تَمْثِيلَ أمـواتِ[١]
ليشهدَ مَنْ خَلْفَ الضَّبـابِ فصـولَهـا ... وَيَضْحَكَ منها مَنْ يمثِّلُ ما يـاتـي[٢]
وكلٌّ يؤدِّي دَوْرَهُ..، وهو ضَـاحـكٌ ... على الغيرِ، مُضْحُوكٌ على دوره العاتي

(٦) تأوّد: اعوجّ والتوى. نشوى: سكرى
(٧) الكِذاب: الكذب.
(١) الأسى: الحزن.
(٢) ما ياتي: يريد الغد والمستقبل.
(٣) العاتي: الظّالم.

قافية الثّاء

سِرْ مع الدّهر

– 17 – [من مجزوء الخفيف]

سِــرْ مَــعَ الدَّهْــرِ، لا تَصُــدَّنَّــكَ الأهــوالُ، أو تُفْــزِعَنَّــكَ الأحــداثُ
سِــرْ مَــعَ الدَّهْــرِ، كيفمــا شــاءَتِ الدُّنيــا، ولا يخــدعنَّــكَ النَّفَّــاثُ[1]
فــالــذي يُــرْهِــبُ الحيــاةَ شقــيٌّ، سَخِــرَتْ مــن مصيــره الأجْــدَاثُ[2]

(١) النّفّاث: الذي ينفث السُّمَّ أي يبصقه من فمه، وهنا ينفث الكلام السّيّء الكاذب.
(٢) الأجداث: القبور. يقول إنّ القبور ستلفظ الطّغاة إذا لم ينالوا عقابهم في هذه الدّنيا.

قافية الحاء

أغنية الأحزان

— 18 —

[من مجزوء الرّمل]

غَنِّنِي أُنْشُودَةَ الفَجْرِ الضَّحُوكْ
أَيُّها الصَّدَّاح ![1]
فَلَقَدْ جَرَّعَنِي صَوْتُ الظَّلامْ
أَلَماً عَلَّمَنِي كُرْهَ الحَيَاةْ
إنَّ قَلْبِي مَلَّ أَصْدَاءَ النُّوَاحْ[2]

★ ★ ★

غَنَّنِي يَا صَاحْ !
حَطّمَتْ كَفُّ الأَسَى قِيثَارَتي
فِي يَدِ الأَحْلاَمْ
فَقَضَتْ صَمْتاً، أَنَاشِيدُ الغَرَامْ

---

(١) الصّداح : المغنّي.
(٢) أصداء : جمع صدى، وهو رجيع الصّوت. يحاول الشّاعر، في هذه القصيدة، أن ينسى ما يعانيه من الآلام ولكن دون جدوى.

بَيْنَ أَزْهَارِ الخَرِيفِ الذَّاوِيَهْ[٣]
وَتَلاَشَتْ في سُكُونِ الإكْتِئَابْ
كَصَدَى الغِرِّيدْ

★ ★ ★

كُفَّ عَنْ تِلكَ الأَغَانِي البَاسِمَهْ
أَيُّها العُصْفُورْ!
فَحَيَاتِي أَلِفَتْ لَحْنَ الأَسَى
مِنْ زَمَانٍ قَدْ تَقَضَّى، وَعَسَى
أَنْ يُثِيرَ الشَّدْوُ، فِي صَمْتِ الفُؤَادْ[٤]
أَنَّةَ الأَوْتَارْ...!

★ ★ ★

لا تُغَنِّيني أَغَارِيدَ الصَّبَاحْ
بُلْبُلَ الأَفْرَاحْ!
فَفُؤَادِي وَهْوَ مَغْمُورُ الجِرَاحْ
بِتَبَارِيحِ الحَيَاةِ البَاكِيَةْ[٥]
لَيْسَ تَسْتَهْوِيهِ أَلْحَانُ السُّرُورْ
وأَغَانِي النُّورْ
إنّ مَنْ أَصْغَى إلى صَوْتِ المَنُونْ
وَصَدَى الأَجْدَاثْ[٦]

---

(٣) الذّاوية: الذّابلة.
(٤) الشّدو: الغناء. يكرّر الشّاعر محاولة نسيان ألمه ويطلب من العصفور الغرّيد أن يتعلّم أناشيد الحزن انسجاماً مع نفسيّة الشّاعر.
(٥) تباريح: جمع تبريح، وهي الشّدّة والضّيق.
(٦) الأجداث: القبور.

لَيسَ تَسْتَهْــــوِيـــهِ أَلْحَــانُ الطُّيُــــورْ
بَيْـــنَ أَزْهَـــارِ الرَّبِيـــعِ السَّـــاحِـــرَهْ
وَابْتِسَـــامَـــاتِ الحَيَـــاةِ، السَّـــافِـــرَهْ[٧]
عَنْ جَلاَلِ اللهْ!

★ ★ ★

غَنِّنِي يَا صَاحِ ، أَنَّاتِ الجَحِيمْ
وَاسْقِنِي الآلامْ
أَتْــرِعِ الكَــأْسَ بِــأَوْجَــاعِ الهُمُــومْ[٨]
واسْقِنِــي، إنّــي كَــرِهْــتُ الابْتِسَــامْ
غنِّنِــي نَــدْبَ الأَمَــانِــي الخَــائِبَـــهْ
واللَّيالِي السُّودْ

★ ★ ★

غَنِّني صَوْتَ الظَّلاَمِ المُكْتَئِبْ
إنَّنِي أهْوَاهْ
هَــاكَ كَــأسَ القَلْــبِ فَــامْلأْهَــا نُــوَاحْ
وَاسْكُــبِ الحُــزنَ بِهَــا حَتَّــى الصَّبَــاحْ!
إنَّها مِنْ طِينَةِ الحُزْنِ المَرِيرْ
صَاغَهَا الخَلاَّقْ

★ ★ ★

بِئْسَتِ الأَفْراحُ، أفْرَاحُ الحَيَاهْ[٩]
إنَّها أَحْلاَمْ

---

(٧) السّافرة: غير المقنّعة.
(٨) أترع: ملأ. يقول الشّاعر إنّه كره الابتسام في حين أنّه لم يذق طعمه الحقيقي.
(٩) بِئْسَتْ: بِئْس، من أفعال الذمّ.

تَخْلُبُ اللُّبَّ بِأَلْحَانٍ عِذَابْ[10]
وَأَغَارِيدَ، كَأَمْلاَكِ السَّمَا
ثُمَّ لاَ تَلْبَثُ أَنْ تَذْوِي كَمَا
تَذْبُلُ الأَزْهَارْ

★ ★ ★

خبِّريني، ما الذي خَلْفَ الغُيُومْ...؟
رَبَّةَ الأَحْلاَمْ
أَفَتَى الهَولِ، وَجَبَّارُ الهُمُومْ؟
أَمْ عَرُوسُ الأَمَلِ العَذْبِ الشَّرُودْ
تَتَهَادَى بَيْنَ لأَلاءِ الصَّبَاحْ؟[11]
كَمَلاَكِ النُّورْ

★ ★ ★

أَنَا فِي دَرْبِ الحَيَاةِ الغَامِضَه
تَائِهٌ، حَيْرَانْ
بَيْنَمَا أُبْصِرُ فِي وَجْهِ الحَيَاةْ
ظُلْمَةَ الأَحْزَانِ فِي ظِلِّ الأَلَمْ
إِذْ أَرَى فِي جَفْنِهَا نُوراً، بَدِيعْ
بَاسِماً، فَتَّانْ

★ ★ ★

هَا أَنَا أَسْمَعُ في قَلْبِ الحَيَاةْ
صَيْحَةَ الآلامْ

---

(١٠) تخلب: تسحر. إنّ أفراح هذا الكون هي خداع وهي قصيرة العمر كالزّهور التي تذبل سريعاً.
(١١) لألاء: ضوء.

مُـرَّةً تَنْسَــابُ، مِــنْ قَلْــبٍ حَطِيــمْ[١٢]
مَلأَ الحُــزْنُ أقَــاصِيــــهِ دُمُـــوعْ
هَــا أنَــا أسْمَــعُ أصْـــوَاتَ السُّـــرُورْ
كَضَّتِ الأيَّامْ[١٣]

جمال الحياة

– 19 –

[من مجزوء الرّمل]

سِــرْتُ فِـــي الرَّوْضِ ، وَقَدْ لاَحَتْ تَبَاشِيرُ الصَّبَـاحِ
وَجَنَـاحُ الفَجْـرِ يُـومِـي نَحْــوَ رَبّـــاتِ الجَنَـــاحِ
والدُّجَــى يَسْعَــى رُوَيْـــدا سَعْــيَ غَيْــدَاءَ ، رَدَاحِ[١]
وَنَسِيــمُ الصُّبْــحِ يَسْــرِي سَجْسَجاً ، فَـوْقَ البِطَـاحِ[٢]
وَخَــرِيــرُ النَّهْــرِ سَكْــرَا نٌ ، وَزَهْـرُ الرَّوْضِ صَـاحِ
فَـرَنَـتْ نَحْـوَ جَلاَلِ الكَـوْ نِ ، جَـوْنَـاءُ اللَّيَـــاحِ[٣]
ثُـــمَّ بَــانَــتْ فِـي سُفُــو رٍ فَـاضِـحٍ أيَّ افْتِضَــاحِ[٤]
فَاحْتَسَــتْ خَمْـرَ نَـدَى الدَّا مِـسِ ، مِنْ كَأْسِ الأَقَاحِ[٥]

---

(١٢) تنساب: تجرى. حطيم: محطّم.
(١٣) كضّ: لم أقع على تفسير لها، وربما كانت «كظّ» بمعنى امتلأ غضباً.
(١) الدّجى: سواد اللّيل. غيداء: متمايلة بنعومة. الرّداح: الثقيلة الأوراك من النّساء.
(٢) السّجسج من الرّياح: اللّيّنة. البطاح: الأماكن المتّسعة.
(٣) رنت: نظرت. الجوناء: الشّمس. اللّياح: الصّباح.
(٤) سفور: طلوع الشّمس. يصف الشّمس وقد أطلت على الطبيعة على طريقته الرومانطيقيّة.
(٥) احتستْ: شربتْ. يقول: إنّ الشمس أذابت النّدى الذي يكلّل تيجان الزّهور.

وَاعْتَلَـتْ بَلْقِيسُ عَـرْشَ   اللَّيْلِ ، فِي تِلْكَ النَّوَاحِي[٦]
ثُـمَّ مَـالَـتْ لِغُـرُوبٍ   بَعْـدَ إضْـرَامِ الكِفَـاحِ
واستوى اللَّيْلُ بِـرَغْـمِ الشَّمْـ   ـسِ فِي العَرْشِ الفُسَاحِ[٧]

★ ★ ★

هَكَـذَا الدَّهْـرُ بـأزيـاءٍ   غُـدُوٍ ، وَرُوَاحِ[٨]
وَضِيَـاءٍ ، وَظَـلامٍ   وَسُكُـونٍ ، وَصِيَـاحِ
وَنَشيـدٍ ، وَفَـوَاحٍ   وانقِبَـاضٍ ، وانْشِـرَاحِ[٩]
إنَّمَـا الدَّهْـرُ وَمِيثَـا   قُ اللَّيَـالِـي كَشُجَـاحِ[١٠]

---

(٦) بلقيس: ملكة معروفة بجمالها.
(٧) الفُساح: الفسيح.
(٨) أزياء: هيئات. يقول: إنّ للدّهر مدّاً وجزراً كما للبحر.
(٩) الفواح: انتشار الرّائحة.
(١٠) الشّجاح: ربّما أراد الشّحاج وهو صوت الغراب، ولم أقع على تفسير آخر واضح في المعاجم التي بين يديّ.

قافية الدّال

حديث المقبرة

— 20 —

« وهو حوارٌ فلسفيّ، مدَارُه الحياة» «والموت، والخلود والكمال».

في ليلة مظلمة، من ليالي الصيف، خرج الشاعر بنفسه من القرية الصغيرة النائمة في سفح الجبل، وفي ذلك السكون الشامل، والظلام المزكوم، اخذ يمشي بين أشجار الزيتون المزهرة في مسلك منفرد، ثم اعتلى تلك الربوة الصغيرة، حيث كانت مدافن القرية وحيث ينام الموتى في صمت الدهور.

وبين القبور الخرساء الجاثمة تحت أضواء النجوم، حيث يتحدث كل شيء بجلال الموت وتفاهة الحياة، جلس الشاعر باقدام متعبة، ونفس ثائرة، واجفان قد اذبلتها الأحزان، فطافت بنفسه الأحلام والأفكار والذكريات، وتقلبت امامه صور الموت وأمواج الحياة، وتتابعت امامه رسوم الأيام الكثيرة، ما نام منها في قلب الأزل وما لم يزل ينمو في احشاء الأبد الكبير، وجاشت في قلبه هاته العصور والخواطر، وعجت في صدره عجيج الأمواج الثائرة، فالقاها الى الليل في النشيد التالي:

[من المتقارب]

أتفنى ابتِسَاماتُ تلكَ الجفونِ ؟ وَيخبو توهُّجُ تلكَ الخدودْ ؟[1]

---

(١) خبا: هدأ وسكن.

وتـذوي وُرَيْـدات تلـك الشِّفـاهِ؟ | وتهوِي إلى التُّرْبِ تلكَ النُّهـودْ؟[٢]
وينهـدُّ ذاك القـوامُ الرَّشيـقُ | وينحلُّ صَدْرٌ، بـديـعٌ، وَجيـدْ.
وتربَدُّ تلكَ الوُجوهُ الصِّباحُ | وفتنةُ ذاكَ الجمالِ الفَريدْ[٣]
ويغبرُّ فرعٌ كجنْحِ الظَّلامِ | أنيقُ الغدائرِ، جَعْدٌ، مَديدْ
ويُصبحُ في ظُلُماتِ القبورِ | هباءً، حقيراً، وتُرْباً، زهيدْ
وينجابُ سِحْرُ الغَرامِ القويِّ | وسُكرُ الشَّبابِ، الغريرِ، السّعيدْ

★ ★ ★

أتُطوَى سَمٰواتُ هذا الوجود؟ | ويذهبُ هذا الفَضاءُ البعيدْ؟
وَتهلِكُ تلكَ النُّجومُ القُدامى؟ | ويهرَمُ هذا الزَّمانُ العَهيدْ؟[٤]
ويقضِي صَباحُ الحياةِ البديعُ؟ | وليلُ الوجودِ، الرهيبُ، العتيدْ؟
وشمسٌ توشّي رداءَ الغمامِ؟ | وَبدرٌ يُضيءُ، وَغيمٌ يجودْ؟
وضوءٌ، يُرَصِّع موجَ الغديرِ؟ | وسِحْرٌ، يطرِّزُ تلكَ البُرودْ؟[٥]
وبحرٌ فسيحٌ، بعيدُ القَرارِ، | يَضُجُّ، وَيَدْوي دويَّ الوليدْ؟
وريحٌ، تمرُّ مُرورَ الملاكِ، | وتخطو إلى الغَابِ خَطْوَ الرُّعودْ؟
وعاصفةٌ من بناتِ الجحيمِ، | كأنَّ صَدَاها زَئيرُ الأسودْ
تَعجُّ، فَتَدْوِي حنايا الجبالِ | وتمشي، فتهوِي صُخورُ النُّجودْ؟[٦]
وطيرٌ، تغنِّي خِلالَ الغُصونِ، | وَتَهْتِفُ للفجرِ بينَ الورودْ؟
وزهرٌ، ينمِّقُ تلكَ التِّلالَ | وَيَنْهَلُ من كلِّ ضَوءٍ جَديدْ؟
ويعبَقُ منه أريجُ الغَرامِ | ونَفْحُ الشَّبابِ، الحَيِيِّ، السَّعيدْ؟
أيسطُو على الكُلِّ ليلُ الفناءِ | ليلهُو بها الموتُ خَلْفَ الوجودْ..

---

(٢) تذوي: تذبل.
(٣) اربدّ: صار أغبر اللّون.
(٤) العهيد: القديم العهد.
(٥) البرود: نوع من الألبسة.
(٦) النّجود: جمع نجد، وهو الأرض المشرفة المرتفعة.

وَيَنْشُرَهَا في الفراغِ المُخِيفِ كما تنشرُ الوردَ رِيحٌ شَرودْ
فينضُبُ يمٌّ الحياةِ، الخضمُّ ويخمدُ روحُ الرَّبيعِ، الوَلودْ[7]
فلا يلثمُ النُّورُ سِحْرَ الخُدودِ ولا تُنْبِتُ الأرضُ غضَّ الورودْ؟

★ ★ ★

كبيرٌ على النَّفسِ هذا العَفَاءُ! وَصَعْبٌ على القلبِ هذا الهمودْ![8]
وماذا على القَدَرِ المستَمِرِّ لو استْمرأَ النَّاسُ طعمَ الخلودْ[9]
ولم يُخْفَروا بالخرابِ المحيطِ ولم يُفْجَعوا في الحبيبِ الودودْ[10]
ولم يَسلكوا للخُلودِ المرجَّى سبيلَ الرّدى، وظَلامَ اللّحودْ
فَدَامَ الشَّبابُ، وَسِحْرُ الغرامِ، وفنُّ الرَّبيعِ، وَلُطْفُ الورودْ
وعاش الورى في سَلامٍ، أمينٍ وعيشٍ، غضيرٍ، رخيٍّ، رغيدْ؟[11]
ولكنْ هو القَدَرُ المستبدُّ يَلذُّ له نوْحُنا، كالنّشيدْ!

وكانت بين القبور روح فيلسوف قديم مجهول فجاءت تزور جسمها الذي أصبح رمة بالية في أحشاء التراب، فاشفقت على الشاعر المسكين من آلامه الروحية وحيرته الظامئة، فارادت ان تعلمه الحكمة وتسكب في قلبه برد اليقين فخاطبته بهات الأبيات:

تَبَرَّمْتَ بالعيشِ خوفَ الفناءِ ولو دُمْتَ حيًّا سَئِمتَ الخلودْ
وَعِشْتَ على الأرضِ مثل الجبال جليلاً، رهيباً، غريباً، وَحيدْ
فَلَمْ تَرتشفْ من رُضابِ الحياة ولم تصطَبحْ من رَحيقِ الوجودْ[12]

---

(٧) اليمّ: البحر. الخضمّ: الكثير العطاء.
(٨) العفاء: الزّوال وامّحاء الأثر. الهمود: السّكون.
(٩) استمرأ: تذوّق.
(١٠) خفر: نقض العهد.
(١١) الورى: النّاس. الغضير: النّاعم من كلّ شيء.
(١٢) الرّضاب: الشّراب العذب وأصلها الرّيق.

وما نشوةُ الحبِّ عنـدَ المحبِّ ... وما سِحْرُ ذاك الرَّبيعِ الوليدْ
ولم تدرِ ما فتنةُ الكائنـاتِ ... وما صرخةُ القلبِ عندَ الصّدودْ
ولم تفتكر بالغَدِ المستراب ... ولم تحتفل بالمرامِ البعيدْ[١٣]
وماذا يُرجِّي ربيبُ الخلودِ ... من الكونِ - وهْو المقيمُ العهيدْ؟
وماذا يودُّ وماذا يخافُ ... من الكون - وهو المقيم الأبيدْ -؟
تأمَّلْ..، فإنّ نِظامَ الحياةِ ... نِظَامٌ، دقيقٌ، بديعٌ، فريدْ
فما حبَّبَ العيشَ إلاّ الفناءُ ... ولا زانَه غيرُ خوفِ اللُّحودْ
ولولا شقاءُ الحياةِ الأليمِ ... لما أدركَ النَّاسُ معنى السُّعودْ
ومن لم يرُعْهُ قطوبُ الدّياجيرِ ... لَمْ يغتبطْ بالصّباحِ الجديدْ[١٤]

وراق حديث الروح الشاعر العائش بين الهواتف والأشباح، فقال يحاورها:

إذا لم يكن من لقاءِ المنايا ... مَناصٌ لِمَنْ حلّ هذا الوجودْ[١٥]
فأي غِنَاءٍ لهذي الحياةِ ... وهذا الصّراعِ، العنيفِ، الشَّديدْ
وذاك الجمالِ الذي لا يُملُّ ... وتلك الأغاني، وذاك النَّشيدْ؟
وهذا الظّلامِ، وذاك الضّياءِ ... وتلكَ النُّجومِ، وهذا الصّعيدْ[١٦]
لماذا نمرُّ بوادي الزّمان ... سِراعاً، ولكنّنا لا نَعودْ
فَنَشْرَبَ مِنْ كلِّ نبعٍ شراباً ... ومنه الرّفيعُ، ومنه الزّهيدْ
وَمِنْهُ اللّذيذُ، وَمِنْهُ الكَريهُ، ... وَمِنهُ المشِيدُ، وَمِنهُ المبيدْ
وَنَحْمِلُ عبْئاً من الذّكرياتِ ... وتلكَ العهودِ الّتي لا تعودْ
ونشهدُ أشكالَ هذي الوجوهِ ... وفيها الشّقيُّ، وفيها السَّعيدْ
وفيها البَديعُ، وفيها الشنيعُ، ... وفيها الوديعُ، وفيها العنيدْ

---

(١٣) المستراب: الذي يحيط به الشّكّ والرّيبة.
(١٤) قطوب: عبوس. الدّياجير: الظلمات.
(١٥) مناصّ: بدّ.
(١٦) الصعيد: الأرض.

فيُصبــح منهـــا الولـــيُّ، الحميـــمُ، ويصبـــحُ منهـــا العـــدوُّ، الحقُــودْ
وكـلٌّ - إذا مـا سـألنــا الحيــاةَ - غـريــبٌ لَعَمْــري بهــذا الوجــودْ
أتينــاه مــن عـــالـــمٍ، لا نـــراه فُرادى، فما شـأنُ هــذي الحقُــودْ؟
ومـا شـأنُ هــذا العَـدَاءِ العنيــفِ؟ ومـا شـأنُ هــذا الإخــاءِ الوَدودْ؟

روح الفيلسوف

خُلقِنــا لنبلُـــغَ شـــأوَ الكمــــالِ وَنُصبــحَ أهلاً لمجــدِ الخُلُــودْ[١٧]
وَتَطْهُــرَ أرواحُنَــا فـــي الحيـــاة بنــــــــارِ الأَســــــــى....[١٨]
وَنَكْسَــبَ مــن عَثَـراتِ الطَّــريــقِ قُــوًى، لا تُهـدُّ بـدأبِ الصُّعـودْ[١٩]
ومجـداً، يكـون لنـا فـي الخلــود أكــاليــلَ مــن رائعـــاتِ الوُرودْ

ومر بالمقبرة سرب من الأرواح، في طريقها الى العالم المجهول، فطارت معها روح الفيلسوف، وخلفت عالم الشك والكآبة لأبنائه البائسين. وظل الشاعر يردد بينه وبين نفسه:

«خلقنـــا لنبلُـــغَ شـــأوَ الكمـــالِ ونُصبـــحَ أهلاَ لمجـدِ الخلـــودْ»

ولكن أفكاره الثائرة التي لا تهدأ كانت لا تزال تلح عليه بالأسئلة الكثيرة المرهقة فقال يناجي روح الفيلسوف التي حسبها ما زالت قريبة منه:

ولكـــنْ إذا مـــا لبسنـــا الخلـــودَ وَنِلنـــا كمـــالَ النُّفـــوسِ البعيـــدْ
فهـــلْ لا نَمَـــلُّ دَوَامَ البقـــاءِ؟ وَهَـلْ لا نَــوَدُّ كمــالاً جــديــدْ
وكيـف يكـونَـنَّ هـذا «الكمـالُ»: ومـاذا تُـرَاه؟ وكيــفَ الحُـدودْ؟

---

(١٧) الشّأو: الغاية.

(١٨) بياض بالأصل والمسوّدة.

(١٩) الدّأب: العادة والشّأن.

وإنّ جمالَ «الكمالِ» «الطُّموحُ» وما دامَ «فكراً» يُرَى من بعيدْ
فما سِحْرُهُ إنْ غدا «واقعاً» يُحَسُّ، وأصبحَ شيئاً شهيدْ؟
وهل ينطفي في النُّفوسِ الحنينُ وتصبحُ أشواقُنا في خُمودْ[20]
فلا تطمحُ النَّفْسُ فوقَ الكمالِ وفوق الخُلودِ لبعضِ المزيدْ؟
إذا لم يَزُل شوْقُها في الخلودِ فذاك لَعَمْري شقاءُ الجُدودْ[21]
وحربٌ، ضروسٌ، كما قد عهدتُ وَنَصْرٌ، وكسرٌ وهمٌّ مديدْ[22]
وإنْ زال عنها فذاكَ الفناءُ وإنْ كان في عَرَصَاتِ الخُلودْ[23]

★ ★ ★

كذلك ناجى الشاعر روح الفيلسوف، ولكنها كانت اذ ذاك بعيدة عنه في عالم بعيد لا يسمع نجواه، وكذلك ضاعت اسئلة الشاعر في ظلمة الليل الذي لا يسمع ولا يجيب.

الى الموت

— 21 —

[من المتقارب]

صَبِيَّ الحياةِ، الشَّقِيَّ العنيدْ أَلَا قَدْ ضَلَلْتَ الضَّلالَ البعيدْ!
أتُنشدُ صوتَ الحياةِ الرخيمَ، وأَنْتَ سَجِينٌ بِهذا الوجودْ؟!
وَتَطْلُبُ وَرْدَ الصَّبَاحِ المخـ ضّبَ مِنْ كَفِّ حَقْلٍ، حَصِيْدٍ!؟[1]
إلى الموتِ! إن شِئْتَ هَوْنَ الحيـ اة، فَخَلْفَ ظلامِ الرَّدى مَا تُرِيدْ...

★ ★ ★

---

(٢٠) الخمود: سكون النّار.
(٢١) الجدود: الحظوظ.
(٢٢) الضّروس: الشّديدة المهلكة.
(٢٣) عرصات: ساحات.
(١) البيت مختلّ الوزن: تنقصه تفعيلة.

إلـى المـوت! يـا ابـنَ الحيـاةِ التعيسَ، فَفِـي المـوتِ صَـوْتُ الحيـاةِ الرخيـمْ
إلـى المـوتِ؟ إن عـذّبَتـكَ الدُّهـورُ، فَفِـي المـوتِ قَلْـبُ الدُّهـورِ الرَّحيـمْ
إلـى المـوت! فـالمـوتُ رُوحٌ جميـلٌ، يُـرَفْـرِفُ مِـنْ فـوق تَلْـكَ الغُيـومْ
فَـرُوحـاً بِفَجْـرِ الخُلُـودِ البهيـجِ، وَمَـا حَـوْلَـهُ مِـنْ بَنَـاتِ النُّجـومْ...

★ ★ ★

إلـى المـوت! فـالمـوتُ جـامٌ رَوِيٌّ لِمَـنْ أظمَـأَتْـهُ سُمُـومُ الفَلاةْ[٢]
وَلَسْتَ بـراوٍ - إذا مـا ظَمِئْـتَ - مـن المنبـعِ العـذْبِ قَبْـلَ المَمَـاتْ
فمـا الدَّمْـعُ إلا شـرابُ الدُّهـورِ، ومـا الحـزنُ إلاَّ غِـذَاءُ الحَيَـاةْ
إلـى المـوتِ! فـالمـوتُ مهـدٌ وثيـرٌ، تَنَـامُ بـأحضـانـه الكَـائِنـاتْ[٣]

★ ★ ★

إلـى المـوت! إن حَـاصَـرَتْـكَ الخُطـوبُ، وَسَـدَّتْ عليـكَ سَبِيـلَ السَّلامْ
ففـي عـالَـمِ المـوتِ تَنْضُـو الحيـاةُ رِدَاءَ الأَسـى، وَقِنَـاعَ الظَّلامْ[٤]
وتبـدو، كمـا خُلِقَـتْ غَضَّـةً يَفِيـضُ عَلـى وَجْهِهَـا الابْتِسَـامْ
تُعِيـدُ عليهـا ظِلالَ الخلـودِ، وتهفـو عليهـا قُلُـوبُ الأَنَـامْ

★ ★ ★

إلـى المـوتِ! لا تَخْشَ أعمـاقَـه ففيهـا ضيـاءُ السَّمـاءِ الوَدِيـعْ
وفيهـا تَمِيسُ عـذارى السَّمـاءِ، عـوارِيَ، يُنْشِـدْنَ لَحْنـاً بَـديـعْ...[٥]
وفـي رَاحِهِـنَّ غُصُـونُ النَّخيـلِ يُحَـرِّكْنَهَـا فـي فَضَـاءٍ يَضُـوعْ...[٦]

---

(٢) جام: إناء من فضة يتخذ للشّراب. سموم: رياح حارّة. الفلاة: الصّحراء.
يقول: إنّ الموت هو الخلاص الوحيد لمن أظلمت بوجهه هذه الدّنيا.
(٣) وثير: ناعم.
(٤) نضا الثوب: خلعه.
(٥) تميس: تختال.
(٦) يضوع: يفوح عطره.

تضـيءُ بـهِ بَسَمَـاتُ القُلـوبِ، وتخبـو بـه حَسَـراتُ الدُّمُـوعْ[7]

★ ★ ★

هـو المـوتُ طيـفُ الخلـودِ الجميـلُ، وَنِصْـفُ الحيـاةِ الذي لا يَنُـوحْ
هنـالـكَ... خلـفَ الفَضَـاءِ البعيـدِ، يَعِيشُ المنـونُ القَـوِيُّ الصَّبُـوحْ
يَضُـمُّ القُلـوبَ إلـى صَـدْرِهِ، ليـأسـوَ مَـا مَضَّهـا مِـنْ جُـروحْ[8]
ويبعـثَ فِيهـا رَبِيـعَ الحيـاةِ، وَيُبْهِجَهَـا بـالصَّبَـاحِ الفَـرُوحْ[9]

قلب الشّاعر

– 22 –

[من الرّمل]

كـلُّ مـا هـبَّ، ومـا دبَّ، ومـا ... نامَ، أو حـامَ على هـذا الوجـودْ[1]
مِـنْ طيـورٍ، وَزُهـورٍ، وشـذًى ... وينـابيـعَ، وأغصـانٍ تميـدْ[2]
وبحـارٍ، وكهـوفٍ، وذُرًى ... وبـراكيـنَ، ووديـانٍ، وبيـدْ[3]
وضيـاءٍ، وظلالٍ، ودجًـى، ... وفصـولٍ، وغيـولٍ، ورعـودْ[4]
وثلـوجٍ، وضَبـابٍ عَـابـرٍ، ... وأعَـاصيـرَ، وأمطـارٍ تجـودْ
وتعـاليـمَ، وَدِيـنٍ، ورؤًى ... وأحـاسيسَ، وَصَمْـتٍ، ونشيـدْ
كلُّهـا تحيـا بقلبـي، حـرّةً ... غَضَّـةَ السِّحْرِ، كـأطفالِ الخُلـودْ

★ ★ ★

(٧) يخبو: يخمد، يهدأ.
(٨) مضّ: آلم. أي أنّ لا خلاص للإنسان المعذّب إلا بالموت.
(٩) الفَروح: الشّديد الفرح، واستعمال هذا الاشتقاق نادر.
(١) دبّ: مشى مشياً بطيئاً.
(٢) الشّذى: الرّائحة الزّكيّة. ماد: تحرّك واضطرب.
(٣) بيد: جمع بيداء، وهي الصّحراء.
(٤) غيول: جمع غيل، وهو الشّجر الكثيف الملتفّ.

هٰهُنا، في قلبيَ الرحْب، العميقْ يرقُصُ الموتُ وأطيافُ الوجودْ
هٰهُنا، تَعْصِفُ أهوالُ الدُّجى ههنا، تخفُقُ أحلامُ الورودْ
هٰهنا، تهتُفُ أصداءُ الفَنا ههنا، تُعزَفُ ألحانُ الخلودْ
هٰهنا، تَمْشي الأماني، والهوى، والأسى، في مَوْكبٍ فخْمِ النَّشيدْ
هٰهنا الفجْرُ الذي لا ينتهي ههنا اللَّيلُ الذي ليسَ يَبِيدْ[٥]
هٰهنا، ألفُ خِضَمٍّ، ثائرٍ خالدِ الثَّورةِ، مجهولِ الحُدودْ[٦]
هٰهنا، في كلِّ آنٍ تَمَّحي صُوَرُ الدُّنيا، وتبدو من جَديدْ

رثاءُ فجري

– 23 – [من الكامل]

يا أيُّها الغَابُ، المُنَمَّقُ بالأشعَّةِ والورْدْ!
يا أيُّها النّورُ النَّقيُّ! وأيُّها الفجرُ البعيدْ!
أينَ اختفيتَ؟ وما الذَّي أقْصاكَ عن هذا الوجودْ
آهٍ! لقدْ كانتْ حَياتي فيكَ حالمةً، تَميدْ[١]
بين الخمائلِ، والجداولِ، والتّرنّمِ، والنَّشيدْ
تُصغي لنجواكَ الجميلةِ، وهي أغنِيةُ الخلودْ
وتعيشُ في كونٍ من الغَفَلات، فتَّانٍ، سَعيدْ
آه! لقد غنّى الصَّباحُ، فَدَمْدَمَ اللَّيلُ العَتِيدْ[٢]
وتألَّق النَّجْمُ الوضِيءُ، فَأَعْتَمَ الغيمُ الرَّكُودْ
ومضى الرّدى بِسَعَادتي، وقضى على الحُبِّ الوَلِيدْ

---

(٥) يبيد: يزول وينتهي.
(٦) الخضمّ: البحر العظيم.
(١) تميد: تضطرب وتتحرّك.
(٢) دمدم: غضب.

المجد

[من الطويل] — 24 —

يَوَدُّ الفتى لَو خَاضَ عَـاصِفَـةَ الرَّدَى ... وَصَدّ الخميسَ المَجْرَ والأسَدَ الوَرْدا[١]

لِيُدْرِكَ أمجادَ الحُـروبِ، ولَـوْ دَرى ... حَقِيقَتَهَـا مَـا رام مِـنْ بيْنها مَجْـدا

فَما المجدُ في أنْ تُسْكِرَ الأرضَ بالدِّما ... وَتَرْكَبَ في هَيْجَائها فَرسـاً نهْـدا[٢]

ولكنَّــهُ فــي أنْ تَصُــدَّ بِهِمَّــةٍ ... عَن العالم المرْزُوءِ، فيْضَ الأَسى صَدّا[٣]

صلوات في هيكل الحبّ

[من الخفيف] — 25 —

عذْبَةٌ أنتِ كـالطُّفـولـةِ، كـالأحلام ... كـاللّحـنِ ، كـالصّبـاحِ الجـديـدِ

كالسَّماء الضَّحُوكِ كـالليلـةِ القمـراءِ ... كـالـوردِ، كـابتسـامِ الوليـدِ

يـا لهـا مـن وَداعـةٍ وجمـالٍ ... وَشَبـابٍ منعَّـمٍ أمْلُـودِ![١]

يـا لهـا مـن طهـارةٍ، تبعـثُ التقـديـ ... سَ فـي مهجـة الشَّقـيِّ العنيـدِ!...

يـا لهـا رقَّـةً تَكـادُ يَـرفُّ الوَرْ ... دُ منهـا فـي الصّخْـرةِ الجُلْمُـودِ!

أيُّ شيء تُراكِ؟ هل أنـتِ « فينيسُ» ... تَهـادتْ بيـن الورى مِـنْ جـديـدِ[٢]

لتُعيـدَ الشَّبـابَ والفـرحَ المعسـولَ للعـالـمِ التَّعِيسِ العميـدِ![٣]

---

(١) الخميس: الجيش المؤلّف من خمسة فرق. المجْر: الجيش العظيم. الورْد: الأسد الشّجاع.

(٢) الهيجاء: الحرب. النّهد من الفرسان: الجميل، والجسيم، والمشرف.

(٣) المرزوء: من الرّزء، وهي المصيبة. يريد القول أنّ البطولة الحقّة هي في ردّ الظّلم عن بني البشر.

(١) الأملود: النّاعم اللّيّن.

(٢) فينيس: إلٰهة الجمال عند اليونان.

(٣) العميد: الشّديد الحزن.

أم ملاكُ الفـردوس جـاءَ الى الأر ... ض لِيُحيي روحَ السَّلامِ العهيدِ![٤]
أنتِ.. ما أنتِ؟ أنتِ رسمٌ جميلٌ ... عبقريٌّ مِنْ فنِّ هذا الوجودِ
فيكِ ما فيه من غموضٍ وعُمْقٍ ... وَجَمالٍ مقَدَّسٍ معبودِ
أنتِ.. ما أنتِ؟ أنتِ فَجْرٌ من السّحرِ ... تجلّى لقلبيَ المعمودِ[٥]
فأراه الحياةَ في مُونِقِ الحُسْنِ ... وجلّى له خفايا الخلودِ[٦]
أنتِ روحُ الرَّبيعِ، تختالُ في الدّنيا فتهتزُّ رائعاتُ الورودِ
وتهبُّ الحياة سكرَى من العِطْرِ، ويدْوي الوجودُ بالتَّغْريدِ
كلما أبْصَرَتْكِ عينايَ تمشين ... بخطوٍ موقَّعٍ كالنّشيدِ
خَفَقَ القلبُ للحياة، ورفّ الزّهرُ في حقلِ عمريَ المجرودِ[٧]
وانتشتْ روحيَ الكئيبةُ بالحبِّ ... وَغَنَّتْ كالبلبلِ الغرِّيدِ
أنتِ تُحيينَ في فؤاديَ ما قدْ ... ماتَ في أمسيَ السَّعيدِ الفقيدِ
وَتُشيدينَ في خرائبِ روحي ... ما تلاشى في عهديَ المجدودِ[٨]
من طموحٍ إلى الجمال إلى الفنِّ، ... إلى ذلك الفضاءِ البعيدِ
وتَبُثِّينَ رقّةَ الشّوقِ، والأحلامِ ... والشّدوِ، والهوى، في نشيدي
بعد أن عانقتْ كآبةُ أيّامي ... فؤادي، وألجمتْ تغريدي
أنتِ أنشودةُ الأناشيدِ غنّاكِ ... إلٰه الغناءِ، ربُّ القصيدِ
فيكِ شبّ الشَّبابُ، وشَّحهُ السِّحْرُ ... وشدوُ الهوى، وَعِطْرُ الورودِ
وتراءى الجمالُ، يَرْقُصَ رقصاً ... قُدُسيّاً، على أغاني الوجودِ
وتهادتْ في أفْقِ روحِكِ أوْزانُ ... الأغَاني، وَرِقّةُ التّغريدِ
فَتَمايلتِ في الوجود، كلحنٍ ... عبقريِّ الخيالِ حلوِ النَّشيدِ:

---

(٤) العهيد: القديم. يشير إلى الملائكة التي تشارك المرأة في صفات الجمال.
(٥) المعمود: الحزين.
(٦) المونق: الحسن المعجب. كأنّما يقول إنّ جمال الوجود مُستمد من جمال المرأة.
(٧) المجرود: الذي يغمره القحط. أي أنّ الحياة جرداء بدون المرأة.
(٨) المجدود: اليابس. الخمرة هي مصدر كلّ إلهام ووحي.

خطواتٌ، سكرانةٌ بالأناشيد، وصوتٌ، كَرَجْعِ ناي بعيدِ
وَقوامٌ، يَكَادُ يَنْطُقُ بالألحان في كلِّ وقفةٍ وقعودِ
كلُّ شيءٍ موقَعٌ فيكِ، حتّى لَفْحَةُ الجيدِ، واهتزازُ النّهودِ[9]
أنتِ.. أنتِ الحياةُ في قدْسها السّامي، وفي سِحْرها الشَّجيِّ الفريدِ
أنتِ.. أنتِ الحياةُ، في رِقّةِ الفجر في رونق الرَّبيعِ الوليدِ
أنت.. أنتِ الحياةُ، كلَّ أوانٍ في رُواءٍ من الشَّبابِ، جديدِ[10]
أنتِ.. أنتِ الحياةُ فيكِ وفي عيْنَيْكِ آياتُ سحرها الممدُودِ
أنتِ دنيا من الأناشيدِ والأَحْلام والسِّحْرِ والخيال المديدِ
أنتِ فوقَ الخيالِ، والشِّعرِ، والفنِّ وفوْقَ النُّهَى وفوقَ الحُدودِ
أنتِ قُدْسي، ومعبدي، وصباحي، وربيعي، وَنَشْوَتِي، وَخُلودي

★ ★ ★

يا ابنةَ النُّور، إنَّني أنا وحْدي من رأى فيكِ رَوْعَةَ المَعْبُودِ
فدعيني أعيشُ في ظِلّك العذْبِ وفي قُرْبِ حُسْنِكِ المَشْهودِ
عيشةً للجمال والفنّ والإلهام والطُّهْر، والسَّنى، والسُّجودِ
عيشةَ النَّاسِكِ البتُولِ يُنَاجي الرّبَّ في نَشْوَةِ الذُّهول الشَّديدِ[11]
وامنحيني السلامَ والفرحَ الرُّوحيَّ يا ضَوْءَ فَجْرِيَ المنشودِ
وارحميني، فقد تهدّمتُ في كونٍ من اليأسِ والظّلامِ مَشيدِ
أنقذيني من الأسى، فَلَقَدْ أَمْسَيْتُ لا أستطيعُ حملَ وجودي
في شِعَابِ الزَّمان والموت أمشي تحت عبءِ الحياة جَمَّ القيودِ
وأماشي الورَى ونفسيَ كالقبرِ، وقلبي كالعالم المهدُودِ:
ظُلْمةٌ، ما لها ختامٌ، وهولٌ شائعٌ في سكونها الممدودِ

---

(٩) الجيد: أعلى الصّدر.

(١٠) الرّواء: حسن المنظر.

(١١) الذّهول: الغياب عن الرّشد.

وإذا مـا اسْتخفّني عَبَثُ النَّـاس ... تبسَّمـتُ فـي أسَـىً وجُمُـودِ
بَسْمَـةً مـرّةً، كـأنّـي أستـلُّ ... مـن الشَّـوكِ ذابلاتِ الورودِ
وانْفخي في مَشَاعِري مَرَحَ الدُّنيا ... وشُدّي مِـنْ عـزمـيَ المجهـودِ
وابعثي فـي دمي الحَـرَارةَ، عَلّـي ... أتغنَّى مـع المنى مِـنْ جَـديـدِ
وأبـثُّ الوُجـودَ أنْغـامَ قلـبٍ ... بُلْبُلـيٍّ، مُكَبَّـلٍ بـالحـديـدِ
فالصَّبـاحُ الجميـلُ يُنعِشُ بـالـدِّفْءِ ... حيـاةَ المحطَّـمِ المكـدودِ[١٢]
أنْقـذينـي، فقـد سئمـتُ ظلامـي! ... أنقذيني، فَقَـدْ مَلِلـتُ ركـودي![١٣]

* * *

آه يا زهـرتـي الجميلـةَ لـو تـدريـنَ ... مـا جـدَّ فـي فـؤادي الوحيـدِ
في فؤادي الغـريـبِ تُخْلَـقُ أكـوانٌ ... من السّحر ذاتُ حُسْنٍ فـريـدِ
وشمـوسٌ وضّـاءةٌ ونُجُـومٌ ... تَنْثُرُ النُّـورَ فـي فَضَـاءٍ مـديـدِ
وربيعٌ كـأنّـه حُلُـمُ الشّـاعـرِ ... فـي سَكـرة الشَّبـاب السَّعيـدِ
وريـاضٌ لا تعـرف الحَلَـكَ الدَّاجـي ... ولا ثـورةَ الخَـريـفِ العتيـدِ
وَطُيـورٌ سِحْـرِيَّـةٌ تتنـاغَـى ... بـأنـاشيـدَ حلـوةِ التَّغـريـدِ[١٤]
وقصورٌ كـأنّهـا الشَّفَـقُ المخضُـوبُ ... أو طلعـةُ الصَّبـاحِ الوَليـدِ
وغيـومٌ رَقيقـةٌ تتهـادى ... كـأباديـدَ مـن نُثَـارِ الورودِ[١٥]
وحيـاةٌ شعـريّـةٌ هـي عنـدي ... صُـورةٌ مِـنْ حَيـاةِ أَهْـلِ الخلـودِ
كـلُّ هـذا يَشِيـدُهُ سِحْـرُ عينيـكِ ... وإلهـامُ حُسْنِـكِ المعبـودِ
وحـرامٌ عليـكِ أَنْ تهـدمـي مـا ... شَادهُ الحُسْنُ فـي الفـؤاد العميـدِ[١٦]

---

(١٢) المكدود: المغلوب.

(١٣) الرّكود: الجمود والسّكون.

(١٤) تتناغى: تتبادل الكلام اللّطيف.

(١٥) أباديد: متفرّقة. النّثار: الشّيء المنثور.

(١٦) العميد: الحزين.

وحـــرامٌ عليـــكِ أنْ تسْحَقـــي آمـــالَ نفسٍ تصبـــو لِعَيشٍ رغيـــدِ
منـكِ تـرجـو سَعَـادةً لـم تجـدْهَـا   فـي حيـاةِ الوَرى وَسِحْـرِ الوجـودِ
فـالإلـهُ العظيـمُ لا يَـرْجُـمُ العَبْـدَ   إذا كـــان فـــي جَلال السُّجـــودِ

قلت للشِّعر

– 26 –

[من الخفيف]

أنتَ يَـا شِعْـرُ، فلـذةٌ مِـنْ فـؤادي   تَتَغنّـــى، وَقِطْعـــةٌ مِـــنْ وُجُـــودي
فيكَ مَا فـي جـوانحـي مِـنْ حَنيـنٍ   أبـــديٍّ إلـــى صَميـــمِ الوُجـــودِ
فيكَ مَا فـي خـواطـري مـن بكـاءٍ   فيك مـا فـي عـواطفـي مِـنْ نَشيـدِ
فيكَ ما في مَشَـاعـري مِـنْ وُجـومٍ   لا يُغَنّي، وَمِـنْ سُـرورٍ عَهيـدِ[1]
فيـكَ مـا فـي عَـوَالمـي مِـنْ ظلامٍ   سَـرْمـديٍّ، وَمِـنْ صَبَـاحٍ وَليـدِ
فيكَ مـا فـي عَـوَالمـي مـن نجـومٍ   ضَـاحكـاتٍ خَلْـفَ الغَمـامِ الشَّـرُودِ
فيكَ ما فـي عَـوَالمـي مـن ضَبَـابٍ   وَسَـــرابٍ، ويقظـــةٍ، وَهُجُـــودِ
فيكَ ما فـي طفـولتـي مِـنْ سلامٍ،   وابتســـامٍ، وغبطـــةٍ، وَسُعـــودِ
فيـكَ مـا فـي شبيتـي مـن حنيـنٍ،   وشجـــونٍ، وَبَهْجـــةٍ، وَجُمـــودِ
فيكَ - إن عـانـق الرَّبيـعُ فـؤادي -   تتثنّـــى سَنَـــابلـــي وَوُرُودي[2]
ويغنّي الصَّبَـاحُ أنشـودةَ الحـبِّ،   علـــى مَسْمَـــعِ الشَّبـــابِ السَّعيـــدِ
ثُـمَّ أجْني فـــي صَيْـفِ أحلامـيَ   السّاحِـرِ مـا لَـذَّ مـن ثمـارِ الخُلـودِ
فيك يبـدو خـريـفُ نَفْسي مَلُـولاً،   شَـاحِـبَ اللّـون، عَـاريَ الأُمْلُـودِ[3]
حَلَّلْتـه الحَيـاةُ بـالحَـزَنِ الدّا   مـي وَغَشَّتْـهُ بـالغيـومِ السُّـودِ

---

(١) العهيد: القديم.
(٢) تتثنّى: تتمايل.
(٣) الأملود: الناعم الليّن من النّاس والشّجر.

فيكَ يمشي شِتَاءُ أيّامِيَ البا ... كي، وتُرغي صَوَاعقي وَرُعُودي[٤]
وَتَجِفُّ الزُّهورُ في قلبيَ الدّا ... جي، وتَهْوِي إلى قرارٍ بعيدِ..
أنت يا شِعْرُ قصةٌ عَنْ حياتي ... أنتَ يا شعرُ صورةٌ مِنْ وُجودي
أنت يا شعرُ - إنْ فَرِحْتُ - أغاريدي ... - وإنْ غنَّتِ الكآبةُ - عُودي
أنت يا شعرُ كأسُ خمرٍ عجيبٍ ... أتلهَّى به خِلال اللُّحودِ..!
أتحسَّاهُ في الصَّباحِ، لأنسى ... ما تقضَّى في أمسيَ المَفْقُودِ[٥]
وأناجيه في المساءِ، لِيُلْهِيَني ... مَرآهُ عَنْ الصَّباحِ السَّعيدِ[٦]
أنت مَا نِلْتُ من كهوفِ اللَّيالي ... وتصفَّحتُ مِنْ كتابِ الخُلودِ
فيك ما في الوجودِ مِنْ حَلَكٍ، دا ... جٍ، وما فيه من ضياءٍ، بَعيدِ
فيك ما في الوجودِ من نَغَمٍ، ... حُلْوٍ، وما فيه مِن ضَجيجٍ، شَديدِ
فيك ما في الوجودِ مِنْ جَبَلٍ، وعْرٍ، وما فيه من حَضِيضٍ، وَهِيدِ
فيك ما في الوجود من حَسَكٍ، يُدْمِي، وما فيه مِن غَضِيضِ الوُرودِ
فيك ما في الوجود...، حَسْبَ بنو الأرض قصيدي، أمْ لَمْ يُحبُّوا قَصيدي
فسواءٌ على الطُّيورِ - إذا غنَّتْ - هُتافُ السَّؤُوم والمُسْتَعيدِ
وسواءٌ على النّجومِ - إذا لاحتْ - سكونُ الدُّجى وَقَصْفُ الرُّعودِ
وسواءٌ على النّسيمِ أفي القفرِ تُغَنّي، أمْ بين غضِّ الوُرودِ
وسواءٌ على الورودِ، أفي الغيرانِ فَاحَتْ، أم بين نَهْدٍ وَجِيدِ[٧]

---

(٤) أرغى: غضب وضجّ.
(٥) اتحسّاه: أشربه.
(٦) العَنَت: الضّيق والشدّة.
(٧) الغيران: جمع غار، وهو الكهف أو المغارة

طريق الهاوية

— 27 — [من الخفيف]

يا عَذَارى الجمال ، والحُبِّ، والأحلامِ ،	بَـلْ يـا بَهَـاءَ هـذا الوجـودِ!
خُلِـقَ البُلبـلُ الجَميـلُ ليشـدو	وَخُلِقْتُـنَّ للغـرامِ السَّعيـدِ
والوُجـودُ الرحيـبُ كـالقَبْـرِ، لـولا	مـا تُجَلِّيـنَ مِـنْ قُطـوبِ الوُجـودِ[١]
والحيـاةُ التـي تخـرُّ لهـا الأحْلامُ	مـوتٌ مُثَقَّـلٌ بـالقُيـودِ...
والشَّبابُ الحبيـبُ شيخـوخـةٌ تسعـى	إلى الموت فـي طـريـق كَـؤُودِ..[٢]
والرَّبيـعُ الجميـلُ فـي هـاتـه الدُّنيـا	خـريـفٌ يُـذْوي رفيـفَ الوُرودِ..[٣]
والوُرودُ العِذَابُ فـي ضفّـة الجَـدول	شَـوْكٌ، مُصَفَّـحٌ بـالحـديـدِ...
والطُّيـورُ التـي تُغنّـي، وتقضـي	عيْشَهـا فـي تـرنُّـمٍ وَغَـريـدِ؟
إنَّها في الوجـودِ تشكـو إلـى الأيّـام	عِـبءَ الحَيـاةِ بـالتَّغْـريـدِ..
والأنَـاشِيـدُ؟ إنَّهـا شَهَقَـاتٌ	تَتَشَظّى مِـنْ كُـلِّ قَلْـبِ عَميـدِ..[٤]
صُـورَةٌ للـوجـودِ شـوهـاءُ، لـولا	شفـقُ الحُسْـنِ فـوقَ تلـكَ الخُـدودِ

★ ★ ★

يـا زهـورَ الحيـاةِ، للحـبِّ أنتـنَّ	ولكنَّـهُ مخيـفُ الورودِ
فَسَبِيـلُ الغـرامِ جَـمُّ المهـاوي	وَافرُ الهـولِ ، مُسْتَرابُ الصَّعيـدِ[٥]
رُغْـمَ مـا فيـه مـن جمـال ، وفـنٍّ	عبقـريٍّ، مـا إنْ لَـهُ مِـنْ مَـزيـدِ
وَأنـاشيـدَ، تُسْكِـرُ الملأَ الأعلـى،	وتُشْجِـي جَـوَانـحَ الجلمُـودِ[٦]

---

(١) قطوب: عبوس.

(٢) كؤود: شديدة، صعبة.

(٣) رفيف: بريق، ندى.

(٤) تتشظّى: تنتشر. العميد: الذي أضناه العشق.

(٥) مستراب: يُوقع في الشّكّ والريبة. الصعيد: الطّريق.

(٦) جوانح الجلمود: جوانب الصّخر.

وأريجٍ ، يَكَادُ يَذْهَبُ بالألباب ما بين غامضٍ وَشَديدِ[٧]
وَسَبِيلُ الحياةِ رحْبٌ، وأنتنّ اللواتي تَفْرُشْنَهُ بالوُرودِ
إنْ أردتُنَّ أن يكونَ بهيجاً رَائعَ السِّحْر، ذَا جمالٍ فريدِ
أو بشوكٍ، يُدمِي الفَضيلةَ والحُبَّ ويقضي على بهاءِ الوُجودِ
إنْ أردتُنّ أنْ يكونَ شنيعاً، مُظْلِمَ الأُفْقِ ميِّتَ التَّغريدِ

الجمال المنشود

– 28 – [من الخفيف]

يا عَذَارى الجمال ، والحُبِّ، والأحلامِ ، بَلْ يَا بَهَاءَ هذا الوُجُودِ
قد رأَيْنا الشُّعُورَ مُنْسَدِلاتٍ كلّلَتْ حُسْنَها صباحُ الورودِ[١]
وَرَأينا الجفونَ تَبْسِمُ.. أو تَحْلُمُ بالنُّورِ، بالهوى، بِالنّشيدِ
وَرَأينا الخُدودَ، ضرّجَها السِّحْرُ، فآهاً مِنْ سِحْرِ تلكَ الخُدود[٢]
ورأينا الشِّفاهَ تَبْسِمُ عَنْ دنْيَا من الوَردِ، غَضّةٍ، أُمْلُودِ[٣]
ورأينا النُّهودَ تَهْتَزُّ، كالأزهارِ في نَشْوَةِ الشَّبابِ السَّعيدِ
فتنةٌ، تُوقِظُ الغَرَام وَتُذْكيهِ، وَلكنْ مَاذا وراءَ النُّهُودِ
ما الذي خَلْفَ سِحْرِها الحالمِ، السَّكرانِ، في ذلك القرار البعيدِ..
أَنُفُوسٌ جميلةٌ، كطيورِ الغابِ تَشْدو بِسَاحِرِ التَّغْريدِ
طاهراتٌ، كأنّها أَرَجُ الأزَهارِ في مَولِدِ الرّبيعِ الجَديد؟
وقلوبٌ مضيئةٌ، كنُجومِ اللّيلِ ضَوّاعَةٌ، كَغَضِّ الوُرودِ؟[٤]

---

(٧) الألباب: العقول.
(١) منسدلات: مرسلات.
(٢) ضرّجها: خضّبها، صبغها.
(٣) الأملود: الليّنة، النّاعمة.
(٤) ضوّاعة: فوّاحة بالعطر.

أم ظَلامٌ، كــأنَّــهُ قِطَـعُ اللّيـــلِ وَهَــوْلٌ يُشِيــبُ قلــبَ الوليـــدِ

وخِضَــمٌّ، يَمُــوج بــالإِثْــمِ والنُّكْــرِ، والشَّــرِّ، والظِّلال المَــديـــدِ؟[٥]

لستُ أدري، فـرُبَّ زهـرٍ شــذيٍّ قَــاتِــلٌ رُغْــمَ حُسْنِــهِ المَشْهُــودِ

صَـانَكُـنَّ الإِلٰـهُ مِـنْ ظُلْمَـةِ الرُّوحِ وَمِــنْ ضَلّــةِ الضّميــرِ المُــريــدِ

إنَّ لَيـلَ النُّفــوسِ ليــلٌ مــريـعٌ سَــرْمَـديٌّ الأسـى، شنيـعُ الخُلُــودِ

يــرزَحُ القَلْـبُ فيـه بـالأَلَـم المـرّ، ويَشقَـــى بعيشِـــهِ المَنْكُـــودِ[٦]

وَربيـعُ الشَّبـابِ يُــذبِلُــهُ الدَّهْــرُ، ويمضـــي بِحُسْنِـــهِ المَعْبُـــودِ

غيـرُ بـاقٍ فـي الكـونِ إلاّ جمـالُ الرُّوحِ غضّـاً علـى الزّمـانِ الأبيـدِ

أحلام شاعر

— 29 —

[من الخفيف]

ليتَ لي أنْ أعيشَ فـي هـذه الدّنيا سَعيـــداً بِــوَحْــدتــي وانفــرادي

أَصرِفُ العُمْرَ في الجبالِ، وفي الغاباتِ بيـــنَ الصّنـــوبـــرِ الميَّـــادِ[١]

ليسَ لي من شواغلِ العيشِ ما يصـرف نَفْســي عَــنِ استمـــاعِ فــؤادي

أَرْقُـبُ المـوتَ، والحيـاةَ، وأصغِـي لحـــديـــثِ الآزالِ والآبـــاد

وأغنِّـي مـع البلابـلِ فــي الغـــاب، وَأُصْغِـــي إلـــى خـــريـــرِ الوادي

وَأُناجي النُّجـومَ والفجـرَ، والأَطيـارَ والنّهـــرَ، والضّيـــاءَ الهـــادي

عِيشـةً للجمـال، والفـنّ، أبغيهـا بعيـــداً عَـــنْ أمّتـــي وبلادي

لا أُعَنّـي نفسـي بـأحْـزَانِ شعبـي فَهْــوَ حـيٌّ، يعيش عيشَ الجمادِ![٢]

---

(٥) الخضمّ: البحر العظيم.

(٦) يرزح: ينوء بحمله الثقيل.

(١) الميّاد: المتمايل.

(٢) أعنّي: أتعب.

وبحسبي مِنَ الأسى ما بنفسي مِنْ طَريفٍ مسْتَحْدَثٍ، وتَلاد[٣]

وبعيداً عن المدينةِ، والنّاس، بعيداً عن لَغْوِ تلك النّوادي[٤]

فَهْوَ من مَعْدَنِ السَّخافةِ والإفْكِ ومن ذلك الهُراء العادي[٥]

أينَ هوْ مِنْ خريرِ ساقيةِ الوادي وخفْقِ الصَّدَى، وشدوِ الشّادي

وَحَفيفِ الغصون، نمّقها الطّلُّ وَهَمْسِ النّسيمِ للأوْراد ؟[٦]

هذهِ عِيشةٌ تقدِّسُها نفسي وأدعُو لمجدها وأنادي

أيّتها الحالمة بين العواصف

— 30 — [من الخفيف]

أنتِ كالزهرةِ الجميلةِ في الغاب، ولكنْ مَا بينَ شَوكٍ، ودودِ

والرياحينُ تَحْسَبُ الحسَكَ الشِّرِّيرَ والدُّودَ من صُنوفِ الورودِ[١]

فَافْهمِي النَّاسَ.. ، إنّما النّاسُ خَلْقٌ مُفْسِدٌ في الوجودِ، غيرُ رشيدِ

والسَّعيدُ السَّعيدُ من عاشَ كاللَّيل غريباً في أهلِ هذا الوجودِ

وَدَعِيهِمْ يَحْيَوْنَ في ظُلْمةِ الإثْمِ وَعِيشي في طُهْرِكِ المحمودِ

كالملاك البريءِ، كالوردة البيضاءِ، كالموجِ، في الخِضَمِّ البَعيدِ[٢]

كأغاني الطُّيور، كالشَّفَقِ السَّاحِرِ كالكوكبِ البعيدِ السّعيدِ

كَثُلوجِ الجبال، يغمرُهَا النُّورُ وَتسمو على غُبارِ الصّعيدِ[٣]

أنتِ تحتَ السَّماءِ روحٌ جميلٌ صَاغَهُ اللهُ من عَبيرِ الوُرودِ

---

(٣) الطّريف والتلاد: الجديد والقديم.

(٤) اللغو: ما لا يُعتدّ به ولا يُلتفت إليه من كلام.

(٥) الإفك: الكذب. الهُراء: الكلام الفاسد.

(٦) الطّلّ: النّدى. الأوراد: جمع وردة.

(١) الحَسَك: نبات شائك.

(٢) الخضمّ: البحر العظيم.

(٣) تسمو: ترتفع.

وبنـــو الأرضِ كـــالقُـــرودِ، ومـــا أضْيَـــعَ عِطـــرَ الورودِ بيـــن القـــرودِ!
أنـــتِ مـــن ريشـــة الإلــــه، فلا تُلْقِـــي بفـــنٍّ السّمـــا لِجَهْـــلِ العبيـــدِ
أنـت لـم تُخْلَقـي ليقْـرُبَـكِ النَّـاسُ ولكـــنْ لتُعْبَـــدي مِـــنْ بعيـــدِ...

قال قلبي للاله

— 31 — [من الخفيف]

في جبالِ الهمومِ، أنْبتُّ أغصــانــي فَـرَقَّــتْ بيـــنَ الصُّخُـــورِ بِجُهْـــدِ
وَتَغَشَّــانــيَ الضَّبَــابُ..، فــأورقـــتُ وأزْهَــرتُ للعَـــواصـــفِ، وَحْـــدِي
وتمـايلــتُ فــي الظَّلامِ، وَعَطّــرتُ فَضَـــاءَ الأســـى بـــأنفـــاسِ وَردِي
وبمجدِ الحياةِ، والشـوقِ غنَّيْـتُ..، فلـم تفهـمِ الأعَـاصيـرُ قَصْـدِي[1]
ورَمَـتْ للـوهـادِ أفنـانـيَ الخضْـرَ، وظلّتْ في الثّلْـجِ تحفـر لَحْـدِي[2]
ومَضتْ بـالشَّـذى فَقُلْـتُ: «ستبنـي في مروجِ السّماءِ بالعِطْـر مَجْـدي»
وَتَغَـزَلْـتُ بـالـرَّبيـعِ، وبـالفجـرِ فَمـــاذا ستفعـــلُ الرّيـــحُ بعـــدي»

---

(١) الأعاصير: الرّياح تهبّ بشدّة.

(٢) الأفنان: الأغصان. اللّحد: القبر. يقول الشّاعر إنّه تغنى للجمال في هذه الكون الزّائل ولكنّ نغماته لم تلق الآذان المصغية من الطبيعة، فعسى أن تصل نغماته إلى أذن الخالق، والبيت الأخير يدلّ على أنّ قلب الشّاعر مفعم بالإيمان.

قافية الرّاء

إرادة الحياة

– 32 – [من المتقارب]

إذا الشَّعْـبُ يـومـاً أرادَ الحيـاةَ ... فلا بُـدَّ أنْ يَسْتَجيـبَ القـدرْ
ولا بُـدَّ للَّيْـلِ أنْ ينجلـي ... ولا بُـدَّ للقيـدِ أن يَنْكَسِـرْ
وَمَـنْ لـم يعـانقْـهُ شَـوْقُ الحيـاةِ ... تَبَخَّـرَ فـي جَـوِّهـا ، وانـدَثَـرْ[1]
فـويـلٌ لِمَـنْ لَـمْ تَشُقْـهُ الحيـاةُ ... مـن صَفْعَـةِ العَـدَمِ المنتصـرْ[2]
كـذلـك قـالـتْ لـيَ الكـائنـاتُ ... وحـدَّثَنِـي رُوحُهـا المُستَتِـرْ

★ ★ ★

وَدَمْـدَمَـتِ الرِّيـحُ بيـن الفِجـاجِ ... وفـوقَ الجبالِ وَتَحْـتَ الشَّجـرْ:[3]
«إذا مـا طَمحْـتُ إلـى غَـايـةٍ ... رَكِبـتُ المنى، وَنَسِيتُ الحَـذرْ»
«ولـم أتجنَّـبْ وُعُـورَ الشِّعـابِ ... ولا كُبَّـةَ اللّهَـبِ المُستَعِـرْ»[4]
«وَمَـنْ لا يحـبُّ صُعُـودَ الجبـالِ ... يَعِشْ أبَـدَ الدَّهْـرِ بيـنَ الحُفَـرْ»

---

(١) اندثر : بلي وامّحى.
(٢) شاق: مال إلى. الصفعة: الضّرب بصفحة اليد على القفا، وقد استعملها الشّاعر استعمالاً مجازيّاً.
(٣) دمدم: غضب. إنّ الشّاعر مدين في شهرته بعض الشّيء إلى هذه القصيدة التي جعلت منه مناضلاً سياسيّاً على المستوى القومي.
(٤) الشّعاب: مفردها شعبة، وهي الطّريق. الكُبَّة: الحملة والدّفعة في الحرب. المستعر: الملتهب.

فَعَجَّتْ بقلبي دماءُ الشَّبابِ   وضجَّت بصدري رياحٌ أُخَرْ...
وأطرقتُ، أُصغي لقصفِ الرُّعودِ   وعزفِ الرّياحِ، ووَقْعِ المَطَرْ[5]

★ ★ ★

وَقَالتْ ليَ الأرضُ - لما سألتُ: أيا أمُّ هل تكرهينَ البَشَرْ؟»:
«أُبارِكُ في النَّاسِ أهلَ الطُّموحِ ومَنْ يَسْتَلِذُّ ركوبَ الخطرْ»
«وأَلْعنُ مَنْ لا يماشي الزَّمانَ، ويقنعُ بالعيْشِ عيشِ الحجرْ»
«هو الكونُ حيٌّ، يحبُّ الحياةَ ويحتقرُ الميْتَ، مَهْمَا كَبُرْ»
«فلا الأفْقُ يحضُنُ ميْتَ الطُّيورِ، ولا النَّحْلُ يلثِمُ ميْتَ الزَّهَرْ»[6]
«ولولا أمُومةُ قلبي الرَّؤومُ لَمَا ضمَّتِ الميْتَ تلكَ الحُفَرْ»[7]
«فويلٌ لِمَنْ لم تَشُقْهُ الحَياةُ، منْ لعنةِ العَدَمِ المنتصرْ!»

★ ★ ★

وفي ليلةٍ من ليالي الخريفِ مثقَّلةٍ بالأسى والضَّجَرْ
سَكرتُ بها من ضياءِ النُّجومِ وغنَّيْتُ للحُزْنِ حتّى سَكِرْ
سألتُ الدُّجى: هل تُعيدُ الحياةُ لما أذبلته ربيعَ العُمُرْ؟
فلم تَتَكَلّمْ شِفَاهُ الظّلامِ ولم تترنَّمْ عذارى السَّحَرْ
وقال ليَ الغابُ في رقَّةٍ محبَّبَةٍ مِثْلَ خفْقِ الوترْ:
«يجيءُ الشِّتاءُ، شتاءُ الضّبابِ، شتاءُ الثّلوجِ، شتاءُ المطرْ»
«فينطفىءُ السِّحْرُ، سحْرُ الغُصونِ، وسحرُ الزُّهورِ، وسحرُ الثَّمَرْ»
«وسِحْرُ السَّماءِ الشَّجيُّ الوديعُ، وسِحْرُ المُروجِ، الشهيُّ العَطِرْ»

---

(٥) أطرق: سكت ولم يتكلّم.
(٦) يلثم: يقبّل.
(٧) الرؤوم: الحنون. في هذه الأبيات والأبيات اللاحقة عاطفة تجعل الشاعر في عداد كبار شعراء الرومانطيقية في الأدب العربي.

« وَتَهــوِي الغُصــونُ، وأوراقُهَــا ، وأزهــارُ عهــدٍ حبيــب نَضِــرْ »[8]
« وتلهــو بهــا الرّيــح فــي كُــلّ وادٍ ، ويــدفنهــا السّيــلُ، أَنَّــى عَبَــرْ »
« ويفنـى الجميــعُ كحلْــمٍ بــديــعٍ ، تــألّــقَ فــي مهجــةٍ وانــدَثَــرْ »[9]
« وتبقَــى البُــذورُ، التــي حُمِّلَــتْ ذخيــرةَ عُمْــرٍ جميــلٍ ، غَبَــرْ »
« وذكــرى فصــولٍ ، ورؤيــا حَيــاةٍ، وأشبــاحَ دنيــا ، تلاشــتْ زُمَــرْ »
« معــانِقَــةً - وَهْــي تحــت الضَّبــابِ، وتحْــتَ الثُّلــوجِ ، وتحــتَ المَــدَرْ »[10]
« لِطَيْــفِ الحيــاة الذي لا يُمــلُّ، وقلــبِ الرّبيــعِ الشــذيِّ الخضِــرْ »
« وَحَــالِمــةً بــأغــانــي الطّيــورِ، وعِطْــرِ الزُّهــور، وَطَعْــمِ الثَّمَــرْ »

★ ★ ★

« ويمشــي الزَّمــانُ، فتنمــو صــروفٌ، وتــذوي صــروفٌ، وتحيــا أُخــرْ »[11]
« وتُصبِــحُ أحلامُهَــا يقْظَــةً، مــوَشَّحــةً بغمــوضِ السَّحَــرْ »[12]
« تُسَــائِــلُ: أيــنَ ضَبــابُ الصَّبــاحِ ، وسِحْــرُ المَســاءِ ؟ وضــوءُ القَمَــرْ ؟ »
« وأســرابُ ذاكَ الفَــراشِ الأنيــقِ ؟ وَنَحْــلٌ يغنِّــي، وغيــمٌ يَمُــرْ ؟ »
« وأيــنَ الأشعَّــةُ والكــائنــاتُ؟ وأيــنَ الحيــاةُ التــي أنْتَظِــرْ ؟ »
« ظمئــتُ إلــى النُّــور، فــوق الغصــونِ ! ظمِئــتُ إلــى الظِّــلِّ تحــت الشَّجَــرْ ! »
« ظمِئــتُ إلــى النَّبْــعِ ، بيــن المــروج، يغنِّــي، ويــرقــصُ فــوقَ الزّهَــرْ ! »
ظمئــتُ إلــى نَغَمــاتِ الطُّيــورِ، وهَمْسِ النّسيــمِ ، ولحــنِ المَطَــرْ، »
« ظمئــتُ إلــى الكــون ! أيــن الوجــودُ وأنّــى أرى العــالَــمَ المنتظَــرْ ؟
« هُــو الكــونُ، خلــف سُبَــاتِ الجُمــودِ، وفــي أُفُــقِ اليَقظــاتِ الكُبَــرْ »[13]

---

(٨) النَّضِر: النّاعم.
(٩) تألّق: أشرق. اندثر: بلي وامّحى.
(١٠) المدَر: الطّين اللزّج الذي لا يخالطه رمل.
(١١) الصّروف: المصائب.
(١٢) السّحر: فترة من اللّيل تسبق الفجر.
(١٣) السّبات: النّوم.

« وما هو إلاّ كَخَفْقِ الجناحِ حتّى نما شوقُها وانتصَرْ »
« فصدَّعَتِ الأرضُ من فوقها وأبْصرتِ الكَوْنَ عذبَ الصُّوَرْ »
« وجاء الرَّبيعُ، بأنغامِهِ، وأحلامِهِ، وصِباهُ العَطِرْ »
« وقبَّلها قُبَلاً في الشِّفاه، تُعيدُ الشَّبابَ الذي قد غَبَرْ »[14]
« وقال لها: قد مُنِحْتِ الحياةَ، وخُلِّدْتِ في نَسْلِكِ المدّخَرْ »
« وباركَكِ النُّورُ، فاستقبلي شَبَابَ الحياةِ وخصْبَ العُمُرْ »
« ومن تَعْبُدُ النُّورَ أحلامُه، يُبَارِكُهُ النُّورُ أنَّى ظَهَرْ »
« إليكِ الفَضاءَ، إليكِ الضياءَ، إليكِ الثَّرى، الحالمَ، المزدهرْ! »
« إليكِ الجمالَ الذي لا يَبيدُ! إليكِ الوجودَ، الرَّحيبَ، النَّضِرْ! »[15]
« فميدي - كما شئتِ - فوق الحقولِ، بِحُلْوِ الثِّمارِ وغضِّ الزّهَرْ »[16]
« وناجي النَّسيمَ، وناجي الغيومَ، وناجي النجومَ، وناجي القمَرْ »
« وناجي الحياةَ وأشواقَها، وفتنةَ هذا الوجودِ الأغَرْ »[17]

★ ★ ★

« وشفَّ الدُّجى عن جمالٍ عميقٍ، يُشِبُّ الخيالَ، ويُذكي الفِكَرْ »[18]
« ومُدَّ على الكون سِحْرٌ غريبٌ، يصرّفُهُ ساحرٌ مقتدِرْ »[19]
« وضاءَتْ شموعُ النُّجومِ الوِضَاءِ، وضَاعَ البَخُورُ، بَخُورُ الزّهَرْ »
« ورَفْرَفَ روحٌ، غريبُ الجمال بأجنحةٍ من ضياءِ القَمَرْ »
« ورَنَّ نشيدُ الحياةِ المقدّسُ في هيكلٍ، حالِمٍ، قَدْ سُحِرْ »
« وأُعْلِنَ في الكونِ: أنّ الطموحَ لهيبُ الحياةِ، ورُوحُ الظَّفَرْ »

---

(١٤) غبر: مرّ ومضى.
(١٥) يبيد: يفنى.
(١٦) ماد: تحرّك واضطرب. الغضّ: النّاعم.
(١٧) الأغرّ: الأبيض من كلّ شيء.
(١٨) شفّ: كشف وكان شفّافاً. يُشِبّ: يصيّر شاباً. يُذكي: يُشعِل، يُوقد.
(١٩) يصرّفه: يحوّله، يتصرّف به.

«إذا طَمَحَتْ للحياةِ النُّفوسُ فلا بُدَّ أنْ يستجيبَ القَدَرْ!»[٢٠]

الجنّة الضّائعة

– 33 – [من الكامل]

كَمْ مِنْ عُهودٍ عذبةٍ في عَدْوَةِ الوَادي النَّضيرْ
فِضِّيَّةِ الأسْحَارِ مُذْهَبَةِ الأَصَائلِ والبُكُورْ[١]
كانتْ أرقَّ مِنَ الزُّهورِ، وَمِنْ أغاريدِ الطُّيورْ
وألذَّ من سِحْرِ الصِّبا في بَسْمة الطِّفلِ الغَريرْ
قضّيتُهَا ومعي الحبيبةُ لا رقيبَ ولا نَذيرْ
إلّا الطُّفولةَ حولنا تلهو مَعَ الحُبِّ الصّغيرْ
أيّامَ كانتْ للحَياةِ حَلاوةُ الرّوضِ المَطيرْ
وَطَهَارةُ الموجِ الجَميلِ، وسِحْرُ شَاطئهِ المُنيرْ
وَوَداعةُ العُصفورِ، بينَ جداولِ الماءِ النَّميرْ[٢]
أيّامَ لم نَعْرِفْ مِنَ الدُّنيا سوى مَرَحِ السُّرورْ
وتَتَبُّعِ النَّحْلِ الأنيقِ وقَطْفِ تِيجانِ الزُّهورْ
وَتَسَلُّقِ الجبلِ المُكَلَّلِ بالصَّنَوْبَرِ والصُّخورْ
وبناءِ أكواخِ الطُّفولةِ تَحْتَ أعشاشِ الطُّيورْ
مسقوفةً بالوَرد، والأعْشَابِ، والوَرَقِ النَّضيرْ
نبني، فتهدمُها الرِّياحُ، فلا نضجُّ ولا نَثُورْ

(٢٠) البيت الأخير يعيد القارىء إلى نقطة البداية وربما بإشارة متعمَّدة من الشّاعر، لإضفاء اللّون الوطني والسّياسي على القصيدة، في وقت تفوح من أبياتها رومانطيقيّة قلّما نقع على مثلها عند كبار شعراء الرومانطيقيّة في الغرب.

(١) الأصائل: جمع أصيل، وهو الوقت بين العصر والمغرب.

(٢) النّمير: الزّكي الطّعم والرّائحة.

ونعــودُ نَضْحَــكُ للمــروجِ ، وللــزّنــابــقِ ، والغَــديــرْ
ونخَــاطــبُ الأصــداءَ ، وهْــي تــرِفُّ فــي الوادي المُنيــرْ
ونعيــد أغنيــةَ السَّــواقــي ، وهْــي تَلْغــو بــالخَــريــرْ[٣]
ونَظَــلُّ نَــرْكُــضُ خَلْــفَ أســرابِ الفَــراشِ المُسْتَطيــرْ
ونمرُّ مـا بيــن المــروجِ الخُضْــرِ ، فــي سكــر الشُّعــورْ
نشــدو ، ونــرقــصُ ـ كــالبلابــلِ ـ للحيــاةِ ، وللحُبــورْ[٤]
ونَظَــلُّ ننثُــرُ للفضــاءِ الرّحْــبِ ، والنَّهــرِ الكَبيــرْ
مــا فــي فــؤاديْنــا مِــنَ الأحْلامِ ، أو حُلْــوِ الغــرورْ
ونَشِيــدُ فــي الأُفُــقِ المخَضَّــبِ مِــنْ أمــانينــا قُصــورْ
أزهــى مــن الشَّفَــقِ الجميــل ، ورونــقِ المــرْجِ الخَضيــرْ
وأجــلَّ مــن هــذا الوجــودِ ، وكــلِّ أمجــادِ الدُّهــورْ
أبــداً ، تُــذلِّلُهــا الحيــاةُ بكــلِّ أنــواعِ السُّــرورْ
وَتَبُثُّ فينـا مــن مــراحِ الكَــون مــا يُغــوي الوَقُــورْ[٥]
فنسيــرُ ، نَنْشُــدُ لهــوَنــا المعبــودَ ـ فــي كــلِّ الأمــورْ
ونَظَــلُّ نعبــثُ بــالجليــلِ مــنَ الوُجــودِ ، وبــالحقيــرْ :
ـ بــالسّــائــلِ الأعمــى وبــالمعتــوهِ ، والشّيــخِ الكَبيــرْ
بــالقطَّــةِ البيضــاءِ ، بــالشّــاةِ الوديعــةِ ، بــالحميــرْ
بــالعُشــبِ ، بــالفَنَــنِ المنــوِّرِ ، بــالسَّنــابــلِ ، بــالسَّفيــرْ[٦]
بــالــرَّمْــلِ ، بــالصَّخْــرِ المحطَّــم ، بــالجــداول ، بــالغــديــرْ
واللّهــوُ ، والعَبَــثُ البــريءُ ، الحلــوُ ، مطمحُنــا الأخيــرْ
ونَظَــلّ نقفــزُ ، او نُثَــرثِــرُ ، أو نغنّــي ، أو نَــدُور

---

(٣) لغا : قال باطلاً وأخطأ .

(٤) الحبور : السّرور .

(٥) تبثّ : تبعث . مراح : فرح ، مرح .

(٦) السّفير : ما سقط من ورق الشّجر .

لا نَسْـأَمُ اللَّهْـوَ الجميـلَ، وليس يُـدْرِكُنـا الفُتُـورْ
فكـأنَّنـا نحيـا بـأعصـابٍ مـن المَـرَحِ المُثِيـرْ
وكـأنّنـا نمشـي بـأَقْـدامٍ مجنَّحـةٍ، تَطيـرْ
أيّـامَ كنّـا لُـبَّ هـذا الكـونِ، والبَـاقـي قُشُـورْ[٧]
أيّـامَ تفـرشُ سُبْلَنـا الدُّنيـا بـأوراقِ الزُّهـورْ
وتمـرُّ أيّـامُ الحيـاةِ بنـا، كـأسْـرابِ الطُّيـورْ
بيضـاءَ لاعبـةً، مُغـرِّدةً مجنَّحـةً بِنُـورْ
وتُـرَفْـرفُ الأفـراحُ فـوق رؤوسنـا أنَّـى نَسِيـرْ
آهٍ! تـوارى فَجْـرِيَ القُـدُسـيُّ فـي ليـلِ الدُّهـورْ[٨]
وَفَنَى، كما يفنَى النَّشِيدُ الحلْوُ فـي صَمْـتِ الأثيـرْ[٩]
أوّاهُ، قـدْ ضـاعـتْ علـيَّ سَعَـادةُ القَلْـبِ الغَـريـرْ
وبقيـتُ فـي وادي الزَّمـانِ الجهْـمِ أدأبُ فـي المسيـرْ[١٠]
وأدوسُ أشـواكَ الحيـاةِ بقلبـيَ الدّامـي الكَسيـرْ[١١]
وأرى الأبَـاطيـلَ الكثِيـرةَ، والمـآثـمَ، والشُّـرورْ
وَتَصَـادُمَ الأهـواءِ بـالأهـواءِ فـي كـلِّ الأمـورْ
ومـذلّـةَ الحـقِّ الضَّعيـفِ، وَعِـزّةَ الظُّلْـمِ القَـديـرْ!
وأرى ابـنَ آدمَ سـائـراً فـي رحْلَـةِ العُمُـرِ القَصِيـرْ
مـا بيـنَ أهـوالِ الوجـودِ، وتَحْـتَ أعبـاءِ الضّميـرْ
مُتَسَلِّقـاً جَبَـلَ الحيـاةِ الوعْـرِ، كـالشَّيْـخِ الضّـريـرْ
دامـي الأكُـفِّ، مُمـزّقَ الأقْـدَامِ، مُغْبَـرَّ الشُّعـورْ

(٧) لبّ: قلب.
(٨) تواري: احتجب، اختفى.
(٩) الأثير: الفضاء الممتد وراء الأرض.
(١٠) دأب: اعتاد.
(١١) الكسير: المكسور الجناح.

متــرنِّــحَ الخطــواتِ مــا بيــن المَــزالقِ والصُّخــورْ
هــالتْــهُ أشْبَــاحُ الظَّلام ِ، ورَاعَــهُ صــوتُ القُبــورْ[١٢]
ودويُّ إعْصَــارِ الأســى، والمــوتُ، فــي تلــك الوُعــورْ

★ ★ ★

مــاذا جنيــتُ مــن الحيــاة ومــن تجــاريــبِ الدُّهــورْ
غيْــرَ النــدامــةِ والأســى واليــأسِ والدَّمــعِ الغــزيــرْ؟
هــذا حَصادي مــن حقــولِ العــالَــمِ الرّحْــبِ الخَطيــرْ
هــذا حَصــادي كلُّــهُ، فــي يقظــةِ العَهْــدِ الأخيــرْ

★ ★ ★

قــد كنــتُ فــي زمــنِ الطُّفــولــةِ، والسَّــذَاجــةِ، والطُّهــورْ
أحْيــا كمــا تحيــا البَلابــلُ، والجــداولُ، والزُّهــورْ
لا نَحْفَــلُ، الدنيــا تــدور بــأهلهــا، أو لا تَــدُورْ[١٣]
واليــومَ أحْيــا مُــرْهَــقَ الأعْصــابِ، مَشْبُــوبَ الشُّعــورْ
متــأجِّــجَ الإحْسَــاسِ، أحفــلُ بــالعَظيــمِ، وبــالحقيــرْ
تمشــي علــى قلبــي الحيــاةُ، ويــزحَــفُ الكــونُ الكبيــرْ[١٤]
هــذا مصيــري، يــا بنــي أُمّــي، فمــا أشقــى المصيــرْ!

---

(١٢) هالَ، راعَ: أخافَ، أفزعَ.
(١٣) لا نحفل: لا نكترث، لا نهتمّ.
(١٤) تمشي على قلبي الحياة: أي أنّه يتحمل أعباءها يطلق في البيت الأخير صرخة الوداع من هذه الحياة، والصّرخة حافلة بالأسى والألم اللذين يغمران قلبه.

مأتم الحبّ

– 34 –　　[من مجزوء الرّمل]

لَيْتَ شِعْرِي!
أيُّ طَيرْ
يَسْمَعُ الأَحْزَانَ تَبْكِي　بَيْنَ أَعْمَاقِ القُلُوبْ
ثُمَّ لا يَهْتِفُ فِي الفَجْرِ،　بِرَنَّاتِ النَّحِيبْ
بِخُشُوعٍ، واكتِئَابْ؟

★ ★ ★

لَسْتُ أدري
أيُّ أمرْ
أَخْرَسَ العُصْفُورَ عنِّي،　أَتُرى مَاتَ الشُّعُورْ
فِي جَمِيعِ الكَوْن، حَتَّى　فِي حُشَاشَاتِ الطُّيُورْ؟[1]
أَمْ بَكَى خَلْفَ السَّحَابْ؟

★ ★ ★

فِي الدَّيَاجي[2]
كَمْ أُنَاجي
مَسْمَعَ القَبْرِ، بِغَصَّاتِ نَحِيبِي، وَشُجُونِي
ثُمَّ أُصْغِي، عَلَّنِي أَسْمَعُ تَرديدَ أَنِينِي
فَأرى صَوْتي فَرِيدْ!

★ ★ ★

(١) حشاشات: بقايا الرّوح في المحتضر.
(٢) الدّياجي: الظّلمات.

فأُنَادي:

« يَا فُؤادي »

« مَـاتَ مَـنْ تَهْـوَى! وَهَـذا اللَّحْـدُ قَـدْ ضَـمَّ الحَبيـبْ »[٣]

« فَـابْـكِ يَـا قَلْـبُ بِمَـا فِيـكَ مِـنَ الحُـزْنِ المُـذِيـبْ »

« إبكِ يَا قَلْبُ، وَحِيدْ! »

★ ★ ★

ذُلَّ قَلْبِي،

مَاتَ حُبِّي!

فَـاذْرُفِـي يَـا مُقْلَـةَ اللَّيْـلِ، الدَّرَارِي عَبَـرَاتْ[٤]

حَـوْلَ حِبِّـي، فَهْـوَ قَـدْ وَدَّعَ آفَـاقَ الحَيَـاةْ

بَعْدَ أَنْ ذَاقَ اللَّهِيبْ

★ ★ ★

وَانْدُبِيهْ،

وَاغْسِلِيهْ،

بِـدُمُـوعِ الفَجْـرِ، مِـنْ أكـوابِ زَهْـرِ الزَّنْبَـقِ

وَادْفُنِيـهِ بِجَلالٍ، فِـي ضِفَـافِ الشَّفَـقِ

لِيَرى رُوحَ الحَبيبْ

★ ★ ★

---

(٣) اللّحد: القبر.

(٤) المقلة: العين. الدّراري: الدّموع تشبه الدّرّ.

النَّجوى

— 35 — [من مجزوء الرّمل]

قَفْ قَلِيلاً، أَيُّهَا السَّارِي القَمَر! ... واصْطَبِـــرْ[1]

يَا سَمِيري! فِـي أُوَيْقَـاتِ الكَـدَرْ ... والضَّجَـــرْ

واسقِنِي مِنْ جَدْوَلِ النُّورِ البَـدِيـع ... قَـــدَحَـــا

عَلِّمْنِـي أَفْهَـمَ هَيْنُـومَ الرَّبِيـــعْ ... إِنْ صَحَـــا[2]

كَـمْ فُـؤَادٍ إذْ تَـوَلَّتْـهُ الشُّجُـونْ ... والهمـــومْ[3]

بُـثَّ أَسْلاكَـكَ، وَالدَّمْعُ هَتُـونْ ... مَــا يــرومْ[4]

إنْ تَكُنْ تَضْحَكُ سُـخْـراً بِـالبَشَـرْ ... يَــا قَمَــرْ!

فَلَكَـمْ أَحْـزَنَـكَ الدَّهْـرُ الخَطِـرْ ... بِـــالنُّكُـــرْ[5]

أَيُّها القَامُوسُ يَـا صَـوْتَ الحيـاةْ! ... وَصَـــدَاهَـــا[6]

وَأَغَـانِيهَـا العِـذابَ الشَّـادِيَـاتْ ... وَنَـــدَاهـــا

مَـا لِأَمْـوَاجِـكَ يُطْغِيهَـا الغُـرُورْ ... فَتَثُـــــورْ

ثُمَّ تَأْوِي نَحْوَ هَـاتِيـكَ الصُّخُـورْ ... كَـالكَسِيـرْ؟[7]

أَتُـراهـا تَـذْكُـرُ الأَمْسَ الجَمِيـلْ ... وَسَلاَمَـــــهْ

فَتُحَيِّـي ذَلِـكَ المَجْـدَ النَّبِيـلْ ... بِـــابتِسَــامَـــهْ

---

(١) السّاري: السّائر ليلاً، وقد جعل الصفة قبل الموصوف.

(٢) هينوم: كلام لا يُفهم.

(٣) الشّجون: الأحزان.

(٤) بثّ: نشر وفرّق. الأسلاك: الأنوار المشعّة. هَتُون: يصبّ الدّمع.

(٥) النّكر: الأمر الشّديد القبيح.

(٦) القاموس: البحر العظيم.

(٧) الكسير: المكسور الجناح.

وَتُغَنِّـــي، ثُـــمَّ لاَ تَلْبَـــثُ أَنْ تَحْتَـــوِيهـــا
لَـوْعَـةُ اليَـوْمِ، فَتَبْكِـي وَتَئِـنُّ لِشَقَـاهَـــا[8]

الصَّيْحَة

— 36 — [من المنسرح]

يَـا قَـوْمُ! عَيْنِـيّ شَـامَـتْ لِلْجَهْلِ فِـي الجـوِّ نَـارا[1]
تَتْلُـو سَحَـابـاً رُكَـامـاً يَتْلُـو قَتـامـاً مُثَـارا[2]
يُثِيـرُ فِـي الأَرْضِ رِيحـاً يُهِيـجُ فيهـا غُبـارا
تُلْفِـي الشَّـدِيـدَ صَـرِيعـاً! تُبْقِـي الأَدِيـبَ حِمَـارا
مِنْهَـا الفَضَـاءُ ظَلاَمٌ! وَالنَّـاسُ مِنْهَـا سُكَـارى
قَـدْ أَوْرَثَتْهُـمْ دُوَاراً وَأَعْقَبَتْهُـمْ خُمَـارا[3]
لاَ يَعْـرِفُ المَـرْءُ مِنْهـا لَيْـلاً رَأَى أَمْ نَهَـارا
يَخَـالُ كُـلَّ خَيَـالٍ سَـرَى، تَسَـرْبَـلَ فَـارا[4]

★ ★ ★

يَـا قَـوْمُ سِـرتُـمْ حَثِيثـاً خُطًـى وَرَاءً، كِبَـارا[5]
نَبَـذْتُـمُ الْعِلْـمَ نَبْـذَ الـ ـنَّـوَى قِلـىً، وَصَغَـارا[6]

---

(٨) تئنّ: تتأوّه. إنّ الأمواج الصّاخبة تحنّ إلى يومها الماضي حيث كانت تسبح بهدوء على صفحة الماء.
(١) شامتْ: انتظرتْ وترقّبتْ.
(٢) الرّكام: المتراكم بعضه فوق بعض. القتام: الغبار.
(٣) الدّوار: دوران يصيب الرّأس.
(٤) تسربل: لبس. يريد أنّهم ضعيفو الخيال.
(٥) وراءً: ضخمة، أو إلى الوراء. حثيثاً: سريعاً.
(٦) القلى: البغض. الصّغار: الاحتقار. أيّ أنّهم لحقارتهم رموا العلم كما ترمى القشور الزّائفة، ولبسوا الجهل وجعلوه شعاراً لهم.

لَبِسْتُـم الجَهْـلَ ثَـوْبـاً تَخَـذْتُمُـوهُ شِعَـارا
يَـا قَـوْمُ مَـا لِـي أَرَاكُـمْ قَطَنْتُـمُ الجَهْـلَ دَارا ؟
أَضَعْتُـمُ مَجْـدَ قَـوْمٍ شَـادُوا الحيَـاةَ فَخَـارا
أَبْقَـوا سَمَـاءَ المَعَـالـي بِمَـا أَضَـاءُوا مَنَـارا
حَـاكُـوا لَكُـمْ ثَـوْبَ عِـزٍّ خَلَعْتُمُـوهُ احتِقَـارا
ثـم ارتـديتـمْ ...... لَبُـوسَ خِـزيٍ ، وَعَـارا[7]

★ ★ ★

يَا لَيْـتَ قَـوْمِـي أَصَـاخـوا لِمَـا أَقُـولُ جِهَـارا[8]
يَـا شِعْـرُ! أَسْمَعْـتَ لكِـنْ قَـوْمِـي أَرَاهُـمْ سُكَـارى
فَلا تُبَـالِ إِذَا مَـا أَعْطَـوا نِـدَاكَ ازْوِرَارا[9]
واصبِـرْ عَلَـى مَـا تُلاَقِـي وَٱصْدَعْ، وُقِيتَ العِثَـارا[10]

شكوى ضائعة

— 37 — [من البسيط]

يا ليلُ! ما تصنعُ النَّفْسُ التي سَكَنتْ هذا الوجودَ، ومِنْ أعدائها القَدَرُ؟
ترضى وتَسْكُتُ؟ هذا غيرُ محتَمَلٍ! إذاً، فهل ترفُضُ الدّنيا، وتنتحرُ؟
وَذَا جنونٌ، لَعَمْرِي، كُلُّهُ جَزَعٌ باكٍ، ورأيٌ مريضٌ، كُلُّه خَوَرُ![1]
فإنّما الموت ضَرْبُ من حبائِلِهِ لا يُفلتُ الخلقُ ما عاشوا، فما النَّظرُ؟

(٧) لَبوس: لباس. الخزي: العار.
(٨) أصاخ: استمع. الجهار: العلانية.
(٩) نِداك: نداؤك. الازورار: الميل والانحراف.
(١٠) صَدَعَ: كشف وبيّن. العِثار: المكروه. وعبارة «وقيت» هي دعاء بالسّلامة، وكأنّما يريد أنّ يسلم لتسلم الدّعوة التي ينادي بها وهي نهوض الشّعب من كبوته.
(١) الخَوَر: الضّعف والفتور.

هـذا هـو اللغْـزُ، عَمَّـاهُ وعَقَّـدَهُ ... على الخليقةِ، وَحْشٌ، فاتكٌ حَـذِرُ[2]
قـد كبّـلَ القَـدَرُ الضَّـاري فـرائِسَـهْ ... فما استطاعوا له دفعاً، ولا حـزَروا[3]
وخـاطَ أعينَهـم، كـي لا تُشَـاهِـدَهُ ... عينٌ، فتعلمَ مـا يـأتـي ومـا يَـذَرُ[4]
وَحَـاطَهُـمْ بفنـونٍ مـن حَبَـائِلِـهِ ... فمـا لَهُـمْ أبـداً مِـنْ بطشِـهِ وَزرُ[5]
لا الموت يُنقِذُهُمْ من هول صولَتِـهِ ... ولا الحياةُ. تَسَاوَى النّاسُ والحَجَـرُ![6]
حارَ المساكينُ، وارتاعوا، وأعْجَزَهـم ... أن يحذَرُوه، وَهَلْ يُجديهـمُ الحَـذَرُ
وَهُـمْ يعيشـونَ فـي دنيـا مشيَّـدةٍ ... منَ الخطوب، وكونٍ كلّه خَطَـرُ؟[7]
وكيف يحذرُ أعمَى، مُدْلِجٌ، تَعِـبٌ، ... هولَ الظّلامِ، ولا عَـزمٌ ولا بَصَـرُ؟
قـد أيقنـوا أنَّـهُ لا شـيءَ يُنقـذُهُـمْ ... فاستسلموا لِسُكُونِ الرُّعْبِ، وانتظروا..
ولـو رأوه لسَـارتْ كـي تحـارِبَـه ... مِنَ الورى زُمَرٌ، في إثـرِهَـا زُمَـرُ[8]
وَثَـارتِ الجـنّ، والأملاكَ نـاقمـةً ... والبحرُ، والبرُّ، والأفلاكُ، والعُصُرُ[9]
لكنّـهُ قـوّةٌ تُملـي إرادَتَهـا ... سِراً، فَنَعْنُو لها قهـراً، ونـأتمـرُ[10]
حقيقـةٌ، مـرّةٌ، يـا ليـلُ، مُبْغَضَـةٌ ... كالموتِ، لكنْ إليها الوِرْدُ والصَّدَرُ[11]

★ ★ ★

تَنهّدَ اللّيْلُ، حتّى قلتُ: «قد نُثِـرَتْ ... تِلْكَ النُّجومُ، وَمَاتَ الجـنُّ والبَشَـرُ»
وَعَادَ للصّمتِ..، يُصغي في كـآبتـه ... - كالفيلسوف - إلى الدنيا، ويفتكرُ..

---

(٢) عمّاه: ستره وحجبه.
(٣) حَزَر: قدّر تخميناً.
(٤) خاط: هنا بمعنى أعمى، يُعمي، وأصلها أن تضمّ أجزاء الثّوب بعضها إلى بعض.
(٥) الوَزَر: الملجأ المنيع.
(٦) الصّولة: الوثبة.
(٧) الخطوب: جمع خطب، وهو المصيبة.
(٨) زُمر: جماعات.
(٩) العُصُر: العصور.
(١٠) عنا، يعنو: خضع قهراً وقسراً.
(١١) الوِرد: الذهاب. الصَّدَر: العودة.

وَقَهْقَهَ القَدَرُ الجبَّارُ، سُخْرِيَةً بالكائناتِ. تَضَاحَكْ أيُّهَا القَدَرُ!
تمشِي إلى العَدَمِ المحتومِ، باكيةً طوائفُ الخَلْقِ، والأشكالُ والصُّوَرُ
وأنتَ فوقَ الأسى والموت، مبتسمٌ ترنو الى الكون، يُبْنَى، ثمّ يندَثِرُ[١٢]

مناجاة عصفور

– 38 – [من الكامل]

يَا أيُّها الشَّادِي المغرِّدُ هٰهُنا ثَمِلاً بِغِبْطَةِ قَلْبِهِ المَسْرُورِ[١]
مُتَنقِّلاً بينَ الخَمائلِ، تَالِياً وَحْيَ الرَّبيعِ السَّاحرِ المَسْحُورِ[٢]
غَرِّدْ، ففي تِلْكَ السُّهولِ زَنَابِقٌ تَرْنُو إليكَ بنَاظرٍ مَنْظُورِ
غَرِّدْ، فَفِي قَلْبي إليكَ مَوَدَّةٌ لَكِنْ مَوَدَّةُ طَائرٍ مَأْسُورِ
هَجَرَتْهُ أسْرابُ الحمائمِ، وانبَرَتْ لِعَذَابِهِ جنِّيَةُ الدَّيْجُورِ.....
غَرِّدْ، ولا تُرْهِبْ يميني، إنَّني مِثْلُ الطُّيورِ بمُهْجَتي وضَمِيري
لَكِنْ لَقَدْ هَاضَ التُّرابُ مَلامعي فَلَبِثْتُ مِثْلَ البُلبلِ المَكْسُورِ[٣]
أشدُو برنّاتِ النِّياحَةِ والأسى مشبوبةً بعواطفي وَشُعُوري[٤]
غرِّدْ، ولا تَحْفَلْ بقلبي، إنَّهُ كالمِعْزَفِ، المُتَحَطِّمِ المَهْجُورِ[٥]

★ ★ ★

رتِّلْ علَى سَمْعِ الرَّبيعِ نشيدَهُ وآصْدَحْ بفيْضِ فؤادك المَسْجُورِ
وآنْشِدْ أناشيدَ الجَمال، فإنَّها رُوحُ الوُجودِ، وَسَلْوَةُ المَقْهُورِ

---

(١٢) يندثر: يبلى ويمّحي.
(١) الثّمل: السّكران.
(٢) الخمائل: الأشجار الكثيرة الملتفّة.
(٣) الملامع: جمع مُلمع، وهو الخدّ الصّقيل النّاعم.
(٤) مشبوبة: ممزوجة.
(٥) المعزف: ما يعزف عليه من آلات موسيقيّة.

أنا طَائِرٌ، مُتَغرِّدٌ، مُتَرنِّمٌ لكِنْ بصوتِ كآبتي وَزَفيري
يَهْتاجُني صوتُ الطُّيورِ، لأنَّه مُتَدفِّقُ بِحَرَارَةٍ وَطَهُورِ
ما في وجود النَّاس مِنْ شيءٍ به يَرضَى فؤادِي أو يُسَرُّ ضَميري
فإذا استَمَعْتُ حديثهم أَلْفَيْتُهُ غَثّاً، يَفِيض بِرِكَّةٍ وَفُتُورِ[6]
وإذا حَضَرْتُ جُمُوعَهُمْ أَلْفيتَني ما بينهمْ كالبُلبلِ المأسورِ
متوحِّداً بِعَوَاطفي، وَمَشَاعِري، وَخَوَاطِري، وَكَآبتي، وَسُروري
يَنتَابُني حَرَجُ الحياةِ كأنَّني مِنهمْ بِوَهْدَة جَنْدلٍ وَصُخورِ
فإذا سَكَتُّ تضجَّروا، وإذا نَطَقْتُ تذمَّروا مِنْ فكْرتي وَشُعوري
آهٍ مِنَ النَّاس الذين بَلَوْتُهُمْ فَقَلَوْتُهُمْ في وحشتي وَحُبُوري![7]
ما منهُمُ إلاَّ خَبيثٌ غَادِرٌ متربِّصٌ بالنَّاس شَرَّ مَصيرِ
وَيَودُّ لو مَلَكَ الوُجودَ بأسره ورمى الورى في جَاحِمٍ مَسْجُورِ[8]
لِيَبُلَّ غُلَّتَهُ التي لا ترتوي وَيَكُضَّ تُهْمَةَ قلبهِ المَغْفُورِ[9]
وإذا دخلتُ إلى البلاد فإنَّ أفـ ـكاري تُرَفْرِفُ في سُفوح الطُّورِ[10]
حَيْثُ الطَّبِيعَةُ حُلْوةٌ فتَّانَةٌ تختال بين تَبَرُّجٍ وَسُفُورِ
ماذا أودُّ منَ المدينةِ، وَهْيَ غا رقةٌ بموّارِ الدَّمِ المَهدُورِ؟[11]
ماذا أَوَدُّ مِنَ المدينةِ، وَهْيَ لا ترثي لصوتِ تَفجُّع المَوْتُورِ؟[12]
مَاذا أودُّ منَ المدينةِ، وَهْيَ لا تَعْنو لِغَيرِ الظَّالمِ الشِّرِّيرِ؟[13]
ماذا أودُّ من المدينةِ، وَهْيَ مُر تادٌ لِكُلِّ دَعَارَةٍ وَفُجُورِ؟

(٦) الغثّ: الرّديء الفاسد من الكلام.
(٧) قَلَوْتهم: أبغضتهم.
(٨) الجاحم: الجمر الشّديد الاشتعال. مسجور: مشتعل، متّقد.
(٩) يكض: لم أقع على تفسير لها، وربّما كانت «يكظّ» بمعنى يملأ غضباً.
(١٠) الطّور: الجبل.
(١١) موّار: مثير، كثير الحركة.
(١٢) الموتور: الذي يطالب بدم مهدور.
(١٣) تعنو: تخضع.

يـا أيُّهـا الشّـادي المغـرِّدُ ههنـا ... ثَمِلاً بغبطـة قَلْبِـهِ المسـرور!
قبِّـل أزاهيـرَ الرَّبيـع، وغنِّهـا ... رَنَمَ الصّباحِ الضَّاحِكِ المحبورِ[١٤]
واشربْ مِنَ النَّبع، الجميل، الملتـوي ... مـا بيـن دَوْحِ صَنَوبَـرٍ وَغَـديـرِ
وآتْـرُكْ دمـوعَ الفَجْـرِ فـي أوراقِهـا ... حتَّـى تُـرشِّفَهَـا عَـرُوسُ النُّـورِ[١٥]
فَلَـرُبَّمـا كـانـتْ أنينـاً صـاعـداً ... فـي اللَّيـل مِـنْ متـوجِّـعٍ، مَقْهُـورِ
ذَرَفَتْـهُ أجفـانُ الصَّبـاحِ مـدامعـاً ... أَلاَّقَـةً، فـي دَوْحـةٍ وَزُهـورِ...[١٦]

يا موت

— 39 —

هي صرخة من صرخات نفسي المملوءة بالأحزان والذكريات، وشظية من شظايا هذا القلب المحطم على صخور الحياة، قلتها في أيام الأسى التي تلت نكبتي بوفاة الوالد، رحمه الله.

[من الكامل]

يا مَوْتُ! قَدْ مزّقتَ صَدْري ... وَقَصَمْتَ بالأرزاءِ ظَهْـرِي[١]
ورميْتَنِـي مِـنْ حـالـقٍ، ... وَسَخِـرتَ منِّـي أيَّ سُخْـرِ[٢]
فَلَبِثْـتُ مـرضـوضَ الفـؤادِ ... أَجُـرُّ أجنحتـي بِـذُعْـرِ...
وَقَسَـوْتَ إذ أبقيتنـي فـي الكَـوْن ... أذْرَعُ كُـلَّ وَعْـرِ[٣]
وَفَجَعْتَنِـي فِيمَـنْ أُحِـبُّ، ... وَمَـنْ إليْـهِ أبُـثُّ سِـرّي
وَأَعُـدُّهُ، فَجْـرِي الجميـلَ، ... إذا ادْلَهَـمَّ علـيَّ دَهْـرِي

(١٤) رنم: صوت، ترنيم. المحبور: المسرور.
(١٥) عروس النّور: كناية عن الشّمس.
(١٦) ألاّقة: متألّقة. الدوحة: الحديقة.
(١) قصم: كسر. الأرزاء: المصائب.
(٢) الحالق: المكان المرتفع.
(٣) ذرع الطريق: قطعه كأنّه يقيسه.

وأَعُـدُّهُ، ورْدِي ومِـزْمَـاري، وكَـاسَـاتـي، وخَمْـرِي
وأَعُدُّه، غـابي، ومِحْـرَابـي، وأُغْنِيتـي، وفَجْـري...[4]
ورزَأْتَنِي فـي عُمْدَتـي، ومَشُـورَتـي فـي كُـلِّ أمـرِ[5]
وهَـدَمْـتَ صـرْحـاً، لا أَلُـوذُ بغيـره، وهَتَكْـتَ سِتْـري[6]
فَفَقَـدْتُ روحـاً، طـاهـراً، شهمـاً، يَجِيش بِكـلِّ خَيـرِ
وَفقَـدْتُ قلبـاً، همُّـهُ أن يستـوي فـي الأفْـقِ بـدْري
وَفَقَـدتُ كفّـاً، فـي الحيـاةِ يصُـدُّ عنِّـي كُـلَّ شَـرِّ
وَفقَـدْتُ وجهـاً، لا يُعَبِّسُـه سـوى حَـزَنـي وَضُـرّي
وَفقَـدْتُ نفسـاً، لا تَني عـن صـوْن أفـراحـي وَبِشْـرِي[7]
وَفقَـدْتُ رُكني فـي الحيـاة، ورايَتـي، وعمـادَ قصـري

* * *

يَا موتُ! قَدْ مَزَّقْتَ صَدْري وَقَصَمْتَ بـالأرزاءِ ظهـري
يـا مـوتُ! مـاذا تبتغِـي منِّـي وقَـدْ مـزّقـتَ صَـدْري؟
مَـاذا تـودُّ، وأنْـتَ قَـدْ سـوّدتَ بـالأحـزانِ فِكْـري
وتَـرَكْتَني فـي الكَـائِنَـاتِ أَئِـنُّ، منفـرداً بـإصـري[8]
وأجـوبُ صحـراءَ الحيـاةِ، أقـولُ: أيْـنَ تُـراهُ قبـري؟»
مـاذا تَـوَدُّ مـن المُعَـذّبِ فـي الوجـودِ بِغَيْـرِ وِزْرٍ؟[9]

---

(٤) المحراب: المكان المرتفع.
(٥) رزأتني: من الرّزء، وهو المصيبة.
(٦) ألوذ: أحتمي. هتك السّتر: خرقة، مزّقه.
(٧) لا تني: لا تنفكّ، لا تلبث، لا تتعب.
(٨) الإصْر: العقوبة.
(٩) الوزر: الخطيئة والإثم.

مــاذا تــودُّ مــن الشَّقِــيِّ بعيشِــهِ، النّكِـدِ، المُضِــرّ؟[10]
إنْ كُنْـتَ تطلبُنــي فَهــاتِ الكــأسَ، أَشْـرَبُهـا بِصَبْــرِ
أو كنـتَ تـرقُبُنِـي فَهَـاتِ السَّهـمَ، أرشُقُـهُ بِنَحْـري[11]
خـذنـي إليـك، فَقَـدْ تبخَّـرَ فـي فضـاءِ الهـمِّ عُمـري...
وَتَهَـدَّلَـتْ أَغْصَـانُ أيّـامـي، بِلاَ ثَمَـرٍ وَزَهْـرِ[12]
وَتَنَـاثَـرَتْ أوراقُ أحْلامـي علـى حَسَـكِ المَمـرِّ...
خـذنـي إليـك! فَقَـدْ ظمِئْـتُ لكـأسِـكَ، الكَـدِرِ، الأمـرِّ...
خذني فَقَدْ أصبَحْـتُ أرقُـبُ فـي فَضَـاكَ الجـوْنِ فَجْـرِي[13]
خـذنـي، فمـا أشقـى الذي يقضي الحيـاة بِمِثْـل أَمْـرِي..

★ ★ ★

يا موتُ! قد مزّقْتَ صـدري وقصمـتَ بـالأرزاء ظهـري
يـا مـوت! قـد شَـاعَ الفـؤادُ، وأقفـرتْ عَـرَصَـاتُ صَـدري
وَغَـدَوْتُ أمشـي مُطْـرَقـاً مِـنْ طُـول مـا أَثْقَلْـتَ فِكـري
يـا مـوتُ! نفسـي ملَّـتِ الدُّنيـا، فَهَـلْ لَـمْ يـأت دوْري؟[14]

شِعْري

[من المجتثّ] — 40 —

شِعْـري نُفَـاثَـةُ صَـدْرِي إنْ جَـاشَ فِيـه شُعـوري[1]

---

(10) النّكد: التّعيس الحظّ.
(11) النّحر: أعلى الصّدر.
(12) تهدّل: استرخى وتدلّى.
(13) الجون: من الأضداد، الأسود والأبيض. وهنا بمعنى الأسود.
(14) يسأل الموت قائلاً: متى يأتي دوري؟
(1) نُفاثة: ما يرمي به المسلول من صدره. جاش: اضطرب.

لـولاهُ مَـا انجـابَ عَنِّـي غَيْـمُ الحيـاةِ الخطيـرِ[٢]
وَلا وجـدتُ اكتئـابـي ولا وجـدتُ سُـروري
بِـهِ تَـرانـي حـزينـاً أبكي بـدمـعٍ غـزيـرِ
بـه تـرانـي طـروبـاً أجـرُّ ذَيـل حُبـوري[٣]

★ ★ ★

لا أَنْظُـمُ الشِّعْـرَ أرجـو بـه رضـاءَ الأميـرِ
بِمِـدْحَـةٍ أو رثـاءٍ تُهـدَى لِـرَبِّ السَّـريـرِ[٤]
حسبـي إذا قلـتُ شعـراً أن يـرتضيـهِ ضَميـري
مـا الشّعـر إلا فضـاءٌ يـرفُّ فيـه مَقَـالـي[٥]
فيمـا يَسُـرُّ بلادي وَمَـا يَسُـرُّ المعـالـي
ومـا يُثِيـرُ شُعـوري مِـنْ خَـافقـاتِ خَيَـالـي

★ ★ ★

لا أَقْـرُضُ الشّعـرَ أبغـي بـه اقتنـاصَ نَـوَالِ
أَلشِّعـرُ إنْ لـمْ يكـنْ فـي جمـالِـهِ ذَا جَلالِ
فـإنَّمـا هُـوَ طيـفٌ يَسعَـى بِـوَادي الظّلالِ
يقضـي الحيـاةَ طـريـداً فـي ذِلَّـةٍ، واعتـزالِ[٧]

★ ★ ★

---

(٢) انجاب: انكشف وزال.

(٣) الحبور: السّرور. يكثر الشّاعر في هذه الأبيات من استعمال أساليب البيان المعروفة.

(٤) السّرير: سرير الملك.

(٥) مقالي: قولي. يريد أنّ شعره تعبير عن أماني شعبه وصورة صادقة عمّا يختلج به صدره.

(٦) اقتناص: صيد. نوال: عطاء.

(٧) ذلة: هوان. كأنّما يدعو في هذه الأبيات إلى الشّعر الملتزم.

يـا شِعْـرُ! أَنْـتَ ملاكـي   وَطَـارِفِـي، وتلادي[8]
أنـا إليـكَ مُـرادٌ   وأنـتَ نِعْـمَ مُـرَادي[9]
قِـف، لا تَـدَعْني وحيـداً   ولا أدعْـكَ تنـادي
فَهَـلْ وجـدتَ حُسـامـاً   يُنَـاطُ دونَ نِجَـادِ[10]

★ ★ ★

كَـمْ حَطَّـمَ الدَّهْـرُ   ذا هِمَّـةٍ كثيـرَ الرَّمـادِ[11]
ألقـاه تَحْـتَ نعـالٍ   مـن ذِلَّـةٍ وَحِـدَادِ[12]
رِفقـاً بـأَهْـلِ بلادي!   يـا منجنـون العـوادي!

فكرة الفنّان

— 41 —   [من الكامل]

عِشْ بـالشُّعـورِ، وللشُّعـورِ، فـإنَّمـا   دُنْيـاكَ كـونُ عَـواطـفٍ وشعـورِ
شِيدَتْ عَلى العَطْفِ العميـقِ، وإنَّهـا   لَتَجِـفُّ لـو شِيـدَتْ علـى التَّفْكيـرِ
وتَظَـلُّ جَـامِـدَةَ الجمـالِ، كئيبـةً   كـالهيكـلِ، المتهـدِّم، المهجـورِ
وتَظَـلُّ قـاسيـةَ الملامـحِ، جهْمـةً   كالمـوتِ، مُقْفِـرَةً، بغيـرِ سُرورِ[1]
لا الحـبُّ يـرقُـصُ فـوقهـا متغنِّيـا   للنَّـاس، بيـنَ جـداولٍ وَزُهـورِ
مُتَـوَرِّدَ الوجنَـاتِ سَكـرانَ الخطـى   يهتـزُّ مـن مَـرَحٍ، وَفَـرْطِ حُبـورِ

---

(٨) الطّارف: المال المكتسب. التّلاد: المال الموروث.
(٩) المراد: القصد. يريد القول أنّ الشّعر هو الذي يدعو أولاده الأبرار إليه.
(١٠) ناط: حمل. نجاد: محمل السّيف.
(١١) كثير الرّماد: كناية عن الكرم وهي كناية قديمة تراثيّة.
(١٢) الحِداد: ترك الزّينة والملذّات. وفي البيت الأخير لم أقع على تفسير لكلمة «منجنون».
(١) جهمة: عابسة الوجه.

متكلّلاً بـالـورْدِ، ينشـرُ للـورى　　أوراقَ وردِ «اللّـذة» المنضُـورِ[٢]
كلاّ! ولا الفنُّ الجميلُ بظـاهـرِ　　في الكون تَحْتَ غَمـامـةٍ مـن نُـورِ
مَتَـوشِّحـاً بـالسِّحْـر، ينفُـخ نـايَـهُ المشبـوبَ بيـن خمـائـلٍ وغـديـرِ
أو يلمسُ العـودَ المقـدّسَ، واصفـاً　　للمـوت، للأيَّـام، للـدَّيجـورِ[٣]
ما في الحياة مـن المسـرَّةِ، والأسـى　　والسِّحْـر، واللّـذاتِ، والتغـريـرِ[٤]
أبـدا ولا الأمـلُ المجنَّـحُ منْشِـداً　　فيهـا بصـوتِ الحـالـم، المَحْبُـورِ
تلـكَ الأنـاشيـدَ التـي تَهَـبُ الورى　　عـزْمَ الشَّبـابِ، وَغِبْطـة العُصْفـورِ
واجعلْ شُعورَكَ، في الطَّبيعة قَـائـداً　　فَهْـوَ الخبيـرُ بتِيهِهَـا المَسْحُـورِ[٥]
صَحِبَ الحياةَ صغيـرةً، ومشى بهـا　　بيـن الجمـاجـم، والدَّمِ المهـدورِ
وعَدَا بهَا فـوقَ الشَّـواهِـق، بـاسمـاً　　متغنِّيـاً، مِـنْ أعْصُـرٍ وَدُهـورِ
والعقـلُ، رغْـمَ مشيبـهِ ووقَـاره،　　مـا زال فـي الأيَّـام جِـدَّ صغيـرِ
يمشي..، فَتَضْرَعُـهُ الرِّيـاحُ، فيَنْثَنـي　　متَـوَجِّعـاً، كـالطَّـائـرِ المكسـورِ
ويظـلُّ يَسْـألُ نفسـه، متفلسفـاً　　متَنَطِّساً، فـي خفَّـةٍ وغُـرورٍ:[٦]
عمَّـا تُحجِّبُـهُ الكَـواكـبُ خلفَهـا　　مِـنْ سِـرِّ هـذا العـالَـم المستـورِ
وهو المهشَّمُ بالعواصـفِ.. إ يـا لَـهُ　　مـن سـاذجٍ، متفلسـفٍ، مغـرورِ!

* * *

وافتـحْ فـؤادكَ للـوجـودِ، وَخَلِّـهِ　　لليَـمِّ للأمـواجِ، للـدّيجـورِ[٧]
للثَّلـج تنثُـرُهُ الزَّوابـعُ، للأسـى　　للهَـوْلِ، للآلامِ، للمقـدورِ

---

(٢) المنضور: في الشّجر ما كان نضيراً حسناً جميلاً.
(٣) الديجور: الظّلام.
(٤) التغرير: التعرّض للهلاك.
(٥) التّيه: الأرض الواسعة يضيع فيها المرء.
(٦) متنطساً: جاعلاً نفسه كالنّطاسي أي الطّبيب العالم.
(٧) اليمّ: البحر. الديجور: الظّلام.

واتركْه يقتحِمُ العواصفَ.. هائماً ... في أُفْقِها، المتلبِّدِ، المقرورِ[8]

ويخوضُ أحشاءَ الوجود.. مغَامِراً ... في ليلها، المتهيِّبِ، المحذورِ

حتَّى تُعَانِقَه الحياةُ، ويرتوِي ... من ثَغْرِها المتأجِّج، المَسْجُورِ[9]

فتعيشَ في الدُّنيا بقلبٍ زاخرٍ ... يقظِ المشاعرِ، حالمٍ، مسحورِ

في نشوةٍ، صوفيَّةٍ قدُسيَّةٍ ... هي خيرُ ما في العَالَمِ المنظورِ

---

(٨) المقرور: البارد.

(٩) المسجور: الممتلىء.

قافية السِّين

نظرة في الحياة

– 42 – [من المجتثّ]

إنَّ الحيـــــاةَ صِـــــراعٌ	فيهـا الضَّعِيــفُ يُــداسْ[1]
مـا فَـازَ فــي مــاضِغِيهـا	إلا شَــدِيــدُ المِـــراسْ[2]
للخِـــبِّ فيهـــا شجـــونٌ	فَكُـنْ فتــى الإحتـــراسْ[3]
الكـــونُ كـــونُ شقـــاءٍ	الكـــونُ كـــونُ الْتبـــاسْ[4]
الكـــونُ كـــونُ اختلاقٍ	وضجّـــــــــةٌ واختلاسْ[5]
سِيَّـــان عِنْـــديَ فيـــه	السُّـــرورُ، والإبتئـــاسْ[6]
بَيْـــنَ النَّـــوائـــبِ بَـــوْنٌ	للنَّـــاسِ فيــه ســزايـــا[7]
البعـــضُ لـــم يـــدرِ إلا	البِلـــى يُنَـــادي البلايـــا
والبعـــضُ مَـــا ذَاقَ منهـــا	سِـــوى حَقيـــرِ الرَّزايـــا[8]

(١) يُداس: يُسحق.

(٢) مضغ الطّعام: لاكه بفمه. المراس: الشّدّة والقوّة.

(٣) الخِبّ: الخداع والفساد. شجون: أحزان. الاحتراس: الحيطة والحذر.

(٤) الالتباس: الإشكال والاشتباه.

(٥) الاختلاف: الافتراء. الاختلاس: الاستلاب.

(٧) السّيّ: النّظير. الشّاعر يبلغ ذروة اليأس.

(٧) البون: البُعد. يريد أنّ لكل إنسان حصّته من المصائب.

(٨) الرّزايا: المصائب.

إنَّ الحيــــاةَ سُبَـــاتٌ سينقضـي بـالمنـايـا[٩]
ومــا الرُّؤى فيـــه إلاّ آمــالُنَـا، والخَطـايـا[١٠]
فــإنْ تَيَقَّــظَ كــانــت بيــن الجفـون بقــايــا

★ ★ ★

إنَّ السَّكينــةَ رُوحٌ فــي الليــل لَيْسَــت تُضــامْ[١١]
والرُّوحُ شُعْلَــةُ نُــورٍ مِــنْ فــوق كُــلِّ نِظــامْ
لا تنطفــي بــريــاحِ الإرهــاقِ أو بــالحُسَــامْ
بَــلْ قــد يَعُــجُّ لَظَـاهَــا سيلاً، ويطغــى الضِّــرامْ[١٢]
كــلُّ البلايــا... جميعــاً تَفنــى وَيحيــا السَّلامْ!
والذُّلُّ سُبَّـــةُ عــارٍ لا يــرتضيــه الكــرامْ!
الفجــر يسطــع بعــد الدُّجــى، ويــأتــي الضِّيــاءْ
ويــرقُــدُ اللَّيْــلُ قَسْــراً على مِهَــادِ العَفَــاءْ[١٣]
وللشُّعـــوبِ حيــــاةٌ حينــاً وحينــاً فنــاءْ
واليــأْسُ مــوتٌ ولكــنْ مــوتُ يُثِيــرُ الشَّقَــاءْ[١٤]
والجِــدُّ للشَّعْـــبِ روحٌ تُــوحِــي إليــهِ الهَنــاءْ
فــإن تــولَّــتْ تَصَــدّتْ حَيَـــاتُـــهُ لِلبَلاءْ[١٥]

---

(٩) سبات: نوم عميق.
(١٠) الرّؤى: الأحلام.
(١١) تضام: تُظلم.
(١٢) يعج: يرتفع صوتها. الضّرام: الاشتعال.
(١٣) العَفاء: الزّوال وامّحاء الأثر.
(١٤) على الرّغم من آلامه فالشّاعر لا يزال كبير الأمل.
(١٥) تصدّت: تعرّضت. أي أنّ الرّوح في الشّعوب هي التي تحقّق المعجزات.

شكوى اليتيم

[من المتقارب]

– 43 –

عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، أنّى يضجُّ صُرَاخُ الصَّباحِ وَنَوْحُ المَسَا
تنهَّدتُ من، مُهْجةٍ أُتْرِعَتْ بِدَمْعِ الشَّقَاءِ وشوْكِ الأسى[1]
فَضَاعَ التَّنهُّدُ في الضَّجّةِ
بما في ثَنَاياهُ مِنْ لوْعةِ[2]
فُسِرتُ وناديتُ: « يا أمِّ! هيّا
إليّ! فقد سئمتني الحياة»
وَجِئتُ إلى الغابِ، أَسْكبُ أوجاعَ قلبي نحيباً، كلفْحِ اللّهيبْ[3]
نحيباً تَدَافَعَ في مهجتي، وَسَالَ يَرُنُّ بِنَدْبِ القلوبْ
فَلَمْ يفْهمِ الغَابُ أشجانَهُ
وَظَلّ يُرَدِّد ألحانَهُ
فَسِرْتُ وناديتُ: « يا أمُّ هيَّا
إليَّ! فقد عذَّبتي الحياةْ»
وقمتُ على النَّهر، أهْرق دمعاً تفجُّرَ من فيضِ حُزني الأليمْ
يسيرُ بِصَمْتٍ على وجْنتيّ ويلمع مثل دموعِ الجحيمْ
فَمَا خفّفَ النهرُ مِنْ عدْوِه
ولا سَكَتَ النَّهْرُ عن شدْوِه[4]

---

(١) اترع: ملأ.

(٢) الثّنايا: الطّرق في الجبال. إنّه يبثّ شكواه إلى البحر.

(٣) لَفَح: أحرق. لقد عاد إلى الغاب يردّد شكواه ولكن دون جدوى.

(٤) شدوه: غناؤه.

فسرتُ، وناديتُ: « يا أمّ! هيّا
إليّ! فقد أضجرتني الحياةْ »

★ ★ ★

ولمّا ندبتُ ولم ينفعِ
وَنَاديْتُ أمّي فَلَمْ تسمعِ
رَجِعْتُ بحزني إلى وَحْدَتي
وردّدْتُ نَوحِي على مِسمعي
وَعَانَقْتُ في وَحْدتي لوْعتي
وقلتُ لنفسِي: « ألاَ فاسْكتي! »[٥]

حرم الأمومة

— 44 —

[من الكامل]

الأمُّ تَلْثُـمُ طِفْلَهـا، وَتَضُمُّـهُ ... حرمٌ، سَمَاويُّ الجمالِ، مُقَدّسُ[١]
تَتَألَّـهُ الأفكارُ، وهْـي جِـوَارَهُ ... وَتَعـودُ طاهـرةً هنـاكَ الأنفُسُ[٢]
حَـرَمُ الحياةِ بِطُهْرِها وَحَنَانِها ... هل فوقَـهُ حَـرَمٌ أجلُّ وأقدسُ؟[٣]
بوركتَ يا حَـرَمَ الأمومـةِ والصِّبا ... كم فيكَ تكتمـلُ الحيـاةُ وَتَقْدُسُ[٤]

---

(٥) لقد أسكت نفسه ودفن حزنه في قلبه، لأنّه لم يجد أحداً من النّاس أو من الطبيعة يشاركه في هذا الحزن.
(١) حرم: يريد القول إنّ الأمومة هي حرم سماويّ.
(٢) جواره: أي بالقرب منه. وكلمة « هناك » تعود إلى « جواره » في صدر البيت.
(٣) حَرَمُ: خبر لمبتدأ محذوف تقديره « هي » أي، الأمّ.
(٤) تَقْدُسُ: من قَدُس، أي أصبح طاهراً مقدّساً

النّبي المجهول

— 45 —

[من الخفيف]

أيها الشَّعْبُ! ليتني كنتُ حطّاباً ... فأهوي على الجذوعِ بفأسي!
ليتني كنتُ كالسُّيولِ، إذا سالتْ ... تَهُدُّ القبورَ: رمساً برمسِ!
ليتني كنتُ كالرِّياحِ، فأطوي ... كلَّ ما يخنقُ الزُّهورَ بنحسي
ليتني كنتُ كالشِّتاءِ، أغَشّي ... كل ما أَذْبَلَ الخريفُ بقرسي![1]
ليتَ لي قوَّةَ العواصفِ، يا شعبي ... فأُلقي إليكَ ثَوْرَةَ نفسي!
ليت لي قوَّةَ الأعاصير، إن ضجَّتْ ... فأدعوكَ للحياةِ بنبسي![2]
ليتَ لي قوَّةَ الأعاصير..! لكن ... أنتَ حيٌّ، يقضي الحياة برمسِ..![3]
أنتَ روحٌ غَبِيّةٌ، تكره النّور، ... وتقضي الدهور في ليلِ مَلْسِ...[4]
أنتَ لا تدركُ الحقائقَ إن طافتْ ... حواليكَ دون مسٍّ وَجَسِّ
في صباح الحياةِ ضَمَّخْتُ أكوابي ... وأترعتُها بخمرةِ نفسي...
ثُمّ قدّمْتُها إليكَ، فأهرقْتَ ... رحيقي، ودُستَ يا شعبُ كأسي![5]
فتألّمتُ.. ثمَّ أسْكَتُّ آلامي، ... وَكَفْكَفْتُ من شعوري وحسي
ثُم نَضَّدْتُ من أزاهيرِ قلبي ... بَاقةَ لمْ يمسَّها أيُ إنْسِي..[6]
ثم قدّمْتُها إليكَ، فَمزّقْتَ ... ورودي، وَدُسْتَهَا أيَّ دَوْسِ
ثم ألبَسْتَني مِنَ الحُزْنِ ثوباً ... وَبِشَوكِ الجبالِ تَوَّجْتَ رأسي

★ ★ ★

إنني ذاهبٌ إلى الغاب، يا شعبي ... لأقضي الحياةَ، وحدي، بيأس

(١) القَرْس: البرد الشّديد.
(٢) النّبس: الكلام.
(٣) الرّمس: القبر.
(٤) مَلَسَ الظّلام: اختلط.
(٥) الرّحيق: الخمرة الصّافية.
(٦) نضّد: ضمّ الأشياء بعضها إلى بعض.

إنني ذاهبٌ إلى الغابِ، علِّي ... في صميم الغابات أدفنُ بؤسي

ثُمَّ أنْسَاكَ ما استطعتُ، فما أنت ... بأهلٍ لخمرتي ولكأسي

سوف أتلو على الطُّيور أناشيدي، ... وأُفْضِي لها بأشواقِ نفسي

فَهْي تدري معنى الحياة، وتدري ... أنّ مجدَ النُّفوسِ يَقْظَةُ حِسِّ

ثم أقْضي هناك، في ظلمة اللّيل، ... وأُلقي إلى الوجود بيأسي

ثم تَحْتَ الصَّنَوْبَر، النَّاضر، الحلو، ... تَخُطُّ السُّيولُ حُفْرَةَ رمسي

وتَظلُّ الطُّيورُ تلغو علَى قَبْريَ ... ويشدو النَّسِيمُ فوقي بهمس[٧]

وتَظلُّ الفُصُولُ تمشي حوالَيَّ، ... كما كُنَّ في غَضَارةِ أمسي

أيُّها الشَّعْبُ؟ أنتَ طِفْلٌ صغيرٌ، ... لاعبٌ بالتُّرابِ والليلُ مُغْسٍ..![٨]

أنتَ في الكون قوّةٌ، لم تَسُسْهَا ... فكرةٌ، عبقريَّةٌ، ذاتُ بأسِ

أنت في الكون قُوةٌ، كبَّلتْها ... ظُلُمَاتُ العُصور، مِنْ أمس أمسٍ..

والشقيُّ الشقيُّ من كان مثلي ... في حَسَاسِيَّتي، ورقَّةِ نفسي

★ ★ ★

هكذا قال شاعرٌ، ناولَ النَّاسَ ... رحيقَ الحياةِ في خير كأسِ

فأشاحوا عنها، ومرُّوا غضاباً ... واستخفُّوا به، وقالوا بيأس:

«قد أضاع الرَّشادَ في ملعب الجنِّ ... فيا بؤسَهُ، أُصِيبَ بِمَسِّ»

«طَالما خَاطبَ العواطفَ في اللَّيلِ ... وناجى الأمواتَ في غير رمسِ»

طالما رافقَ الظَّلامَ إلى الغابِ ... ونادى الأرواحَ مِن كلِّ جِنْسِ»

طالما حدّثَ الشياطينَ في الوادي، ... وغنّى مع الرِّياح بجَرسٍ»[٩]

«إنه سَاحرٌ، تُعَلِّمُهُ السِّحْرَ ... الشياطينُ، كلَّ مَطْلعِ شَمْسِ»

فأبعِدوا الكافرَ الخبيثَ عن الهيكلِ ... إنّ الخَبيثَ منبعُ رِجْسِ»

---

(٧) تلغو: تتكلّم بدون معنى.

(٨) أغسى اللّيل: أظلَمَ.

(٩) الجرْس: الصّوت.

«أطــردوه، ولا تُصيخــوا إليــه　　فهو روحٌ، شريـرةٌ، ذاتُ نحسَ»[١٠]

★ ★ ★

هَكَـذا قَـال شـاعـرٌ، فيلسـوفٌ،　　عـاشَ فـي شعبـه الغبـيِّ بتَعْسِ
جَهِـلَ النّـاسُ روحَـه، وأغـانيهـا　　فَسَامـوا شعـورَه سـوْمَ بَخسِ[١١]
فَهْـوَ فـي مَـذهـبِ الحيـاةِ نبـيٌّ　　وَهْـوَ فـي شعبـهِ مُصَـابٌ بمسِّ[١٢]
هكذا قـال، ثـمّ سَار إلـى الغـابِ،　　ليحيـا حيـاةَ شِعْـرٍ وقُـدسَ
وبعيدا..، هناك..، في معبد الغـاب　　الذي لا يُظِلُّـه أيُّ بـؤسِ
في ظلال الصَّنوبرِ الحلوِ، والزّيتـونِ　　يقضي الحيـاة: حَـرْسـا بحـرسِ[١٣]
في الصَّباح الجميل، يشدو مع الطّيـر،　　وَيَمْشِـي فـي نشـوةِ المُتَحَسِّـي
نـافخـاً نـايَـه، حـواليْـهِ، تهتـزُّ　　ورودُ الرَّبيـع مِـنْ كـلِّ قنْسِ[١٤]
شَعْـرُهُ مُـرْسَـلٌ، تُـدَاعِبُـهُ الرِّيـحُ　　علـى منكبيْـه مثـلَ الدِّمُقْسِ[١٥]
والطُّيـورُ الطِّـرابُ تشـدو حـواليـه　　وتلغو فـي الدَّوحِ، مِنْ كُـلِّ جنسِ
وتراه عند الأصيلِ، لدى الجـدول،　　يـرنـو للطّـائـرِ المتحسِّـي[١٦]
أو يغنِّي بيـن الصَّنـوبـرِ، أو يـرنـو　　إلـى سُـدْفـةِ الظّلام المُمَسِّـي
فـإذا أقْبَـلَ الظلامُ، وأمسـتْ　　ظلماتُ الوجود في الأرض تُغسِـي[١٧]
كان فـي كـوخـه الجميـل، مقيمـاً　　يَسْأَلُ الكـونَ فـي خشـوعٍ وَهَمْسِ
عـن مصـبِّ الحيـاةِ، أيـنَ مَـدَاهُ؟　　وصميمِ الوجـودِ، أيّـان يُـرسـي؟

---

(١٠) أصاخ: استمع.
(١١) سام: أذلّ. بخس: ناقص.
(١٢) المسّ: الجنون.
(١٣) الحرْس: الزّمن الطّويل.
(١٤) القنس: أعلى الرأس، والأصل.
(١٥) الدّمقس: الحرير.
(١٦) المتحسّي: الشّارب.
(١٧) تغسي: راجع الحاشية رقم ٨ من هذه القصيدة.

وأريجِ الوُرودِ في كلِّ وادٍ ونَشيدِ الطُّيورِ، حين تمسِّي
وهزيمِ الرِّياحِ، في كلِّ فَجٍّ ورُسُومِ الحياةِ من أمسِ أمسِ[18]
وأغاني الرّعاةِ أينَ يُواريها سُكونُ الفَضا، وأيّانَ تُمْسي؟؟
هكذا يَصْرِفُ الحياةَ، ويُفْني حَلَقاتِ السِّنينَ: حَرْساً بحَرْسِ[19]
يا لها من معيشةٍ في صميمِ الغابِ تُضْحي بينَ الطيورِ وتُمْسي!
يا لها مِنْ معيشةٍ، لم تُدَنِّسْهَا نفوسُ الورى بخُبْثٍ ورِجْسِ
يا لها من معيشةٍ، هيَ في الكونِ حياةٌ غريبةٌ، ذاتُ قُدسِ[20]

الدّموع

– 46 – [من الخفيف]

يَنْقَضِي العَيْشُ بَيْنَ شَوْقٍ ويَأسِ والمُنَى بَيْنَ لَوْعَةٍ وتَأَسِّ[1]
هَذِهِ سُنَّةُ الحَياةِ، ونَفْسي لا تَوَدُّ الرَّحيقَ فِي كَأسِ رِجْسِ[2]
مُلِيءَ الدَّهْرُ بالخداعِ، فكَمْ قَدْ ضَلّلَ الناسَ مِنْ إمامٍ وقَسِّ
كلّما أسْأَلُ الحياةَ عَنِ الحقِّ تَكُفُّ الحياةُ عَنْ كُلِّ هَمْسِ
لمْ أجِدْ في الحياةِ لحناً بديعاً يَسْتَبِيني سِوى سَكِينَةِ نَفْسي[3]
فَسَئِمْتُ الحياةَ، إلا غِرَاراً تتلاشى بِهِ أنَاشِيدُ يَأسِي
ناولتني الحياةُ كأساً دِهَاقاً بالأمَاني، فَمَا تَنَاولْتُ كأسي[4]

---

(١٨) هزيم: اندفاع.
(١٩) الحرْس: راجع الحاشية رقم ١٣ من هذه القصيدة.
(٢٠) يبلغ الشاعر في هذه الأبيات ذروة اليأس.
(١) التّأسّي: الصّبر والتّعزّي.
(٢) سنّة: شريعة. الرّحيق: الخمر الصّافية. رجس: شيء قذر.
(٣) يستبي: يأسر.
(٤) الكأس الدّهاق: الممتلئة الطّافحة.

وَسَقَتْني مِنَ التَّعَاسَةِ أَكْوابـاً تَجَرَّعْتُهَا، فَيَا شَدَّ تَعْسي!
إنَّ في روضةِ الحياةِ لأَشْواكاً بها مُزِّقتْ زَنَابِقُ نفسي

★ ★ ★

ضَاعَ أمسي! وأينَ منِّيَ أَمْسِي؟ وَقَضَى الدَّهْرُ أَنْ أعيشَ بِيَأْسي
وَقَضَى الحبُّ في سُكونٍ مُريعٍ ساعةَ الموتِ بين سُخْط وَبُؤْسِ
لَمْ تُخَلِّفْ ليَ الحياةُ مِنَ الأمسِ سِوَى لَوْعَةٍ، تَهُبُّ وَتُرسي
تَتَهَادى مَا بينَ غَصَّاتِ قلبي بِسُكُونٍ وبين أوجاعِ نَفْسي
كَخيالٍ مِنْ عَالَمِ الموت، يَنْسَابُ بِصَمْتٍ ما بينَ رَمْسٍ وَرَمْس[5]
تلكَ أوجاعُ مهجةٍ، عَذَّبَتْها في جحيمِ الحياةِ أَطْيَافُ نَحْسِ[6]

شجون

— 47 — [من الخفيف]

عجباً لي! أَوَدُّ أَنْ أفهمَ الكَوْنَ، ونفسي لَمْ تستطعْ فَهْمَ نفسي!
لم أُفِدْ مِنْ حَقائِقِ الكونِ إلاّ أَنَّني في الوجود مُرْتَادُ رَمْس[1]
كُلُّ دَاهْرٍ يَمُرُّ يفجعُ قلبي ليتَ شعري أينَ الزَّمان المؤَسّي
في ظلامِ الكُهوفِ أشباحُ شؤمٍ وبهذا الفَضَاءِ أطيافُ نَحْسِ
وَخِلالَ القُصور أَنَّاتُ حُزْنٍ وَبتلكَ الأكواخ أَنْضَاءُ بؤسٍ![2]

---

(٥) الرّمس: القبر. ينساب: يجري.
(٦) إنّه يندب سوء حظّه في هذه الحياة.
(١) الرّمس: القبر.
(٢) أنضاء: جمع نضو، وهو المهزول الضّعيف.

والقَضَاءُ الأَصَمُّ يَعْتَسِفُ النّاس ويقضي ما بين سَيْفٍ وَقَوْسِ ![3]

★ ★ ★

هذه صورةُ الحياةِ، وهذا لونُهَا في الوجودِ، مِنْ أمسِ أمسِ
صُورةٌ للشَّقَاءِ دَامِعَةُ الطَّرْفِ ولونٌ يَسُودُ في كلِّ طَرْسِ

---

(٣) يتعسف: يظلم.

(٤) الطّرس: الكتاب والصّحيفة.

قافية العين

أنشودةُ الرَّعد

– 48 – [من مجزوء الرّمل]

فِـيْ سُكُـونِ اللَّيْـلِ لَمّـا عَـانَـقَ الْكَـوْنَ الخُشُـوعْ
وَاخْتَفَـى صَـوْتُ الأَمَـانِـي خَلْفَ آفَـاقِ الهُجُـوعْ(١)

★ ★ ★

رَتَّـلَ الرَّعْـدُ نَشِيـداً رَدَّدَتْـهُ الكَـائِنَـاتْ(٢)
مِثْلَ صَـوْتِ الحَـقِّ إنْ صَا حَ بِـأَعْمَـاقِ الحَيَـاةْ

★ ★ ★

يَتَهَـادَى بِضَجِيـجٍ فِـي خَلاَيَـا الأَوْدِيَـةْ(٣)
مِثْـلَ جَبَّـارِ بَنِـي الجِـنِّ بِـأَقْصَـى الهَـاوِيَـةْ
فَسَـأَلْـتُ اللَّيْـلَ، واللَّيْـلُ كَئِيـبٌ، وَرَهِيـبْ
شَـاخِصـاً بـاللَّيـلِ واللَّيْـلُ جَمِيـلٌ، وَغَـرِيـبْ

★ ★ ★

(١) الهجوع: النّوم ليلاً. يريد القول أنّ الأماني تختفي عند الشعوب الخاملة بينما الأحلام يجب أن تستيقظ في مثل هذا الوقت.
(٢) يقصد بالرّعد، التغيير.
(٣) يتهادى: يتمايل.

أتُـــرى أُنْشُــــودَةُ الرَّعْـــدِ أَنِيـــنٌ وَحَنِيــــنْ
رَنَّمَتْهَــا بِخُشُــوعٍ مُهْجَــةُ الكَــوْنِ الحَــزِيــنْ؟

★ ★ ★

أَمْ هِــيَ القُــوَّةُ تَسْعَــى بِـاعْتِسَـافٍ واصْطِخَـابْ[4]
يَتَــراءَى فِــي ثَنَــايَــا صَـوْتِهَـا رُوحُ العَــذَابْ؟»

★ ★ ★

غَيْــرَ أَنَّ اللَّيْــلَ قَــدْ ظَــلَّ ركُــوداً، جَــامِــدا[5]
صَــامِتــاً مِثْــلَ غَــدِيــرِ القَفْــرِ، مِــنْ دُونِ صَــدَى!

---

(٤) الاعتساف: الظّلم. الاصطخاب: الضّجّة.

(٥) رَكود: ساكن، هادىء. يقول: إنّ إرادة التغيير لم تلقَ أي صدىً إيجابي.

قافية الفاء

بقايا الخريف

– 49 – [من المتقارب]

كَرِهْتُ القُصُورَ، وَقُطَّانَها، وَمَا حولَها من صِرَاعٍ عنيفْ
وَكَيْدَ الضَّعِيفِ لِسَعْي القويِّ، وَعَصْفَ القويِّ بِجَهْدِ الضّعيفْ[1]
وَجَاشَتْ بنفسي دُمُوعُ الحياةِ، وَعَجَّتْ بقلبي رِيَاحُ الصُّروفْ[2]
لِقَلْبِ الفقيرِ الحطيم الكسيرِ، وَدَمْعِ الأَيامَى السّفيحِ الذَّريفْ[3]
ونَوْحِ اليتامى على أمهاتٍ، تَوَارَيْنَ خَلْفَ ظَلام الحُتوفْ[4]
فسرْتُ إلى حيثُ تأوي أغاني الرّبيعِ، وتذوي أماني الخريفْ[5]
وَحَيْثُ الفَضَا شاعرٌ، حالمٌ، يناجي السُّهولَ بِوَحْيٍ طَريفْ
وقد دثَّرَتْهُ غيومُ المَساءِ بظلٍّ، حزينٍ، ضَريجٍ، شفيفْ[6]
وبين الغُصونِ التي جرَّدَتْها ليالي الخَريفِ، القويِّ العَسُوفْ[7]

---

(١) الكيد: المكر والخداع.
(٢) جاش: اضطرب. الصّروف: حوادث الدّهر.
(٣) الأيامى: الأرامل.
(٤) الحتوف: الموت.
(٥) تذوي: تذبل.
(٦) دثّر: غطّي بثوب. ضريج: مصبوغ بالحمرة. شفيف: شفّاف.
(٧) العسوف: الظّالم.

وقَفْتُ، وحولي غديرٌ، مواتٌ، تمادتْ به غَفَواتُ الكُهوفْ
قَضَتْ في حفافِيهِ تلكَ الزُّهورُ، فَكَفَّنها بالصَّقيعِ الخَريفْ
سوى زَهْرةٍ شَقِيَتْ بالحياةِ، وملْبَثها بالمُقَامِ المُخيفْ[8]
يُرَوِّعُهَا فيه قَصْفُ الرُّعودِ: وَيُحْزِنُهَا فيه ندْبُ الزَّفيفْ[9]
وَيَنْتَابُها في الصَّباحِ السّديمُ، وفي الليل حُلمٌ، مُرِيعٌ مُخيفْ[10]
وتُرْهِبُها غادياتُ الغَمامِ، وتُؤلِمُهَا كُلُّ ريحٍ عَصُوفْ
فَتَرنُو لما حَولَها مِنْ زُهورٍ، وما ثَمَّ إلا السَّحيقُ، الجَفِيفْ
فتبكي بكاءَ الغريبِ، الوحيدِ، بشجْوٍ كظيمٍ، ونَوحٍ ضَعِيفْ[11]
تُباكِي بِهِ لُبَّها المستطارَ، وتَرْثي به ما طَوَتْهُ الحُتُوفْ[12]
وتشكو أَسَاها بَياضَ النَّهارِ، وتندُبُ حَظَّ الحياةِ السَّخيفْ
ولكنْ لقد فَقَدَتْ في الوجودِ رفيقاً مُصِيخاً، وقلباً رَؤُوفْ[13]
فَما ثَمَّ إلاَّ الصُّخُور القَوَاسي، وإلاَّ الصّدى المُسْتَطَارُ الهَتُوفْ[14]
فَجَادتْ بروحٍ شجيٍّ، لقد عذّبته اللَّيالي صُنُوفْ[15]
وَمَاتتْ، وَقَدْ غادَرَتْها بِقَاعٍ مِنَ الأرضِ ضنْكٍ، حَيَاةُ الصُّروفْ
فَبَانَتْ حيَالَ الغديرِ الأصمِّ، وَقد أَخرسَ الموتُ ذاك الحَفيفْ
وَقَد خَضَّبَتْهَا غيومُ المساءِ، كَغَانيةٍ ضرَّجَتْهَا السُّيوفْ[16]
فسلْها: «تُرى كيف غَاضَ الأريجُ؟ وكيف ذَوَى سِحْرُ ذاك الرَّفيفْ؟»[17]

(٨) الملبث: المكان.
(٩) الزّفيف: هبوب الرّيح.
(١٠) السّديم: الضّباب الرّقيق.
(١١) الكظيم: المهموم.
(١٢) اللّبّ: القلب. الحتوف: الموت.
(١٣) مصيخ: مستمع.
(١٤) المستطار: المنتشر. الهتوف: المصوّت.
(١٥) البيت مختل الوزن ينقصه تفعيلة.
(١٦) خضّب وضرّج: صبغ، لطّخ.
(١٧) غاض: ذهب في الأرض وغاب.

«وكيف خَبَتْ بَسَمَاتُ الحياةِ بأجْفَانها، وَعَرَاها الكُسُوفْ؟»[18]
«وكيف لَوَتْ جِيدَهَا الحَادِثَاتُ وألْوَتْ بذاك القوامِ اللّطيفْ؟»[19]
ذَكَرْتُ بمضجَعِهَا المطمئنِّ وَمرقَدِهَا في السَّفيرِ الجَفيفْ[20]
مصارعَ آماليَ الغَابراتِ وخيْبَتَها في الصِّراعِ العَنيفْ
فقلّبتُ طَرْفي بمهْوَى الزُّهُورِ وصعّدته في الفضاءِ الأَسيفْ[21]
وَقُلْتُ: «هُوَ الكونُ مَهْدُ الجمالِ ولكِنْ لكلِّ جمالٍ خَريفْ!»
وأطرقتُ، أصغي لِهَمْسِ الأسى وقد غَشِيَ النفسَ هَمٌّ كَثيفْ
وَغَاضتْ ثُمالةُ نُورِ النَّهارِ وأرْخى ظلامُ الوُجودِ السُّجوفْ[22]

---

(١٨) خبا: خمد، سكن، هدأ. عراها: أصابها.
(١٩) الجيد: أعلى الصّدر. الحادثات: المصائب.
(٢٠) مضجَع: المكان الذي يُستلقي فيه على الأرض. السّفير: ما سقط من ورق الشجر.
(٢١) الأسيف: الحزين.
(٢٢) الثّمالة: بقيّة الشيء في أسفل الإناء. السّجوف: الأستار.

قافية القاف

الغزال الفاتن

- 50 - [من مجزوء الخفيف]

بَـــذَرَ الحُـــبُّ بَـــذْرَهُ ... فِـــي فُـــؤَادي فَـــأَوْرَقَـــا
بِلِحَـــاظٍ نَـــوَافِـــثٍ ... فَجَنَـــى حَظِّـــيَ الشَّقَـــا[١]
وَسَعَـــى فِيـــهِ مُهْـــرُهُ ... عَـــادِيـــاً، ثُـــمَّ أَعْنَقَـــا[٢]

★ ★ ★

رُبَّ ظَبْـــيٍ عَلِقْتُـــهُ ... بِـالبَهَـا قَـــدْ تَقَـــرْطَقَـــا[٣]
ثُـــمَّ مِـــنْ وَصْلِـــهِ الجَمِيـ ... ـلِ غَـدَا القَلْـبُ مُمْلِقَـــا[٤]
سَحَـــرَ اللُّـــبَّ طَـــرْفُـــهُ ... ما دَهَـا الرِّيـقَ لـو رَقَـى[٥]
أَوْصَـــبَ الصَّـــبَّ صَـــدُّهُ ... والشَّقَـــا لَـــوْ تَـــرَفَّقَـــا[٦]

---

(١) نوافث: من نفث، أي: نفخ بريقه ورمى به.
(٢) عادياً: راكضاً. أعنق: أسرع في سيره.
(٣) عِلقتهُ: تعلّقت بحبّه. البها: البهاء. تقرطق: لبس القباء. (اللّسان: قرطق (١٠/٣٢٣).
(٤) مملق: من الملق، وهو التودّد باللّسان أو بغيره.
(٥) طرفه: نظره. دها: أصاب بداهية أي بمصيبة. رقى: من الرّقية وهي ما يستعان به من أساليب لشفاء مريض أو عاشق أو غيره.
(٦) أوصَبَ: أمرَضَ. الصّبّ: العاشق. الصّدّ: الهجران. الشّفا: الشّفاء. ترفّق: لان.

صَــارَ مُلْقـــىً بِحُبِّـــهِ   مُــوثَقــاً لَيْسَ مُطْلَقَـــا
صَــارَ ذا جِنَّـــةٍ بِـــهِ   ذَا عَــذابٍ، مُــؤَرَّقَـــا
يَــرْقُــبُ البَــدْرَ جَفْنُـــهُ   لِيُنَــاجِيــهِ مَــا لَقَـــى[٧]
هَــامَ فِـي العَيْـنِ غَــرْبُــهُ   وَهَمَـــى ثُــمَّ أَغْــدَقَــا[٨]
وَهَمَـــى صَـــوْبُ هَمِّـــهِ   فَآسْتَقَـى مِنْـهُ مَـا اسْتَقَى[٩]

★ ★ ★

كَــمْ قُلُـــوبٍ تَفَطَّـــرَتْ   وَدَمٍ صَـــار مُهْــرَقــا[١٠]
وَدُمُـــــوعٍ تَسَلْسَلَـــــتْ   مِثْــلَ غَيْــمٍ تَــدَفَّقَــا[١١]
دُونَ أَنْ تَبْلَـــغَ النُّفُـــو   سُ رُضَــابــاً مُــرَوَّقــا[١٢]
وَشَقِيـــــقٍ بِخَـــــدِّهِ   مُهَــجَ الخَلْــقِ شَقَّــقَ؟[١٣]
ثَغْـــرُهُ مِـــنْ عُقُـــودِهِ   وَدُمُـــوعِـــي تَنَسَّقَــا[١٤]
خَصْـــرُهُ مِـــنْ نَحَـــافَتِـــي   وَنُحُـــولِـــي تَمَنْطَقَـــا[١٥]
مَـــرْشَفَـــاهُ بِخَـــدِّه   وَدِمَـــائـــي تخلّقـــا[١٦]
مِـن لَظَـــى جَمـــرِ خَـــدِّهِ   كَبِـدي قَــدْ تحَــرَّقَــا[١٧]

(٧) لقى: أي، ما لاقى في حبّه.
(٨) الغرْب: الدّمع. همى: سال. أغدق: غزر وفاض.
(٩) الصّوب: المطر، وهنا: الدّمع. همّه: لعلّ الصّواب: «دمعه».
(١٠) تفطّرت: تصدّعت.
(١١) تسلسلت: سالت.
(١٢) الرّضاب: ريق الحبيب. المروّق: المصفّى.
(١٣) الشّقيق: النّظير. شقّق: صدّع. مهجة: روح.
(١٤) العقِد: من كان في لسانه عُقدة.
(١٥) النّحول: الضّعف. تمنطق: شدّ وسطه.
(١٦) المرشف: ما يمتصّ به الماء. تخلّق: تطيّب.
(١٧) لظى: حرارة.

قَــدُّهُ فَـــوْقَ رِدْفِـــه غُصْنُ بَـانٍ عَلَى نَقـا[١٨]
جِيــدُهُ تَحْــتَ فَــرْعِـــهِ بَــرْقُ غَيْــمٍ تَــأَلَّقــا[١٩]
نَسَبِــي فِـــي غَـــرَامِـــهِ نَسَبـاً صَــارَ مُعْــرِقـــا

الحبّ

– 51 – [من البسيط]

الحُبُّ شُعْلَةُ نُـورٍ سـاحـرٍ، هَبَطَـتْ مِنَ السَّماءِ، فكانتْ ساطعَ الفَلَـقِ[١]
وَمَزّقتْ عَن جفـونِ الدَّهْـرِ أَغْشِيَـةً وَعَنْ وُجوه اللَّيالي بُـرقُـعَ الغَسَـقِ[٢]
الحـــبُّ رُوحُ إلهــيٌّ، مجنّحـــةٌ أيّـامُـهُ بِضِيــاءِ الفَجْــرِ والشَّفَـقِ
يطوفُ فـي هـذهِ الدُّنيـا، فَيَجْعَلُهـا نجْماً، جميلاً، ضَحُوكاً، جِدَّ مُؤْتَلِقِ
لولاهُ ما سُمِعتْ فِي الكَـون أغْنِيَـةٌ ولا تـآلـفَ فـي الدنيـا بَنُـو أُفُـقِ
الحبُّ جَـدْولُ خمـرٍ، مَـنْ تَـذَوَّقَـهُ خَاضَ الجحيمَ، وَلَمْ يُشْفِقْ من الحَرَقِ[٣]
الحـبُّ غـايـةُ آمـالِ الحيـاةِ، فمـا خوْفِي إذا ضَمَّني قبرٌ؟ وما فَرَقِي؟[٤]

---

(١٨) ردفه: مؤخّرته. نقا: قطعة من الرّمل محدودبة.
(١٩) جيده: عنقه. فرعه: ما ارتفع منه. تألّق: أشرق.
(١) الفَلَق: الصّبح.
(٢) البرقع: القناع. الغسَق: ظلمة أوّل اللّيل.
(٣) أشفق: خاف. أي من تذوّق حلاوة الحب انتصر على نار الجحيم.
(٤) الفَرَق: الخوف الشّديد. يريد أنّ الحبّ هو غاية الحياة ومن بلغ ذروة الحبّ فقد نال مبتغاه من هذا الوجود.

قافية الكاف

ألحاني السَّكرى

— 52 —

[من الخفيف]

قَــدْ سَكِــرْنــا بِحُبِّنــا واكتفينــا   يا مُدِيرَ الكؤُوس فاصرفْ كؤوسَكْ[1]
واسكبِ الخمرَ للعَصَافيرِ والنَّحْلِ   وَخَلِّ الثَّرى يَضُمُّ عروسَكْ

★ ★ ★

مَا لَنا والكؤوس، نَطْلُبُ منها   نشوةً والغَرامُ سِحْرٌ وسُكْرُ!
خَلِّنا منكَ، فَالرّبيعُ لنا ساقٍ   وهذا الفَضَاءُ كأسٌ وخمرُ!

★ ★ ★

نحن نحيا كالطّيرِ، في الأفُقِ السَّاجي   وكالنَّحْلِ، فوق غضِّ الزُّهُورِ[2]
لا ترى غيرَ فتنةِ العَالم الحيِّ   وأحلامِ قلبها المسحورِ...
نَحْنُ نلهو تَحْتَ الظِّلال، كطفلين   سعيدين، في غُرورِ الطُّفولةْ
وعلى الصَّخْرةِ الجميلةِ في الوادي   وبين المَخاوفِ المَجْهُولةْ

★ ★ ★

---

(١) المدير: السّاقي الذي يقدّم الشّراب.
(٢) السّاجي: السّاكن.

نحـن نغـدو بيـن المـروج ونُمسـي ونغنّـي مَـعَ النَّسيـمِ المغنّـي
وَنُنَـاجـيَ روحَ الطَّبيعـةِ فـي الكـون ونُصغـي لِقَلْبهـا المتغنّـي

★ ★ ★

نحنُ مثلُ الرّبيع: نمشي علـى أرضٍ مِـنَ الزَّهْـرِ، والرُّؤى، والخَيـالِ
فـوقهـا يـرقُـصُ الغَـرامُ، ويلهـو ويغنّـي فـي نشـوةٍ ودَلالِ

★ ★ ★

نحن نحيا في جَنَّةٍ مِنْ جِنَانِ السِّحْرِ في عـالـمٍ بعيـدٍ...، بعيـدِ...
نحـنُ فـي عُشّنَـا المـوَرَّدِ، نتلـو سُـوَرَ الحـبِّ للشَّبـابِ السَّعيـدِ

★ ★ ★

قـد تـركنـا الوُجـودَ للنَّـاس، فَلْيُقَضُّـوا الحيـاةَ كيـفَ أرادوا
وذهبنـا بِلبِّـه، وَهْـوَ رُوحٌ وَتَـركنـا القُشُـورَ، وَهْـيَ جَمـادُ[٣]

★ ★ ★

قَـدْ سكـرنـا بحبّنـا، واكتفينـا طَفَحَ الكأْسُ، فـاذهبـوا يـا سُقـاةُ[٤]
نحـن نحيـا فلا نـريـدُ مـزيـداً حَسْبُنـا مـا مَنَحْتِنَـا يـا حَيـاةُ
حَسْبُنـا زهـرُنَـا الّذي نَتَنَشَّـى حَسْبُنا كـأسُنـا التي نتـرشّـفْ[٥]
إنّ فـي ثَغْـرِنـا رحيقـاً سمـاويّـاً وفـي قلبنـا ربيعـاً مُفَـوّفْ[٦]

★ ★ ★

أيُّهـا الدَّهْـرُ، أيُّهـا الزَّمَـنُ الجـاري إلـى غيـرِ وُجهـةٍ وقـرارِ![٧]

(٣) بلبّه: بقلبه.
(٤) طفح: امتلأ.
(٥) نتنشّى: نشمّ. نترشّف: نمصّ بشفتينا.
(٦) الرّحيق: الخمرة الصّافية. المفوّف: الحديث العهد. وأصلها القشرة أوّل ما تكون على الحبّة أو البزرة.
(٧) قرار: غاية وهدف.

أيُّها الكونُ! أيّها القَدَرُ الأعمى! قِفُوا حيثُ أنتُمُ! أو فسيرُوا
وَدَعُونا هنا: تُغنّي لنا الأحْلامُ والحبُّ، والوجودُ، الكبيرُ

★ ★ ★

وإذا ما أبَيْتُمُ، فاحمِلُونا ولهيبُ الغَرامِ في شَفَتَيْنا
وزهورُ الحياةِ، تعبقُ بالعِطْرِ وبالسِّحْرِ، والصِّبا في يديْنا[8]

الأشواق التّائهة

— 53 — [من الخفيف]

يا صَميمَ الحياةِ! إنّي وَحِيدٌ مُدْلجٌ، تَائِهٌ، فأينَ شُرُوقُكْ؟[1]
يا صميمَ الحياةِ! إنّي فؤادٌ ضَائعٌ، ظامئٌ، فَأَيْنَ رَحِيقُكْ؟
يا صميمَ الحياةِ! قد وَجَمَ النَّايُ وغام الفضا فأيْنَ بُرُوقُكْ؟
يا صميمَ الحياةِ! أين أغانيكَ! فَتَحْتَ النُّجومِ يُصْغِي مَشُوقُكْ

★ ★ ★

كُنْتُ في فجرِكَ، الموشَّحِ بالأحلامِ، عِطْراً، يَرِفُّ فَوْقَ وُرودِكْ
حَالماً، يَنْهَلُ الضِّيَاءَ، ويُصغي لكَ، في نشوةٍ بوحيِ نَشِيدِكْ
ثُمَّ جاءَ الدُّجى.. فأمسيتُ أوراقاً، بِدَاداً، من ذابلاتِ الورودِ[2]
وَضَباباً مِنَ الشّذى، يتلاشى بين هولِ الدُّجى وصمتِ الوُجودِ
كنتُ في فجرك المغلّف بالسِّحرِ، فضَاءً مِنَ النَّشيدِ الهادي

(٨) تعبق: تفوح برائحتها الزّكيّة. يقف الشّاعر وقفة شجاعة أمام الموت الذي يهدّده، ويأبى إلاّ أن يستقبل الموت بكلّ ما في نفسه من أمل وشباب وفرح.
(١) مدلج: سائر في اللّيل.
(٢) بداداً: متفرّقة. يصور الشّاعر فجر حياته وكانت أحلامه كبيرة فإذا بالظّلام يأتي سريعاً، قبل موعده، فيحوّل أحلامه إلى آهات.

وَسَحاباً مِنَ الرُّؤى، يتهادى في ضميرِ الآزال والآبادِ
وَضِياءً، يَعَانِقُ العالَمَ الرَّحْبَ، وَيَسْرِي في كلِّ خافٍ وَبَادِ
وانقضى الفجرُ..، فانحدرتُ منَ الأفْقِ تراباً إلى صَمِيمِ الوادي

★ ★ ★

يا صميمَ الحياة! كم أنا في الدُّنيا غريبٌ أشقى بغُرْبَةِ نفسي
بين قومٍ، لا يَفْهَمُون أناشيدَ فؤادي، ولا معانيَ بؤسي
في وجودٍ مُكَبَّل بقيودٍ، تَائهٍ في ظلامِ شَكٍّ ونحسِ
فاحتضِنِّي، وضُمَّني لكَ - كالماضي - فهذا الوجودُ عِلَّةُ يأسي

★ ★ ★

لم أجد في الوجود إلا شقاءً، سَرْمديّاً، ولذَّةً، مُضْمَحِلَّهْ
وأمانيَّ، يُغرِقُ الدّمعُ أحلاها، ويُفني يَمُّ الزّمانِ صَداها[3]
وأناشيدَ، يأكُلُ اللّهَبُ الدّامي مَسَرَّاتِها، ويُبْقِي أساها
وَوُروداً، تموت في قبضةِ الأشْواكِ ما هذه الحياةُ المملَّةْ؟!
سَأمٌ هذه الحياةُ معَادٌ وصباحٌ، يكرُّ في إثرِ ليلِ
ليتني لم أَفِدْ إلى هذه الدّنيا، ولم تَسْبَحِ الكَواكِبُ حولي![4]
ليتني لم يعانقِ الفجْرُ أحلامي، وَلَمْ يَلْثُمِ الضِّياءُ جفوني!
ليتني لم أزلْ - كما كنتُ - ضوءاً، شائعاً في الوجود، غيرَ سَجينِ!

(٣) اليمّ: البحر.
(٤) أَفِد: المضارع من وفد، بمعنى أتى، قَدِم. يعلن الشّاعر في هذه الأبيات عن خيبة أمله في هذا الوجود لأنّه ليس سوى أيّام وليالٍ تتكرّر.

قافية اللاّم

قلب الأم

[من الكامل]　　　　— 54 —

يــا أيُّهــا الطِّفــلُ الَّذي قَــدْ كــانَ كــاللَّحــنِ الجَميــلْ
والوردةِ البيضــاءِ، تَعْبُــقُ فــي غِيَــابَــاتِ الأَصيــلْ[1]
يــا أيُّهــا الطِّفــلُ الذي قَــدْ كــانَ فــي هــذا الوُجُــودْ
فــرِحــاً، يُنَــاجــي فتنــةَ الدُّنيــا بمعســول النَّشِيــدْ
هــا أنــتَ ذَا قَــدْ أَطْبَقَــتْ جفنَيْــكَ أَحْلامُ المَنُــونْ
وَتَطــايــرتْ زُمَــرُ الملائِــكِ حــولَ مضْجعِــكَ الأميــنْ[2]
ومضــتْ بــروحــكَ للسَّمــاءِ عَــرائسُ النُّــورِ الحبيــبْ
يحمِلْــنَ تيجــانــاً، مــذَهَّبَــةً، مِــنَ الزَّهَــرِ الغَــريــبْ
هــا أنــتَ ذا قــد جَلَّلَتْــكَ سَكِينَــةُ الأبــدِ الكبيــرْ
وَبَكَتْــكَ هــاتيــكَ القُلُــوبُ، وضمَّــك القبــرُ الصَّغيــرْ
وتفــرَّق النَّــاسُ الذيــن إلــى المقَــابِــرِ شيَّعــوكْ
ونسُــوكَ مــن دنيــاهُــمُ، حتَّــى كــأنْ لــم يَعْــرفــوكْ
شَغَلَتْهُــمُ عنــكَ الحيــاةُ، وَحَــرْبُ هــذي الكــائنَــاتْ

---

(١) الغيابات: قعر كلّ شيء.
(٢) المضجع: مكان الاستلقاء على الأرض.

إنَّ الحَيَــاةَ ـ وقــد قضيْــتَ قُبَيْــلَ معــرفــةِ الحيــاةْ ـ
بحــرٌ، قَــرَارَتُــهُ الرَّدى، ونشيــدُ لجتــه، شَكَــاةْ
وعلــى شَــوَاطئــهِ القُلُــوبُ تئــنُّ، داميــةً عُــراةْ
بحــرٌ، تجيشُ بــه العَــوَاصِــفُ فــي العَشِيَّــةِ والغــداةْ
وتُظِلُّــهُ سُحُــبُ الظَّلام ِ، فَلا سكــونَ ولا إيــاةْ
نَسِيَتْــكَ أمــواجُ البُحيْــرَةِ، والنُّجــومُ اللاَّمعــهْ
والبُلبــلُ الشَّــادي، وهــاتيــكَ المــروجُ الشَّــاسِعــهْ
وَجَــداولُ الوادي النَّضِيــرِ بــرقْصِهــا وَخَــريــرهــا[3]
ومســالــكُ الجبــل الصغيــر بعُشْبهــا وزُهــورهــا
حتَّــى الرِّفَــاقُ..، فــإنّهــمْ لبثــوا مــدىً يتســاءلــونْ
فــي حيــرةٍ مشبــوبــةٍ: «أيــن اختفــى هــذا الأميــنْ؟»[4]
لكنّهــمْ عِلمــوا بــأنَّــكَ فــي اللَّيــالــي الدَّاجيــةْ[5]
حملتــكَ غِيلانُ الظَّلامِ الى الجبــال النَّــائيــةْ[6]
فَنَسُــوكَ مثــلَ النَّــاس ِ...، وانصــرفــوا إلــى اللَّهْــوِ الجميــلْ
بيــنَ الخمــائــلِ والجــداولِ ، والرَّوابــي، والسُّهــولْ
ونسُــوا وداعــةَ وجهــك الهــادي، ومنظَــرَكَ الوسيــمْ
ونسُــوا تَغَنّيــكَ الجميــلَ بِصَــوتــكَ الحلــوِ، الرخيــمْ[7]
ومضــوْا إلــى المــرْجِ البَهيــج، يطــارِدُون طيــورَهُ
ويُــزحــزِحــون صُخــورَهُ، ويعــابثــونَ زُهْــورَهُ
ويشيِّــدونَ مــن الرِّمــالِ البيــضِ ، والحَصَــبِ النضيــرْ[8]

---

(٣) النّضير: ذو الحسن والرّونق.
(٤) مشبوبة: تنمو وتزيد.
(٥) الدّاجية: المظلمة.
(٦) غيلان: جمع غول، حيوان وهمي.
(٧) الرّخيم: اللّيّن السّهل.
(٨) الحصب: الحجارة.

غُـرَفـاً، وأكـواخـاً تُكَلِّلُهـا الحَشَـائشُ والزُّهـورْ
وُينضِّـدون مـن الرُّبَـى، بيـن التَّضـاحُـكِ والحُبـورْ[٩]
طـاقـاتِ وردٍ، آبـدٍ، تُـزري بـأورادِ القُصـورْ[١٠]
يُلقُـونهـا فـي النَّهـر، قُـربـانـاً لآلهـة السُّـرورْ
فَتَسِيـرُ فـي التَّيـار، راقصـةً علـى نَغَـم الخـريـرْ
كـلُّ نسُوكَ، ولـم يعـودوا يـذكـرونـكَ فـي الحيـاةْ
والدَّهـر يَـدْفُـنُ فـي ظلام المـوتِ حتّـى الذِّكْـريـاتْ
إلا فـؤاداً، ظـلَّ يخفُـقُ فـي الوجـود إلـى لِقَـاكْ
ويـودُّ لـو بَـذَلَ الحيَـاةَ إلـى المنيَّـةِ، وافْتَـداكْ
فـإذا رأى طفلاً بكـاكَ، وإن رأى شبَحـاً دعـاكْ
يُصغِـي لصـوتِـكَ فـي الوجـود، ولا يـرى إلاَّ بهـاكْ
يصغـى لنغمتـكَ الجميلـةِ فـي خـريـرِ السَّـاقيـهْ
في رنَّـةِ المـزْمـارِ، فـي لغْـوِ الطُّيـور الشَّـاديـهْ[١١]
في ضَجَّـةِ البَحـر المجلجِـل، في هَـديـر العَـاصِفـهْ[١٢]
في لُجّـة الغَـابَـاتِ، فـي صـوتِ الرُّعـودِ القَـاصِفـهْ
في نُغْيَـةِ الحَمَـلِ الوَديـعِ، وفـي أنـاشيـدِ الرُّعـاةْ[١٣]
بيـن المـروج الخُضْـرِ والسَّفْـحِ المجلَّـلِ بـالنَّبـاتْ
في آهـة الشَّـاكـي، وضـوضـاءِ الجمـوع الصَّـاخبـهْ
فـي شهقـةِ البَـاكـي يـؤَجِّجُهـا نُـواحُ النَّـادبـهْ
فـي كـلِّ أصـواتِ الوُجـودِ: طـروبِهَـا وكئيبِهـا

(٩) ينضّدون: يضمّون الأشياء بعضها إلى بعض.
(١٠) تزري: تعيب، تهزأ.
(١١) اللّغو: ما لا يُعتدّ به ولا يُعتمد عليه من الكلام.
(١٢) المجلجل: القويّ الصّوت.
(١٣) نغية: ربّما كانت صوت الحمل.

ورخيمِها ، وعنيفِها ، وبغيضِها ، وحبيبِها
ويراكَ في صُوَرِ الطَّبيعةِ: حُلوِها ، وذميمِها
وحزينِها وبهيجِها ، وحقيرِها وعظيمِها
في رقَّةِ الفجر الوديعِ ، وفي اللّيالي الحالمهْ
في فتنةِ الشَّفقِ البَديعِ ، وفي النّجوم البَاسمهْ
في رقْصِ أمواجِ البحيْرة تَحْتَ أضواءِ النُّجومْ
في سِحْرِ أزهارِ الرَّبيع ، وفي تهاويلِ الغُيوم[14]
في لَمْعةِ البرق الخَفُوقِ ، وفي هُوِيِّ الصّاعقهْ
في ذِلَّةِ الوادي ، وفي كِبْرِ الجبال الشّاهقهْ
في مَشهَدِ الغابِ الكئيبِ ، وفي الورود العاويهْ[15]
في ظُلْمة اللّيل الحزين ، وفي الكُهوفِ العَاريهْ
أعَرفتَ هذا القلْبَ في ظلماءِ هاتيكَ اللّحُودْ؟
هُوَ قَلْبُ أمِّكَ ، أمِّكَ السَّكْرَى بأحزانِ الوجودْ
هو ذلك القَلْبُ الذي سَيعيشُ كالشّادي الضريرْ
يشدُو بشكْوَى حزنِهِ الدَّاجي إلى النَّفَسِ الأخير[16]
لا ربَّةُ النِّسيانِ ترحمُ حُزْنَهُ وترى شقاهْ
كلا ! ولا الأيَّامُ تُبْلي في أنامِلِها أسَاهْ
إلا إذا ضَفَرَتْ لهُ الأَقْدَارُ إكليلَ الجنونْ[17]
وغدا شقيّاً ضاحكاً ، تلهو بمرآهُ السُّنُونْ
هو ذلك القلبُ الذي مهما تقلّبتِ الحياةْ

---

(14) تهاويل : أشكال مخيفة .

(15) الورود : جمع ورد ، وهو الأسد .

(16) الدّاجي : المظلم .

(17) ضفر : نسج بعضه على بعض عريضاً .

وتـدفّـعَ الزَّمَـنُ المـدَمْـدِمُ فـي شِعَـابِ الكـائنـاتْ[18]
وتغنّـتِ الدُّنيـا، وغـرّد بلبـلُ الغَـاب الجميـلْ
سَيَظـلُّ يعبُـدُ ذكـريـاتِـكِ: لاَ يَمَـلُّ، ولا يميـلْ
كـالأرض: تمشـي فـوق تُـربَتِهَـا المسـرّةُ، والشَّبـابْ
والليـلُ، والفجـرُ المجنَّـحُ، والعـواصـفُ، والسَّحـابْ
والحـبُّ تَنبـتُ فـي مـواطِنـه الشَّقَـائـقُ، والورودْ
والمـوتُ تُحْفَـرُ- أينمـا يخطـو - المقـابـرُ واللحـودْ
وتمـر بيـن فجـاجهـا اللّـذاتُ، حـالمـةً، تميـدْ[19]
سكـرى، وأشـواقُ الورى تـرنـو إلـى الأفُـق البعيـدْ...
وتَظَـلُّ تَـرْقُـصُ للأسـى، للّهْـوِ، أشْبَـاحُ الدُّهـورْ
حتّـى يُـوَاريَهـا ضَبَـابُ المـوتِ فـي وادي الدُّثـورْ[20]
وتَظَـلُّ تُـورِقُ، ثـمّ تُـزْهِـرُ، ثـمّ يَنْشُـرُهـا الصَّبـاحْ
للمـوتِ، للشـوْك الممـزّقِ، للجَـداولِ، للـريّـاحْ
بَسَمـاتُ ثَغْـرٍ، حـالـمٍ، يفتَـرُّ فـي سهْـوِ السُّـرورْ[21]
وَوُرودُ روضٍ، بَـاسِـمٍ، يُصغِـي لألحـانِ الطّيـورْ
وتظـلُّ تخفـقُ، ثـمّ تشْـدُو، ثـمّ يطـويهـا التّـرابْ
قُبَـلٌ، وأطيـارٌ، تُغـرِّدُ للحيـاةِ، وللشّبـابْ
وتظـلُّ تمشِـي فـي جـوَارِ المـوتِ أفـراحُ الحيـاةْ!...
ويغـرِّدُ الشَّحـرورُ مـا بيـن الجَمـاجِـمِ والرُّفـاتْ
والأرضُ حـالمـةٌ:، تغنّـي بيـن أسـرابِ النّجـومْ
أنشـودةَ المـاضـي البعيـدِ، وسُـورةَ الأزَلِ القـديـمْ...

(١٨) دمدم: غضب.

(١٩) ماد: اضطرب وتحرّك.

(٢٠) الدّثور: الهلاك.

(٢١) افترّ: تبسّم وضحك.

أراكِ

– 55 – [من المتقارب]

أراكِ، فَتَحْلُــو لَــدَيّ الحيــاةُ ويملأُ نَفســي صَبَــاحُ الأمــلْ
وتنمو بصــدري وُرُودٌ، عِــذابٌ وتحنــو علــى قلبــيَ المشْتَعِــلْ
ويفْتِنُنــي فيــكِ فيــضُ الحيــاةِ وذاك الشّبــابُ، الوديــعُ، الثَّمِــلْ[1]
ويفتنُنــي سِحْــرُ تلــك الشّفــاهِ تــرفــرفُ مِــنْ حَــوْلهــنّ القُبَــلْ
فــأعبُدُ فيــكِ جمــالَ السَّمــاءِ، ورقّــةَ وَرْدِ الرَّبيــعِ، الخضِــلْ[2]
وطُهْــرَ الثّلــوجِ، وسِحْــرَ المــروج مُــوَشّحَــةً بِشُعَــاعِ الطَّفَــلْ[3]

★ ★ ★

أراكِ، فــأُخْلَــقُ خلْقــاً جــديــداً كــأنّــيَ لَــمْ أَبْــلُ حــربَ الوجــودْ
ولــم أحتمــل فيــه عِبئــاً، ثقيلاً مــن الذّكْــرَيــاتِ التــي لا تَبيــدْ
وأضغــاثِ أيّــامِــيَ، الغــابــراتِ وفيهــا الشّقــيُّ، وفيهــا السَّعيــدْ[4]
ويغْمُــرُ روحِــي ضِيَــاءٌ، رَفيــقٌ تُكلّلـــــــهُ رَائعـــــــاتُ الورودْ
وتُسْمِعُنــي هَــاتِــهِ الكَــائِنَــاتُ رقيــقَ الأغــانــي، وَحُلْــوَ النَّشِيــدْ
وَتَرْقُــصُ حَــولــي أمــانٍ، طِــرابٌ وأفــراحُ عُمْــرٍ خَلِــيٍّ، سَعيــدْ[5]

★ ★ ★

أراكِ، فتخفُــقُ أعصــابُ قلبــي وتهتــزُّ مِثْــلَ اهتـــزازِ الوَتَــرْ
ويُجري عليهــا الهــوى، فــي حُنُــوٍّ أناملَ، لُدْنــاً، كــرَطْــبَ الزَّهَــرْ[6]

---

(١) الثّمل: النّشوان، السّكران.
(٢) الخضل: النّديّ، المبتلّ.
(٣) الطَّفَل: بعيد طلوع الشّمس أو قبيل غروبها.
(٤) أضغاث الأيّام: ما كان منها مضطرباً ومختلطاً.
(٥) الخليّ: الخالي من الهموم.
(٦) اللّدْن: اللّيّن من كلّ شيء. أي أنّ حبّك يلامس أعصاب قلبي بأنامله النّاعمة النّديّة كالزّهور.

فتخطو أناشيدُ قلبيَ، سكْرَى تغرِّدُ، تَحْتَ ظِلال القَمَرْ
وتملأني نَشْوةٌ، لا تُحَدُّ كأنِّيَ أَصْبَحْتُ فوقَ البَشَرْ
أودُّ بروحي عِنَاقَ الوجودِ بما فيه من أنفُسٍ، أو شَجَرْ
وليلٍ يفرُّ، وفجرٍ يكرُّ وغَيْمٍ، يوَشِّي رداءَ السَّحَرْ

زوبعة في ظلام

– 56 – [من السّريع]

لو كَانَتِ الأَيّامُ في قبضتي أَذَرْتُها للرِّيحِ، مِثْلَ الرمالْ[1]
وقلتُ: «يا ريحُ، بها فاذهبي وبدِّديها في سَحيقِ الجبالْ[2]
«بل في فجاجِ الموتِ.. في عالَمٍ لا يرقُصُ النُّورُ بِهِ والظِّلالْ..

★ ★ ★

لو كان هذا الكونُ في قبضتي ألقيْتُه في النّار، نارِ الجحيمْ
ما هذه الدّنيا، وهذا الورى وذلكَ الأُفْقُ، وَتِلْكَ النُّجُومْ؟
النَّارُ أوْلى بعبيدِ الأسى، ومسرحِ الموتِ، وعشِّ الهمومْ
يا أيّها الماضِيُ الذي قد قَضَى وضمَّهُ الموتُ، وليلُ الأَبَدْ
يا حاضِرَ النَّاس الذي لم يَزُلْ! يا أيُّها الآتي الذي لم يَلِدْ
سَخَافَةٌ دنياكُمُ هذه تائهةٌ في ظلمةٍ لا تُحَدْ..[4]

---

(١) ذرى وأذرى: نثر.
(٢) بدّد: فرّق وشتّت.
(٣) الورى: النّاس.
(٤) لا تُحد: لا حدود لها.

غرفة من يمّ

[من البسيط]

ضُعْفُ العَزِيمَةِ لَحْدٌ، فـي سَكِينَتِـهِ تقضِي الحياةُ، بَنَاهُ اليأسُ والوجـلُ[1]
وفِـي العَـزِيمَـةِ قُـوَّاتٌ، مُسَخَّـرَةٌ يَخِرُّ دُونَ مَدَاهَـا الشَّـامِخُ الجَبَـلُ
وَالنَّاس شَخْصَان : ذَا يَسْعَى بِهِ قَـدَمٌ مِنَ القُنُوطِ، وَذَا يَسْعَى بِهِ الأَمَـلُ[2]
هذا إلى الموتِ، والأَجْدَاثُ سَاخِرةٌ، وَذَا إلى المَجْدِ، والدُّنْيَا لَهُ خَـوَلُ[3]
مَا كُلُّ فِعْلٍ يُجِـلُّ النَّـاسُ فَـاعِلَـهُ مَجْدًا، فإنَّ الوَرَى فِي رَأْيِهِمْ خَطَلُ[4]
فَفِي التَمَاجُـدِ تَمْـوِيـهٌ، وَشَعْـوَذَةٌ، وَفِي الحَقِيقَة مَا لا يُدْرِكُ الدَّجِـلُ[5]
مَا المَجْدُ إلا ابتِسَامَاتٌ يَفِيضُ بهـا فَمُ الزمانْ، إذَا مَا انْسَـدَّتِ الحِيَـلُ
وَلَيْسَ بِالمَجْدِ ما تَشْقَى الحَيَاةُ بِـهِ فَيَحْسُدُ اليَوْمُ أمْسـاً، ضَمَّـهُ الأَزَلُ
فَمَا الحُرُوب سِوَى وَحْشِيَّةٍ، نَهَضَـتْ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ، فَانقَادَتْ لَهَا الدُّوَلُ
وَأَيْقَظَتْ في قُلُوبِ النَّاس عَـاصِفَـةً غَامَ الوُجُودُ لها، وارْبَدَّت السُّبُـلُ[6]
فَالدَّهْرُ مُنْتَعِـلٌ بـالنَّـارِ، مُلْتَحِـفٌ بالهوْلِ، والويْلِ، والأيامُ تَشْتَعِـلُ[7]
وَالأَرْضُ دَامِيةٌ، بـالإِثْـمِ طَـامِيَـةٌ، وَمَارِدُ الشَّرِّ في أَرْجَـائِهَـا ثَمِـلُ[8]
والموتُ كَالْمَارِدِ الجبّار، مَنْتَصِـبٌ فِي الأرض، يَخْطُفُ مَنْ قَدْ خَانَهُ الأَجَلُ
وَفِـي المَهَـامِـهِ أشلاءٌ، مُمَـزَّقَـةٌ تَتْلُو على القفْرِ شِعْراً، لَيْسَ يُنْتَحَلُ[9]

---

(١) الضمير في « بناه » يعود إلى اللّحد . الوجل : الخوف .
(٢) القنوط : اليأس .
(٣) الأجداث : القبور . خَوَلٌ : خَدَمٌ .
(٤) الورى : النّاس . خطل : فساد في الرأي .
(٥) التماجد : التّفاخر بالأمجاد . تمويه : تضليل . الدّجل : الكذب .
(٦) غام : غطّاه الغيم . اربدّت : أصبحت ربداء منكرة .
(٧) منتعل : يلبس النّعل . الهول : الخوف والرّعب .
(٨) طامية : يغمرها الماء . ثمل : سكران .
(٩) المهامه : البلد القفر أو الصحراء لا ماء فيها .

ذكرى صباح

— 58 — [من الخفيف]

قـدّسَ اللهُ ذِكْـرَهُ مِـن صَبَـاحِ ... سَاحـرٍ، فـي ظِلالِ غـابٍ جميـلِ
كان فيه النّسيمُ، يرقُـصُ سَكْـرانـاً ... علـى الوردِ، والنّبـاتِ البَليـلِ
وضَبابُ الجبالِ، يَنْسَابُ في رفـقٍ ... بـديـعٍ، علـى مُـروج السُّهـولِ [1]
وأغاني الرُّعاةِ، تخفُقُ فـي الأغـوارِ ... والسَّهْـلِ، والرُّبـى، والتُّلـولِ [2]
ورحابُ الفضاءِ، تَعْبَقُ بـالألحـانِ ... والعِطْـرِ، والضِّيـاءِ الجَميـلِ [3]
والملاكُ الجميلُ، ما بيـن ريحـانٍ ... وعُشْـبٍ، وسِنـديـان، ظَليـلِ
يتغنَّى مع العَصَافيـرِ، فـي الغـابِ ... ويـرنـو الى الضَّبـاب الكَسُـولِ [4]
وشعورُ الملاكِ ترقُـصُ بـالأزهـارِ ... والضـوءِ، والنَّسيـمِ العَليـلِ
حُلُـمٌ سـاحـرٌ، بـه حَلُـمَ الغـابُ ... فَـوَاهـاً لِحُلْمِـهِ المَعْسُـولِ!
مِثْلُ رؤيـا تَلُـوحُ للشّـاعـرِ الفنّـانِ ... فـي نشـوةِ الخيـالِ الجَليـلِ [5]
قـد تَمَلَّيْـتُ سِحْـرَهُ فـي أنـاةٍ ... وحنـانٍ، ولَـذَّةٍ، وذُهـولِ [6]
ثُمَّ ناديـتُ، حينمـا طفحَ السِّحـرُ ... بـأرجـاءِ قَلبـيَ المبتـولِ [7]
يا شُعورٌ تميـدُ فـي الغـابِ بـالرَّ ... يحان، والنّورِ، والنَّسيمِ البَليـلِ [8]
كَبِّليني بهـاتِـهِ الخِصَـلِ المرخَـاةِ ... فـي فتنـةِ الدَّلال المَلُـولِ [9]

---

(١) ينساب: يمشي مسرعاً.
(٢) الأغوار: المنخفضات.
(٣) تعبق: تنتشر رائحتها الزّكيّة.
(٤) يرنو: يديم النّظر. يذكر الشّاعر هذا الصّباح الجميل وكأنّه حلم من أحلام الطبيعة.
(٥) رؤيا: حلم. النّشوة: أوّل السُّكر.
(٦) الأناة: الرّفق. الذّهول: الغياب عن الرّشد.
(٧) طفح: امتلأ. المبتول: المقطوع، المفصول.
(٨) ماد: تحرّك واضطرب.
(٩) كبّليني: قيّديني. المَلُول: الضَّجِر.

كبّلي يا سَلاسلَ الحبِّ أفكا ... ري، وأحلامَ قلبيَ الضَّلِّيلِ
كبِّليني بكل ما فيكِ من عِطْرٍ ... وسحرٍ مُقَدّسٍ، مَجْهولِ
كبِّليني، فإنَّما يُصْبِحُ الفنّان ... حراً، في مثلِ هذي الكُبولِ

★ ★ ★

ليت شعري! كَمْ بينَ أمواجِكِ السّو ... دِ، وطيّاتِ ليلِكِ المسدولِ
من غَرامٍ، مذَهَّبِ التّاجِ، ميْتٍ ... وفؤادٍ، مصفَّدٍ، مغلولِ
وزهورٍ من الأمانيِّ تذوي ... في شُحُوبٍ، وخيبةٍ، وخمولِ [10]
أنتِ لا تعلمين.. ، واللَّيلُ لا يعلَمُ ... كَمْ في ظلامهِ مِنْ قَتيلِ
أنتِ أرْجُوحَةُ النَّسيمِ فميلي ... بالنَّسيمِ السَّعيدِ كلَّ مَميلِ
ودَعي الشَّمسَ والسماءَ تُسَوِّي ... لكِ تاجاً، من الضّياءِ الجميلِ
ودِعي مُزْهِرَ الغُصُونِ يُغَشِّيـ ... ـكِ بأوراقِ وَردِه المطلولِ [11]

★ ★ ★

لِلشُّعاعِ الجميلِ أنتِ، وللأنسا ... م، والزَّهر، فالعبي، وأطيلي
ودعي للشقيِّ أشواقَه الظمْأى ... وأوهامَ ذِهْنِه المعلولِ
يا عروسَ الجبال، يا وردةَ الآ ... مالِ، يا فتنةَ الوجودِ الجليلِ
ليتَني كنتُ زَهْرةً، تتثنَّى ... بينَ طيَّاتِ شَعْرِكِ المصقولِ! [12]
أو فَراشاً، أحُومُ، حولكِ مسحوراً ... غريقاً، في نشوتي، وَذُهُولي!
أو غصوناً، أحنو عليكِ بأوراقي ... حُنُوَّ المدَلَّهِ، المتبولِ! [13]
أو نسيماً، أضمُّ صدركِ في رِفقٍ، ... إلى صَدْرِيَ الخفوقِ، النَّحيلِ
آهِ! كم يُسْعِدُ الجمالُ، ويُشْقي ... من قلوبٍ شِعْرِيَّةٍ، وعقولِ... [14]

---

(١١) المطلول: الذي كلّله الطّلّ أي النّدى.

(١٢) تتثنى: تتمايل وتنعطف.

(١٣) المُدَلَّه: الذاهب العقل من العشق. المتبول: الذي أسقمه الحبّ.

(١٤) يتمنّى الشّاعر في نهاية هذه القصيدة لو كان عنصراً من عناصر الطّبيعة الخلاّبة لا يشقى كما يشقى الإنسان الذي له قلب وعقل.

خَلِّه للموت

– 95 –

[من الرّمل]

كُلُّ قَلْبٍ حَمَلَ الْخَسْفَ، وَمَا ... مَلَّ مِنْ ذُلِّ الْحَيَاةِ الأَرْذَلِ (١)

كُلُّ شَعْبٍ قَدْ طَغَتْ فِيهِ الدِّمَا ... دُونَ أَنْ يَثْأَرَ لِلْحَقِّ الجَلِي (٢)

خَلِّهِ لِلْمَوْتِ يَطْوِيهِ!.. فَمَا ... حَظُّهُ غَيْرُ الفَنَاءِ الأَنْكَلِ (٣)

---

(١) الخسف: الذلّ والقهر. الأرذل: الرّذيل.

(٢) طغت: ثارت. الجلي: الواضح، المكشوف.

(٣) الأنكل: الذي يُلحق به المصائب.

قافية الميم

أكثرت يا قلبي فماذا تروم؟

[من السريع] — 60 —

يـا قلبـيَ الدّامـي! إلامَ الوُجـومْ!؟
يَكْفِيـكَ! إنَّ الحُـزْنَ فـظٌّ، غَشُـومْ[1]
هـذي كـؤوسـي مُـرّةٌ، كـالـرَّدى
مـا مِلْـؤُهـا إلاّ عصيـرُ الهُمـومْ
وذاك نـايِـي صـامـتٌ، وَاجِـمٌ[2]
يُصغـي إلـى صوتِ الغَـرام القـديـمْ
يـا قلبـيَ البَـاكـي إلامَ البُكَـا؟
مـا فـي فضـاءِ الكـونِ شـيءٌ يَـدُومْ
فـانثُـرْ غُبـارَ الحُـزْنِ فـوقَ الدُّجَـى
واسمـعْ إلـى صـوتِ الشَّبـابِ الرخِيـمْ
وانقُـرْ علـى دَفِّ الهـوى لحنَـهُ
وارقُـصْ مَـعَ النُّـور الضَّحـوك الوسيمْ

---

(١) فظّ: غليظ، سيّء الجانب.

(٢) واجم: ساكت، وعاجز عن الكلام.

يـــا قلبـــيَ الدّاجـــي! إلام الوُجـــومْ؟
إن لَـمْ أَلُـمْ قلبـــي فَمَـــنْ ذَا ألـــومْ؟
مـا لَـكَ لا تُصْغـي لغيـرِ الأسـى؟
مـا لَـكَ لاَ تـرْنُـو لغيـرِ الكُلُـومْ؟[3]
ما لَكَ قد أصْبَحْتَ لا تصـرفُ الأيّـامَ
إلاّ فـــي شِعَـــابِ الجَحِيـــمْ؟
أمـــا تَـــرَى البُلْبُـــل فـــي غَـــابِـــهِ؟
يشـدو وفـوق الغـابِ تخطُـو النُّجـومْ؟
أما ترى الأسْحَار تبدو بهـا الغـابـات؟
كـــالأحلام - خلْـــفَ السَّـــديـــم؟
أمـا تـرى الآمـالَ فـي سِحْـرِهـا؟
أمـا تـرى الليـلَ يُنَـاغِـي النّجـومْ؟[4]
يـــا قلبـــيَ الدَّاجـــي! إلامَ الوُجـــومْ؟
أكثـرت يـــا قلبـــي فمـــاذا تـــرومْ؟
هَـلْ تَحْسَـبُ الأيَّـامَ فـي زَحْفِهَـا
تـرثِـي لِمَـنْ قَـدْ هـدّمَتْـهُ الرّجـومْ،
كَلاّ! فَـــإنّ الدَّهْـــر يمضـــي ولا
يلـوي علـى مـا خَلْفَـهُ مِـنْ كَلِيـمْ[5]
واليـمُّ لا يَـــرْثِـــي لِمَـــنْ طمَّـــهُ
والسَّيـــلُ لا يبكـــي لَنَـــوْحِ الهَشِيـــمْ

---

(٣) ترنو: تنظر بسكون.
(٤) يناغي: يلاطف.
(٥) كليم: جريح. يقول: إن الدّهر لا يكترث بما يحلّ بالبشر من الآلام والويلات.

والعَاصِفُ الجبَّار في سُخْطِهِ[٦]
لا يَرْحَمُ الغُصْنَ، الرَّشيقَ، القَوِيمْ
هذي هِيَ الدُّنيا فَمَاذَا الأَسى
يا قلبي الدّامي، وماذا الوُجُومْ!

إلى عازف أعمى

– 61 –　　　　[من مخلّع البّسيط]

أدركتَ فَجْرَ الحَياةِ أعمّى　　وَكُنْتَ لاَ تَعْرِفُ الظّلامْ
فَأَطْبَقَتْ حَوْلَكَ الدَّيَاجِي　　وَغَامَ مِنْ فَوْقِكَ الغَمَامْ
وَعِشْتَ في وَحْشَةٍ، تقاسي　　خواطراً، كلّها ضرامْ
وَغُرْبَةٍ، مَا بِها رَفيقٌ　　وظلمةٍ، مَا لَهَا خِتَامْ
تشقُّ تِيهَ الوجودِ فرداً　　قد عضّك الفَقْرُ والسُّقَامْ[١]
وَطَاردتْ نَفْسَكَ المآسي　　وَفَرّ مِنْ قَلْبِكَ السّلامْ

★ ★ ★

هوِّنْ عَلى قلبك المعنَّى　　إنْ كُنْتَ لاَ تُبْصِرُ النُّجُومْ[٢]
ولا ترى الغابَ، وهْو يلغو　　وفوقه تَخْطُرُ الغُيومْ[٣]

---

(٦) السّخط: الغضب. يقول: إنّ العاصفة حين تهبّ لا تبالي بما تحدثه من أضرار في الأغصان النّديّة.

(١) التّيه: الأرض الواسعة يضيع فيها المرء. يصف العازف الأعمى وكأن الطّبيعة بكل قواها قد حاصرته لتقضي عليه.

(٢) المعنّى: المعذّب.

(٣) يلغو: يخطىء ويقول باطلاً.

ولا تــرى الجَــدْوَلَ المغنِّــي وَحَــوْلَــهُ يَــرْقُــصُ الغيــم[٤]
فكلُّنــا بــائسٌ، جَــديــرٌ بــرأفَــةِ الخَــالــق العَظِيــمْ
وكلُّنــا فــي الحيــاة أعمــى يَسُــوقــه زَعْــزَعٌ عَقِيــمْ
وحــولــه تَــزْعَــقُ المَنَــايــا كــأنَّهــا جِنَّــةُ الجَحِيــمْ:

★ ★ ★

يــا صــاح! إن الحيــاة قفــرٌ مــروِّعٌ، مــاؤه سَــرَابْ[٥]
لا يجتنــي الطَّــرْفُ منــه إلاّ عَــواطــفَ الشَّــوكِ والتُّــرابْ
وأسعــدُ النّــاس فيــه أعمــى لا يُبْصِــرُ الهــول والمُصَــابْ
ولا يــرى أنْفُسَ البَــرايــا تَــذُوب فــي وقْــدَةِ العَــذَابْ[٦]
فــاحمــد إِلٰــهَ الحيــاة، واقنــعْ فيهــا بــألْحَــانِــكَ العِــذابْ
وعِشْ، كمــا شــاءَتِ اللّيــالــي مــن آهَــةِ النَّــاي والرَّبَــابْ

أغاني التّائه

— 62 — [من الرمل]

كَــانَ فــي قَلبــيَ فَجْــرٌ، وَنُجُــومْ، وَبِحَــارٌ، لا تُغَشِّيهــا الغُيُــومْ
وأنــاشيــدٌ، وأَطيــارٌ تَحُــومْ وَرَبيــعٌ، مُشْــرِقٌ، حُلْــوٌ، جَميــلْ
كــان فــي قلبــي صَبَــاحٌ، وإيــاهْ وابتِسَــامَــاتٌ ولكــنْ... وأَسَــاهْ![١]
آه! مــا أهــولَ إِعْصَــارَ الحيــاهْ! آه! مــا أشقــى قُلُــوبَ النّــاسِ ! آه!

---

(٤) كلمة القافية غير صحيحة لأنّ الوزن لا يستقيم معها.
(٥) سراب: كذب وخداع.
(٦) الوقدة: أشدّ الحرّ. يحاول أنّ يخفّف من صدمة الأعمى لأنّ المبصر ليس أسعد حظّاً من الأعمى لِمَا يراه في هذا الوجود.
(١) إياه: ربّما استعملها الشّاعر جمعاً لكلمة «آه». ولم أقع لها على تفسير في المعاجم المتداولة.

كَـانَ فـي قلبـيَ فجـرٌ، ونجـومْ،
فـإذا الكـلُّ ظَلاَمٌ وَسَـدِيـمْ..،[٢]
كَـانَ فـي قلبـيَ فجـرٌ، وَنُجـومْ

يا بنـي أمِّي! تُـرى أيـن الصَّبَـاحْ؟ قـد تقضّى العُمْـرُ والفَجْـرُ بعيـدْ
وَطَغَـى الوادي بِمَشْبُـوبِ النـواحْ وانقَضَتْ أنشـودةُ الفَصْـلِ السَّعيـدْ[٣]
أينَ نـايـي؟ هـل تَـرَامَتْـهُ الرِّيـاحْ؟ أين غابي؟ أين محرابُ السُّجُودْ..؟[٤]
خبِّروا قلبي ـ فما أقسى الجـراح! ـ كيف طارتْ نشـوةُ العيشِ الحَميـدْ!

يَـا بنـي أمِّـي! تُـرى أيـن الصَّبَـاحْ؟
أوراءَ البَحْـرِ؟ أمْ خلـفَ الوُجـودْ؟
يـا بنـي أمِّـي؟ تُـرى أيـنَ الصَّبَـاحْ!

★ ★ ★

ليت شِعْري! هَـلْ سَتُسْليني الغـداةْ وتعـزِّينـي عـن الأمسِ الفَقِيـدْ
وتُـرينـي أنَّ أفْـراحَ الحيـاةْ زُمَـرٌ تمضـي، وأفـواجٌ تعـودْ[٥]
فـإذا قلبـي صَبَـاحٌ، وإيـاه..، وإذا أحلامـيَ الأولـى وُرُودْ..،
وإذا الشُّحْـرورُ حُلْـوُ النَّغمـاتْ..، وإذا الغَـابُ ضِيَـاءٌ وَنَشِيـدْ..؟

ليـت شعـري! هـل سَتُسْلِيني الغَـداةْ
أم سَتَنْسَـانـي، وتبقينـي وَحِيـدْ؟
ليـتَ شِعْـري! هـل تُعَـزِّيني الغَـدَاةْ؟

---

(٢) السَّديم: الضّباب الرّقيق. يقول: إنّ البسمة على شفاهه تحوّلت إلى غُصّة في قلبه لن تتحوّل.
(٣) المشبوب: المرتفع، النّامي.
(٤) المحراب: المكان المرتفع.
(٥) يحلم بعودة الفرح إلى حياته بعد أن تحوّلت إلى ألم وشقاء.

في الظّلام

– 63 –

[من الرمل]

رَفْرَفَتْ فِي دُجْيَـةِ اللَّيْـلِ الحَـزِيـنْ زُمْـــرَةُ الأَحْلَامْ[1]
فَوْقَ سِرْبٍ مِنْ غَمَـامَـاتِ الشُّجُـونْ مِلْـؤُهَـا الآلَامْ[2]

★ ★ ★

شَخَصَتْ، لَمَّـا رَأَتْ، عَيْـنُ النُّجُـومْ بَعْثَـةَ العُشَّـاقْ
وَرَمَتْهَـا مِـنْ سَمَـاهَـا بِـرُجُـومْ تَسْكُبُ الأَحْـرَاقْ[3]

★ ★ ★

كُنْتُ إِذْ ذَاكَ عَلَى ثَـوْبِ السُّكُـونْ أَنْثُـرُ الأَحْـزَانْ
وَالهَـوى يَسْكُـبُ أَصْدَاءَ المَنُـونْ فِـي فُـؤَادٍ فَـانْ[4]
سَـاكِتـاً مِثْـلَ جَمِيـعِ الكَـائِنَـاتْ رَاكِـدَ الأَلحَانْ[5]
هَـائِـمٌ قَلْبِـي بِـأَعْمَـاقِ الحَيَـاةْ تَـائِـهٌ، حَيْـرَان

★ ★ ★

إِنَّ للحـبِّ عَلَـى النَّـاسِ يَـدا تَقْصِفُ الأَعْمَـارْ[6]
وَلَـهُ فَجْـرٌ علـى طُـولِ المـدى سَـاطِـعُ الأَنْـوَارْ

★ ★ ★

---

(١) زمرة: جماعة. الدّجية: من الدجى، وهو الظّلام.
(٢) الشّجون: الأحزان. وقد استعار الغيوم للأحزان.
(٣) الرّجوم: الرّمي بالحجارة.
(٤) المنون: الموت. فان: اسم فاعل من الفناء.
(٥) راكد: ثابت في مكانه. والملاحظ كثرة استعمال الاستعارات والرّموز.
(٦) يقول: إنّ للحبّ سلطة كبيرة على البشر.

ثَــوْرَةُ الشَّــــرِّ، وأَحْلامُ السَّلامْ، وَجَمَـــالُ النُّـــورْ
وابتسامُ الفَجْرِ فـي حُـزْنِ الظَّلامْ، فــي العيــونِ الحُــورْ[٧]

صوت تائه

— 64 — [من الكامل]

قضَّيــتُ أدْوارَ الحيــاةِ، مُفكِّـــراً في الكَـائِنـاتِ، مُعَـذَّبـاً، مَهْمُـومـا
فَـوَجَـدْتُ أعـراسَ الوُجـود مـآتمـاً ووجدتُ فِـرْدَوسَ الزَّمـانِ جَحيمَـا
تَدْوي مَخَـارِمُـهُ بِضَجَّـةِ صَـرْصَـرٍ، مشبـوبـةٍ، تَـذَرُ الجِبَـال هَشِيمــا[١]
وَحَضَرْتُ مَائـدةَ الحيـاة فَلَـمْ أَجِـدْ إلا شـرابـاً، آجنــاً، مَسْمُـــومــا[٢]
وَنَفضْتُ أعماقَ الفَضَـاءِ، فَلَـمْ أَجِـدْ إلاَّ سُكـونــاً، مُتعَبــاً مَحْمُــومـا
تتبخَّــرُ الأَعْمــارُ فــي جنبَــاتِــهِ وتَمُـوتُ أشـواقُ النُّفـوس وُجُـوما
وَلَمَسْتُ أوتارَ الدُّهـورِ، فَلَـمْ تُفِـضْ إلا أنينــاً، داميـــاً، مَكْلُــومـــا
يَتْلُـو أقـاصيـصَ التَّعـاسـةِ والأسـى ويُصيِّـرُ أفـراحَ الحيــاةِ هُمُــومـا
شُرِّدْتُ عـن وَطَنِـي السَّمـاويِّ الذي مَـا كَـانَ يـومـاً واجمـاً، مغمـومـا
شُرِّدْتُ عَنْ وطني الجميل.. أنـا الشَّقِـ ـيُّ، فَعِشْتُ مَشْطورَ الفؤادِ، يتيمـا...
فــي غُــربــةٍ، رُوحيَّــةٍ، مَلْعُــونــةٍ أشواقُها تَقْضِي، عِطاشاً، هِيمـا...[٣]
يــا غُــربــةَ، الرُّوحِ المُفَكِّـــرِ! إنّــهُ في النَّاسِ يحيا، سَائماً، مَسْؤُومـا[٤]
شُــرِّدتُ لِلــدُّنيــا.. وَكُــلٌّ تــائــهٌ فيهــا يُــــرَوِّعُ رَاحلاً ومقيمـــا

(٧) الحَوَر: شدّة بياض بياض العين وشدّة سواد سوادها. يجعل من الحبّ أساساً لكل ثورة وتحرّر.
(١) المخارم: الطّرق في الجبال. الصرصر: الرّيح الباردة. مشبوبة: نامية ومزيدة.
(٢) الشّراب الآجن: الذي تغيّر طعمه ولونه وفَسُد. يقول: إنّه جاء إلى هذه الحياة فشارك في مرّها دون حلوها.
(٣) الهيم: جمع هيمان، وهو العطشان كثيراً.
(٤) سائماً: ذليلاً.

يدعو الحياةَ، فلا يُجيبُ سوى الرَّدى   ليدُسَّهُ تَحْتَ التُّرابِ رَميما
وَتَظَلُّ سَائِرةً، كأنّ فقيدها   مَا كَانَ يوماً صَاحباً وحميما!

★ ★ ★

يا أيُّها السّاري! لقد طال السُّرى   حَتّام تَرْقُبُ في الظَّلامِ نُجُوما..؟
أَتَخَالُ في الوادي البعيدِ المرْتَجَى؟   هيهاتَ! لَنْ تَلْقَى هناكَ مَرُوما[٥]
سرْ ما اسْتَطَعْتَ، فَسَوْفَ تُلفِي - مثلما   خلَّفتَ - مَمشُوقَ الغُصونِ حَطِيما

الى الشَّعب

– 65 –   [من الخفيف]

أينَ يا شعبُ قلبُكَ الخَافقُ الحسَّاسُ؟   أينَ الطُّموحُ، والأَحْلامُ؟
أين يا شعبُ، رُوحُك الشَّاعرُ الفنَّانُ   أينَ، الخيالُ والالهامُ؟
أين يا شعبُ، فنُّك السَّاحرُ الخلاّقُ؟   أينَ الرُّسومُ والأنغامُ؟
إنَّ يَمَّ الحياةِ يَدْوي حواليْكَ   فأينَ المُغامِرُ، المِقْدَامُ[١]
أينَ عَزْمُ الحياةِ؟ لا شيءَ إلاّ   الموتُ، والصَّمتُ، والأسى، والظَّلامُ
عُمُرٌ مَيِّتٌ، وَقَلْبٌ خَواءٌ   ودمٌ، لا تُثِيرُهُ الآلامُ[٢]
وحياةٌ، تَنامُ في ظُلْمةِ الوادي   وتنمو من فوقها الأوهامُ
أيُّ عيشٍ هذا، وأيُّ حياةٍ؟!   (رُبَّ عيشٍ أخَفُّ منه الحِمَامُ)[٣]

---

(٥) المروم: الغاية والمرام. إنّ السَّاري في هذه الحياة لن يصل إلى الطمأنينة المرجوّة وإن سعى جاهداً لبلوغها.

(١) اليمّ: البحر. المقدام: الجريء الشّجاع.

(٢) خواء: فارغ. تثيره: تحرّكه. يبدو أنّ هذه القصيدة تضاهي قصيدته المشهورة «إذا الشّعب يوماً أراد الحياة...» وعندي أنّها أهمّ منها لأنّها تتصف بوحدة موضوعية ليست متوفرة في سائر قصائده الوطنيّة.

(٣) الحِمام: الموت.

قد مشتْ حولكَ الفُصولُ وغَنَّتْكَ فَلَمْ تبتهجْ، ولَم تترنَّمْ
ودَوَتْ فوقكَ العَواصفُ والأنواءُ حتَّى أوْشَكْتَ أن تتحطّمْ
وأطافَتْ بكَ الوُحوشُ وناشَتْكَ فلم تَضْطَرِبْ، ولم تتألمْ[٤]
يا إلهي ! أما تحسُّ؟ أمَا تشدو؟ أما تشتكي؟ أما تتكلّمْ؟
ملَّ نهرُ الزّمان أيّامَكَ الموتَى وأنقاضَ عُمرِكَ المتهدِّمْ
أنتَ لا ميِّتٌ فيبلَى، ولا حيٌّ فيمشي، بل كائنٌ، ليس يُفْهَمْ
أبداً يرمقُ الفراغَ بطرفٍ جامدٍ، لا يرى العوالِمَ، مُظْلِمْ[٥]
أيُّ سِحْرٍ دهاكَ، هَلْ أنتَ مسحورٌ شقيٌّ؟ أو ماردٌ، يَتَهكَّمْ؟[٦]

★ ★ ★

آه! بل أنتَ في الشّعوب عجوزٌ، فيلسوفٌ، محطَّمٌ في إهابهْ[٧]
ماتَ شوقُ الشّبابِ في قلبِه الذّاوي، وعزمُ الحياة في أعصابهْ[٨]
فمضى يَنْشُدُ السَّلامَ.. بعيداً.. «في قبور الزَّمانِ» خلفَ هضابهْ[٩]
وهناكَ، اصطفى البقاءَ مع الأموات، «في قبرِ أمسِهِ» غيرَ آبهْ...[١٠]
وارتضى القبرَ مسكناً، تتلاشى فيه أيّامُ عُمرِهِ المتشابهْ
وتناسى الحياةَ، والزّمَنَ الدّاوي وما كان منْ قديمِ رِغابِهْ
فالْزَمِ القبر، فَهْوَ بيتٌ، شبيهٌ بكَ في صَمْتِ قلبِه، وخرابِه
واعبدِ «الأمسَ» وادَّكِرْ صُوَرَ الماضِي فدُنْيَا العجوزِ ذِكرى شبابِهْ..[١١]

---

(٤) ناش: أنال، أصاب.
(٥) رمق: نظر نظراً خفيفاً. الطّرف: النّظر.
(٦) يتهكّم: يسخر ويهزأ.
(٧) الإهاب: الجلد الذي يحيط بالجسد.
(٨) الذّاوي: الذّابل.
(٩) نَشَد: طلب.
(١٠) آبه: مكترث، مبالٍ.
(١١) إدّكره: تذكّره.

وإذا مـرَّتِ الحيـاةُ حـوالَيْـكَ جَميلاً، كـالـزَّهْرِ غضَّاً صِباهـا
تتغنّـى الحيـاةُ بـالشـوقِ والعَـزْمِ فيُحْيي قلـبَ الجمـادِ غِنَـاهـا[12]
والرَّبيعُ الجميـلُ يـرقُـصُ فـوق الوردِ، والعُشْبِ، منْشِداً، تيَّـاهـا[13]
ومشـى النَّـاسُ خلفَهَـا، يتملَّـوْنَ جمـالَ الوجـودِ فـي مـرآهـا
فاحذرِ السِّحْرَ! أيُّها النَّاسكُ القِـدِّيسُ إنَّ الحيـاةَ يُغْـوى بَهَـاهـا
والرَّبيـعُ الفَنَّـانُ شـاعِـرُهَـا المفتـونُ يُغْـرِي بحبِّهـا وهـواهـا
وَتَمَلَّ الجمالَ في رِمِـمِ الموتَـى..! بعيداً عـن سِحْـرِهَـا وَصَـداهـا[14]
وَتَغَـزَّلْ بسِحْـرِ أيَّـامِـكَ الأولـى وخَـلِّ الحيـاةَ تخطـو خطـاهـا

★ ★ ★

وإذا هبَّتِ الطُّيـورُ مَـعَ الفجـرِ، تُغنِّـي بيـنَ المـروجِ الجميلـهْ
وتُحَيِّـى الحيـاةَ، والعـالَـمَ الحـيَّ، بِصَـوْتِ المحبَّـةِ المعسـولـهْ
والفَراشُ الجميلُ رَفْرَفَ في الرَّوْضِ، ينـاجـي زهـورَهُ المطلـولـهْ[15]
وأفـاقَ الوجـودُ لِلْعمـلِ المجْـدِي ولِلسَّعـي، والمعـانـي الجليلـهْ[16]
وَمَشَى النَّاسُ في الشِّعابِ، وفي الغاب، وفـوق المسَـالـكِ المجهـولـهْ
يَنْشُدُونَ الجمالَ، والنُّورَ، والأفـراحَ والمجـدَ، والحيـاةَ النبيلـهْ
فاغضُضِ الطَّرفَ في الظَّلامِ! وحاذِرْ فِتْنَةَ النُّورِ..! فَهْيَ رُؤْيَـا مَهُـولهْ...
وَصَبَاحُ الحيـاةِ لا يُـوقِـظُ المـوْتَـى ولا يَـرْحَـمُ الجفـونَ الكليلـهْ[17]
كلُّ شيءٍ يُعَـاطِـفُ العـالَـم الحـيَّ، ويُـذكِـي حيـاتـه، ويُفيـدُهْ[18])

---

(١٢) غناها: غناؤها.
(١٣) تياه: من فعل تاه، أي مشى مختالاً متبختراً.
(١٤) تَمَلَّ: فعل أمر من تملّى بمعنى ملأ. الرِّمم: العظام البالية.
(١٥) المطلولة: التي علاها الطّلّ أي النّدى.
(١٦) المجدي: المفيد، النّافع.
(١٧) الكليلة: المتعبة، المرهقة.
(١٨) يذكي: يشعل، يوقد.

والذي لا يجاوِبُ الكونَ بالاحساسِ عِـبْءٌ علـى الوجـودِ، وُجُـودُهْ
كُلُّ شيءٍ يُسايرُ الزَّمنَ الماشي بعزمٍ، حتَّى التراب، ودُودُهْ
كلُّ شيءٍ - إلاَّكَ - حَيٌّ، عَطوفٌ يُؤنِسُ الكونَ شَوْقُه، ونَشيدُهْ
فلِماذا تعيشُ في الكونِ يا صَاحِ! وما فيكَ من جنًى يستفيدُهْ
لستَ يا شيخُ للحياةِ بأهْلٍ أنتَ داءٌ يُبيدُهَا وتُبيدُهْ
أنتَ قَفْرٌ، جهنَّميٌّ لَعِينٌ، مُظْلِمٌ، قَاحلٌ، مريعٌ جمودُهْ[19]
لا ترفُّ الحياةُ فيه، فلا طيرَ يغنِّي ولا سَحَابَ يجودُهْ[20]

* * *

أنتَ يا كَاهِنَ الظَّلامِ حياةٌ تعبدُ الموتَ..! أنت روحٌ شقيٌّ
كافرٌ بالحياةِ والنُّورِ.. لا يُصغي إلى الكونِ قلبُه الحجريُّ
أنتَ قلبٌ، لا شوقَ فيه ولا عزمٌ وهذا داءُ الحياةِ الدّويُّ[21]
أنتَ دُنيا، يُظلُّها أُفُقُ الماضي وليلُ الكآبةِ الأبديُّ
ماتَ فيها الزَّمانُ، والكونُ إلاّ أمسُها الغابرُ، القديمُ، القَصِيُّ[22]
والشقيُّ الشقيُّ في الأرض قلبٌ يَومُهُ ميِّتٌ، ومَاضيهِ حَيُّ
أنتَ لا شيءَ في الوجودِ، فغادِرْهُ إلى الموتِ فَهْوَ عنك غَنِيُّ

---

(١٩) قاحل: لا يُنبت شيئاً.
(٢٠) يجوده: يمطر عليه، والمطر هو الجود أي الكرم.
(٢١) الدّويّ: العالي الصّوت.
(٢٢) القصيّ: البعيد.

الأبد الصّغير

— 66 — [من البسيط]

يا قلبُ! كم فيكَ من دُنْيا محجَّبَةٍ كأنَّها، حين يبدو فجرُها «إرَمُ»[1]
يَا قلبُ! كمْ فيك من كونٍ، قدِ اتَّقَدَتْ فيه الشُّموسُ وعاشتْ فَوقَه الأممُ
يا قلبُ! كم فيكَ من أفْقٍ تُنَمِّقُهُ كَواكبٌ تَتجلَّى، ثُمَّ تنعَدِمُ
يا قلبُ! كمْ فيك من غابٍ ومن جَبَلٍ تَدْوِي به الرِّيحُ أو تسمو به القممُ
يا قلبُ! كمْ فيك من كهفٍ قد انبجست منه الجداولُ تجري ما لها لُجمُ[2]
تمشي...، فتحملُ غُصناً مُزْهِراً نَضِراً أوْ وَرْدَةً لم تُشَوِّهْ حُسنَها قَدَمُ
أو نَحْلَةً جرَّها التَّيارُ مُندَفِعاً إلى البحارِ، تُغنّى فوقها الدِّيَمُ[3]
أو طائراً ساحراً مَيْتاً قد انْفجرتْ في مُقْلَتَيْهِ جِراحٌ جَمَّةٌ وَدَمُ
يا قلبُ! إنَّك كونٌ، مُدْهِشٌ عَجَبٌ إن يُسْأل الناسُ عن آفاقه يَجمُوا
كأنَّكَ الأبدُ المجهولُ...، قد عَجَزَتْ عنكَ النُّهَى، واكْفَهَرَّتْ حَوْلَكَ الظُّلَمُ

★ ★ ★

يا قلبُ! كمْ من مَسرَّاتٍ وأخْيلةٍ ولذَّةٍ، يَتَحَامَى ظِلَّها الألمُ
غَنَّتْ لفجرِكَ صوتاً حالماً، فَرِحاً نَشْوَانَ ثم توارتْ، وانقضَى النَّغمْ
وكم رأى لَيْلُكَ الأشْباحَ هائمةً مَذْعُورةً تَتَهاوى حَوْلَها الرُّجمُ
وَرَفْرَفَ الألمُ الدَّامِي، بأجنحةٍ مِنَ اللَّهيبِ، وأنَّ الحُزْنُ والنَّدَمُ[4]

---

(١) ارم: مدينة أسطورية أحاطتها الخرافات بجو خيالي مسحور، فزعمت أنها بنيت على ضفة الجنة: أرضها من مسك وقصورها من خالص الذهب واللؤلؤ والمرجان، وسماؤها من سحر مرصع بالأحلام.. وأنها لا زالت إلى يومنا هذا في صحراء العرب، ولكنها محجوبة لا يراها أحد..
(٢) انبجس: انفجر. لجم: جمع لجام، وهو ما يُجعل في فم الفرس من حديد.
(٣) الدّيم: الأمطار بلا رعد وبرق.
(٤) أنَّ: من الأنين.

وكمْ مُشَتْ فوقكَ الدُّنيا بأجمعها حتَّى توارتْ، وَسَار الموتُ والعدمُ
وشيَّدَتْ حولَكَ الأيَّامُ أبنيةً مِنَ الأناشيدِ تُبْنَى، ثُمّ تَنْهدمُ

★ ★ ★

تَمضي الحَياةُ بماضيها، وَحَاضرِها وتذهَبُ الشَّمْسُ والشُّطآنُ والقِممُ
وأنتَ، أنتَ الخِضَمُّ الرَّحْبُ، لا فَرَحٌ يَبْقَى على سطحكَ الطَّاغي، ولا ألمُ

★ ★ ★

يا قلبُ كم قد تملَّيتَ الحياةَ، وكمْ رقَّصتَها مَرَحاً، ما مسَّكَ السَّأَمُ
وكمْ تَوَشَّحْتَ من ليلٍ، ومن شَفَقٍ ومن صباحٍ تُوَشّي ذيلَهُ السُّدُمُ[5]
وَكَمْ نَسَجْتَ من الأحلامِ أرديةً قد مزَّقَتْها اللَّيالي، وهي تَبْتَسِمُ[6]
وَكَمْ ضَفَرْتَ أكاليلاً موردَّةً طارتْ بها زَعْزَعٌ تدوي وتَحْتَدِمُ[7]
وَكَمْ رسمتَ رسوماً، لا تُشابِهُهَا هذي العَوالمُ، والأحلامُ، والنُّظُمُ
كأنَّها ظُلَلُ الفِرْدَوْسِ، حافِلةً بالحُورِ، ثم تلاشتْ، واختفى الحُلُمُ

★ ★ ★

تبلُو الحياةَ فتبليها وتخلَعُها وتستجدُّ حياةً، ما لها قِدمُ
وأنتَ أنتَ: شبابٌ خالدٌ، نضرٌ مِثلُ الطَّبيعةِ: لا شَيْبٌ ولا هرَمُ

---

(٥) السّدم: جمع سديم، وهو الضّباب الرّقيق.
(٦) أردية: جمع رداء.
(٧) زعزع: رياح شديدة الهبوب.

زئير العاصفة

— 67 — **[من الطويل]**

تُسَائلني: « ما لي سَكَتُّ، ولم أَهِبْ ... بقومي، وديجورُ المصائبِ مُظْلِمُ »[1]

« وَسَيْلُ الرَّزايا جَارفٌ، متدفِّعٌ ... غضوبٌ، ووجهُ الدَّهرِ أربدُ، أَقْتَمُ؟ »[2]

★ ★ ★

سَكَتُّ، وقد كانت قناتيَ غضَّةً ... تُصِيخُ إلى هَمْسِ النَّسيم، وتحلُمُ[3]

وقلتُ، وقد أصغتْ إلى الرّيحِ مرّةً ... فَجَاشَ بها إعصارُهُ المتهزِّمُ[4]

وقلتُ وقد جاش القَريضُ بخاطري ... كما جاش صخَّابُ الأواذيِّ، أسْحَمُ:[5]

« أرى المجدَ معصوبَ الجبين مجدَّلاً ... على حسَكِ الآلام، يغمره الدَّمُ »[6]

« وقد كان وضّاحَ الأساريرِ، باسماً ... يهبُّ إلى الجلّى، ولا يَتَبرّمُ »[7]

★ ★ ★

« فيا أيُّها الظُّلمُ المصعِّرُ خَدَّهُ ... رويدكَ! إنّ الدّهْرَ يبني ويهدُمُ »[8]

« سيثأر للعزِّ المحطّم تَاجُهُ ... رجالٌ إذا جاشَ الرّدى فهُمُ هُمُ »

« رجالٌ يَرَوْن الذُّلَّ عاراً وسُبَّةً ... ولا يرْهبون الموتَ، والموتُ مقدمُ »

« وهل تعتلي إلا نُفُوسٌ أبيَّةٌ ... تصدِّعُ أغلالَ الهوانِ، وتَحطِمُ »[9]

---

(١) الدّيجور: الظّلام.

(٢) الرّزايا: المصائب. أربد: بلون الغبار. أقتم: أسود.

(٣) القناة: القامة.

(٤) جاش: تحرّك واضطرب. المتهزّم: الكثير الرّعد.

(٥) القريض: الشّعر. صخّاب: من الصّخب، أي الضّجّة. الأواذيّ: الموج. أسحم: السّحاب الأسود.

(٦) مجدّلاً: مرمياً على الأرض. الحَسَك: النّبات الشّائك.

(٧) الأسارير: محاسن الوجه. يتبرّم: يتردّد.

(٨) المصعّر: الذي يميل خدّه تكبّراً.

(٩) صدّع: حطّم، بالغ في الكسر. أغلال: قيود.

الى الطّاغية

– 68 – [من الطويل]

يَقُولونَ: « صَوْتُ المُسْتَذِلِّين خَافِتٌ وَسَمْعُ طُغَاةِ الأرضِ (أطْرشُ) أَصْخَمُ »[١]
وَفي صَيْحَةِ الشَّعْبِ المُسَخَّر زَعْزَعٌ تَخُرُّ لَهَا شُمُّ العُرُوشِ، وَتُهْدَمُ[٢]
وَلَعْلَعَةُ الحقّ الغَضُوبِ لها صَدًى وَدَمْدَمَةُ الحَربِ الضَّروسِ لَهَا فَمُ[٣]
إذَا التَفَّ حَوْلَ الحقِّ قَوْمٌ فَإنّهُ يُصَرِّمُ أَحْدَاثَ الزَّمانِ وَيُبْرِمُ[٤]

* * *

لَكَ الوَيْلُ يَا صَرْحَ المَظَالمِ مِنْ غَدٍ إذا نَهَضَ المُسْتَضْعَفُونَ، وَصَمَّموا!
إذا حَطَّمَ المُسْتَعبدُونَ قيودَهُمْ وصَبُّوا حَمِيمَ السُّخْطِ أيّانَ تَعْلَمُ..!
أَغَرَّكَ أَنَّ الشَّعْبَ مُغْضٍ عَلَى قَذًى وَأَنَّ الفَضَاءَ الرّحْبَ وَسْنَانُ، مُظْلِمُ؟[٥]
أَلا إنَّ أحْلامَ البِلادِ دَفينةٌ تُجَمْجِمُ في أعْماقِهَا مَا تُجَمْجِمُ[٦]
وَلكِنْ سَيَأتِي بَعْدَ لأيٍ نُشُورُهَا وَيَنْبَثِقُ اليومُ الذّي يَتَرنّمُ[٧]
هُوَ الحقُّ يَغْفَى.. ثُمَّ يَنْهَضُ سَاخِطاً فَيَهْدُمُ مَا شَادَ الظّلامُ وَيَحْطِمُ[٨]
غَدَا الرّوعُ، إنْ هَبَّ الضَّعِيفُ ببأسِهِ، سَتَعْلَمُ مَنْ مِنّا سَيَجْرُفُهُ الدَّمُ
إلى حَيْثُ تَجْني كَفُّهُ بَذْرَ أمْسِهِ وَمُزْدَرِعُ الأوْجَاعِ لا بُدَّ يَنْدَمُ[٩]

---

(١) أصخم: لم أقع على تفسير لها يتّصل بمعنى البيت.
(٢) زعزعٌ: شديد. تخرّ: تسقط.
(٣) دمدمة: غضب. الضّروس: الحرب الشّديدة المهلكة.
(٤) يصرّم: يقطع، يحسم. يبرم: ينجز.
(٥) مُغضٍ: ساكت، صابر. القذى: ما يصيب العين من قشّ أو غيره. الوسنان: الذي أخذه النّعاس.
(٦) جمجم: أخفى الكلام في صدره.
(٧) اللأي: الشّدّة والضّيق.
(٨) الظّلام: (بكسر الظاء) الظّلم.
(٩) ازدرع: زرع.

سَتَجْـرَعُ أَوْصَـابَ الحيـاةِ، وَتَنْتَشِـي
فَتُصْغِـي إلـى الحَـقِّ الذي يَتَكَلَّـمُ

إذا ما سَقَاكَ الدَّهْرُ مِـنْ كَـأْسِـهِ التـي
قُرَارَتُهـا صَـابٌ مَـرِيـرٌ، وَعَلْقَـمُ

إذَا صُعِـقَ الجَبَّـارُ تحـتَ قُيُـودِهِ
يُصِيخُ لأوجـاعِ الحَيـاةِ وَيَفْهَـمُ!!

يا حماة الدِّين

— 69 —

[من الطويل]

لَقَدْ نـامَ أهـلُ العِلْـم نـومـاً مغنطَسـاً
فَلَـمْ يسمعـوا مَـا ردّدَتْـهُ العَـوَالمُ

ولكنَّ صـوتـاً صـارخـاً، متصـاعـداً
مِنَ الرّوح يَدري كُنْهَهُ المُتَصَـامِمُ[1]

سيُـوقِـظُ منهـمْ كـلّ مـنْ هُـوَ نَـائـمٌ
ويُنطِقُ منهـمْ كـلَّ مـنْ هـو وَاجِـمُ

★ ★ ★

سَكَتُّـمْ حمـاةَ الديـن سَكْتَـةَ واجـمٍ
وَنمْتُمْ بِمِلءِ الجَفْـنِ ، والسُّيـلُ دَاهِـمُ

سَكَتُّمْ، وقد شِمتـمَ ظلامـاً، غُضُـونُـه
علائـمُ كفـرٍ ثـائـرٍ ومَعَـالِـمُ[2]

مَـوَاكـبُ إلحـادٍ وراءَ سكـوتِكُـم
تَضُـجُّ، وهـا إنّ الفَضـاءَ مَـآثِـمُ

أفيقـوا فليـلُ النَّـومِ ولّـى شبـابُـهُ
ولاحـتْ للألاءِ الصَّبـاحِ عَلائِـمُ

فـدونَ ضجيـجِ الفـاسقيـن سَكِينـةٌ
هيَ الموتُ، ممَّـا أورثَتْـه التَّمَـائِمُ[3]

عـوائـدُ تُحيـي فـي البلاد نـوائبـاً
تقُدّ قُـوامَ الدِّيـن، والدِّيـنُ قـائِـمُ[4]

أفيقـوا، وهُبّـوا هَبَّـةً ضَيْغَمِيَّـةً
ولا تحجُمُوا، فالموتُ في الجبْنِ جَاثِمُ[5]

---

(١) كنهه: جوهره. المتصامم: ربّما كانت المتصامّ (بالميم المشدّدة)، ففك إدغام الميم، والمتصامّ هو الذي يصمّ أذنيه عن الحديث وليس به صمم.

(٢) شام: نظر مترقّباً.

(٣) التّمائم: ما يُعلّق في العنق اتّقاء للعين.

(٤) عوائد: منافع.

(٥) ضيغميّة: منسوبة إلى ضغيم، وهو الأسد.

فـدون نِقَـابِ الصَّمـتِ تنمـو ملامـحٌ ... تبـرقعـتِ الشـرَّ الذي لا يُقَـاوِمُ

فَقَـدْ فَـتَّ فـي زَنْـدِ الدِّيـانـةِ مَعْشَـرٌ ... أثاروا على الإِسْلام مَنْ قـد يُهَـاجِـمُ

فواالحـقِّ، مـا هـذِي الزَّوايـا وأهلُهـا ... سوى مصنعٍ فيـه تُصَـاغُ السَّخَـائِـمُ[٦]

لحـى اللهُ مَـنْ لَـمْ تَسْتثِـره حميـةٌ ... على دِينـه، إنْ دَاهمتـهُ العَظَـائِـمُ[٧]

لحى الله قومـاً، لـم يُبـالـوا بـأسْهُـمٍ ... يُصـوِّبهـا نَحْـوَ الدِّيَـانَـةِ ظَـالِـمُ

السَّعادة

— 70 — [من البسيط]

تَرجُو السَّعادةَ يـا قلبـي ولـو وُجِـدَتْ ... في الكون لـم يشتعـلْ حُـزْنٌ ولا أَلَـمُ

ولا استحالـتْ حيـاةُ النَّـاسِ أجمعُهـا ... وزُلـزلـتْ هـاتِـه الأكـوانُ والنُّظـمُ

فما السَّعـادة فـي الدُّنيـا سـوى حُلُـمٍ ... نـاءٍ تُضَحِّـي لـه أيَّـامَهَـا الأُمَـمُ[١]

نـاجـتْ بـه النّـاسَ أوهـامٌ معَـرْبِـدةٌ ... لمَّـا تغَشَّتْهُـمُ الأَحْلامُ والظُّلَـمُ[٢]

فَهَـبَّ كـلٌّ يُنـاديــهِ وينْشُــدُهُ ... كأنّما النَّاسُ ما نـامـوا ولا حلُمُـوا[٣]

* * *

« خُذِ الحيـاةَ كمـا جـاءتْـك مبتسمـاً ... في كفِّها، الغارُ أو في كفِّهـا العَـدَمُ »

وارقصْ على الوَرِدِ والأشـواكِ متَّئِـداً ... غنَّتْ لكَ الطَّيرُ، أو غنَّت لكَ الرُّجُـمُ[٤]

واعملْ كما تأمُـرُ الدُّنيـا بلا مَضَـضٍ ... والجمْ شُعـورَكَ فيهـا، إنَّهـا صَنَـمُ[٥]

---

(٦) السّخائم: الضّغائن والأحقاد.

(٧) لحى: لام وقبّح.

(١) ناءٍ: بعيد.

(٢) معربدة: سيّئة الخلق.

(٣) حلموا: من الحِلم، وهو العقل.

(٤) متّئداً: متمهّلاً. الرّجم: ما يُرمى به من حجارة أو سواها.

(٥) المضض: وجع المصيبة.

فَمَـنْ تـألَّـمَ لَـمْ تُـرْحَـمْ مَضَاضَتُـهُ   وَمَـنْ تجلّـدَ لـم تَهْـزأ بـه القمَـمُ
هـذي سعـادةُ دُنيـانـا ، فَكُـنْ رجلاً   - إن شئْتَهـا - أَبَـدَ الآبـاد يَبْتَسِـمُ!
وإن أردتَ قضـاءَ العيشِ فـي دَعَـةٍ   شعـريَّـةٍ لا يُغَشّـي صَفْـوَهَـا نَـدَمُ
فاتركْ إلى النّاس دنيـاهـمْ وضجَّتَهُـمْ   ومـا بنـوا لِنظـامِ العيش أو رَسَمـوا
واجعلْ حياتكَ دوحـاً مُـزْهـراً نَضِـراً   في عُزْلَـةِ الغـابِ ينمـو ثُـمّ ينعـدمُ[٦]
واجعـل ليـاليـك أحلامـاً مُغَـرِّدَةً   إنَّ الحيـاةَ ومـا تـدوي بـه حُلُـمُ

النَّاس

— 71 — **[من البسيط]**

مـا قـدّسَ المثـلَ الأعلـى وجمَّلَـهُ   فـي أعيُـنِ النّـاسِ إلاّ أنّـه حُلُـمُ!
ولـو مَشَـى فيهـمُ حيَّـاً لحطّمَـهُ   قومٌ، وقالـوا بخبثٍ: « إنّـهُ صَنَـمُ »!
لا يعبـدُ النَّـاسُ إلا كـلَّ منعـدمٍ   مُمنَّـعٍ ، ولمـنْ حـابَـاهُـمُ العَـدَمُ!
حتَّـى العَبَـاقـرةُ الأفـذاذُ ، حبُّهُـمُ   يلقى الشقاءَ وتَلْقَى مجدَهـا الرِّمَـمُ![١]

★ ★ ★

النَّـاسُ لا يُنْصِفُـونَ الحـيّ بينهـمُ   حتّى إذا ما تـوارى عنهمُ نَـدِمـوا![٢]
الويْـل للنَّـاسِ مـن أَهْـوائهـمْ أبـداً   يمشي الزَّمـانُ وريـحُ الشّـرِّ تحتدمُ..[٣]

---

(٦) الدوح: نوع من الأشجار. النّضر: الرّونق والحسن.
(١) الأفذاذ: جمع فذّ، وهو المتفرّد في العلم أو المكانة. الرّمم: العظام البالية.
(٢) ينصفون: يحاكمون بالعدل.
(٣) تحتدم: تشتعل غضباً.

(؟)

– 72 – [من الطويل]

أرى هَيْكلَ الأيَّام يعلُو، مُشيَّداً ... ولا بدَّ أنْ يأتي على أُسِّهِ الهَدْمُ
فيُصبِحُ ما قد شيَّد اللهُ والورى ... خراباً، كأنّ الكُلَّ في أمسه وَهْمُ![1]
فقل ليَ: «ما جدْوَى الحياةِ وكربِها، ... وتلكَ التي تَذْوِي، وتلك التي تنمو؟»[2]
«وفوْجٍ، تغذّيه الحياةُ لِبانَها، ... وفوجٍ، يُرى تَحْتَ التُّرابِ لَهُ رَدْمُ؟
«وعقلٍ، من الأضواءِ، في رأسِ نابغٍ ... وعقلٍ، من الظلماء، يحمله فَدْمُ؟»[3]
وأفئدةٍ حَسْرى، تَذُوبُ كآبةً ... وأفئدةٍ سكرى، يرفُّ لها النَّجْمُ؟
لِتعْسِ الوَرى، شاءَ الإلٰهُ وجودَهم ... فكانَ لَهُمْ جهلٌ، وكانَ لَهُمْ فهمُ!!

الغاب

– 73 – [من البسيط]

بيتٌ، بَنَتْهُ ليَ الحياةُ من الشَّذَى ... والظِّلِّ، والأضواءِ، والأنغامِ
بيتٌ، من السِّحرِ الجميلِ، مشيّدٌ ... للحبِّ، والأحلامِ، والالهامِ
في الغابِ سِحْرٌ، رائعٌ متجدِّدٌ ... باقٍ على الأيَّامِ والأعوامِ
وشذًى كأجنحة الملائكِ، غامضٌ ... سَاهٍ يُرفرف في سُكونٍ سَامِ[1]
وجداولٌ، تشدو بمعسولِ الغِنا ... وتسيرُ حالمةً، بغيرِ نِظَامِ
ومخارفٌ نَسَجَ الزمانُ بساطَها ... مِنْ يابسِ الأوراقِ والأكمامِ[2]

---

(١) الورى: النّاس.
(٢) الكرْب: الحزن الشّديد.
(٣) الفدم: الأحمق الغليظ.

(١) السّاهي: الغافل. سامٍ: من السّموّ بمعنى الارتفاع.
(٢) المخارف: أوعية صغيرة توضع فيها أطايب الثمار.

وحَنَا عليها الدّوْحُ، في جَبَرُوتِهِ ... بالظلِّ، والأغْصَانِ والأَنْسَامِ
في الغاب، في تلك المخارف، والرُّبى، ... وعلى التِّلاعِ الخُضْرِ، والآجامِ[٣]
كم من مشاعِرَ، حلوةٍ، مجهولةٍ ... سَكْرَى، ومِنْ فِكَرٍ، ومن أوهامِ
غَنَّتْ كأسرابِ الطُّيورِ، ورفرفت ... حولي، وذابتْ كالدّخان، أمامي
ولَكَمْ أَصَخْتُ إلى أناشيدِ الأسى ... وتنهُّدِ الآلامِ والأسقامِ[٤]
وإلى الرِّياحِ النّائحاتِ كأنَّها ... في الغاب تبكي ميِّت الأيَّامِ
وإلى الشَّبابِ، مغَنِّياً، مترَنِّما ... حوْلي بألحان الغَرامِ الظَّامي
وَسَمِعْتُ للطيْرِ، المغرِّدِ في الفَضَا ... والسِّنديان، الشّامخِ المتَسامي
وإلى أناشيدِ الرّعاةِ، مُرِفَّةً ... في الغاب، شَاديةً كسِرْبِ يَمامِ[٥]
وإلى الصَّدى، المِمْراحِ، يهتُفُ راقصاً ... بين الفِجَاجِ الفيحِ والآكامِ[٦]
حتّى غدَا قلبي كنَايٍ، مُتْرعٍ ... ثَملٍ من الألحانِ والأنغامِ[٧]
فَشَدَوْتُ باللَّحنِ الغَريب مجنَّحاً ... بكآبةِ الأحلامِ والآلامِ
في الغاب، دنيا للخيال، وللرُّؤى، ... والشِّعرِ، والتفكيرِ، والأحلامِ
لله يومَ مضيتُ أوّلَ مرّةٍ ... للغابِ، أرزحُ تحت عبءِ سَقامي[٨]
ودخَلتهُ وحدي، وحوْلي موكبٌ ... هَزِجٌ، من الأَحلامِ والأوهامِ[٩]
ومشيتُ تَحْتَ ظِلالهِ متَهيِّباً ... كالطِّفل، في صَمْتٍ، وفي استسلامِ
أرنو إلى الأدْوَاحِ، في جبروتها ... فإخَالُها عَمَدَ السَّماءِ، أمامي
قد مسَّها سِحْرُ الحياةِ، فأوْرَقَتْ ... وَتَمَايَلَتْ في جنَّةِ الأحلامِ

---

(٣) الآجام: جمع أَجَمة، وهي الشّجر الكثيف الملتفّ.

(٤) أصخْتُ: استمعْتُ.

(٥) مُرِفّة: من فعل أَرَفَّ، وأصلها أن يبسط الطّائر جناحيه على بيضه. وهنا بمعنى مرفرفة. اليمام: الحمام البرّيّ.

(٦) الفيح: جمع فيحاء، وهي الواسعة. الآكام: جمع أكمة، وهي التلّة.

(٧) مترع: ملآن.

(٨) ارزح: أنوء تحت الأعباء.

(٩) هزجَ: ترنّم، غنّى وأطرب.

وأُصِيخُ للصّمتِ المفكّر، هاتِفاً ... في مِسمعي بغرائبِ الأنغامِ

فإذا أنا في نَشْوَةٍ شعريةٍ ... فيّاضَةٍ بالوحيِ والإلهامِ

ومشاعري في يقظةٍ مسحورةٍ ... .(١٠)

وَسْنَى كيقظةِ آدَمٍ لمَّا سَرَى ... في جسمه رُوحُ الحياة النّامي(١١)

وَشَجتْه موسيقى الوجودِ، وعانقتْ ... أحلامَه، في رقّةٍ وسَلامِ(١٢)

ورأى الفَراديسَ، الأنيقةَ، تنثني ... في متْرَفِ الأزهارِ والأكمامِ(١٣)

ورأى الملائكَ، كالأشعَّة في الفَضَا ... تَنْسَابُ سابحةً، بغير نظامِ

وأحسّ رُوحَ الكون تخفقُ حوله ... في الظّلّ، والأضواءِ، والأنسامِ

والكائناتِ، تحوطُهُ بِحَنَانها ... وبحبِّها، الرَّحْبِ، العميقِ، الطَّامي(١٤)

حتّى تملّأَ بالحياةِ كيانُهُ ... وسعى وراءَ مواكبِ الأيّامِ

ولَرُبّ صُبْحٍ غائمٍ، متحجِّب ... في كِلَّةٍ من زَعْزَعٍ وغَمامِ(١٥)

تتنفَّسُ الدُّنيا ضَباباً، هائماً ... متدفِّعاً في أفْقِه المُتَرامي

والرِّيحُ تخفقُ في الفضاءِ، وفي الثَّرى ... وعلى الجبالِ الشُّمِّ والآكامِ

بَاكَرْتُ فيه الغابَ موهونَ القُوَى ... متخاذِلَ الخُطُواتِ والأقدامِ(١٦)

وجلستُ تحتَ السّنديانةِ، واجماً ... أرنو الى الأُفُقِ الكئيبِ، أَمَامي

فأرى المبانيَ في الضَّبابِ، كأنّها ... فِكْرٌ، بأرضِ الشَّكِّ والإبهامِ

أو عَالَمٌ، ما زال يولَدُ في فضا ... ءِ الكونِ، بين غياهبٍ وسدامِ(١٧)

---

(١٠) بياض بالأصل والمسوّدات.

(١١) وسنى: أخذها النّعاس. سرى: مشى.

(١٢) شجا: أحزن.

(١٣) تنثني: تنصرف، تكفّ.

(١٤) تحوطه: تحفظه وترعاه. الطّامي: الغامر، الممتلىء.

(١٥) الكِلّة: ستار رقيق يُتّقى به. الزّعزع: الرّيح الشّديدة الهبوب.

(١٦) موهون: متعب. متخاذل: متخلّف، متعثّر.

(١٧) الغياهب: الظّلمات. سدام: جمع سَدَم، وهو ما تغيّر وفسُد مع الزّمن.

وأرى الفِجَاجَ الدَّامِسَاتِ، خلالَهُ
ومشاهدَ الوديانِ والآجامِ[18]

فكأنّها شُعَبُ الجَحيمِ، رهيبةٌ
ملفوفةٌ في غُبْشَةٍ وَظَلامِ[19]

صُوَرٌ من الفنِّ المُرَوِّعِ، أعجزتْ
وَلَكَمْ مَسَاءٍ، حَالمٍ متوَشِّحٍ

وَحْيَ القريضِ وريشةَ الرَّسَّامِ[20]
بالظِّلِّ، والضَّوءِ الحزينِ الدّامي

قدْ سِرْتُ في غابي، كَفِكرٍ، هَائمٍ
في نَشْوةِ الأحْلامِ والإلهامِ

شِعري، وأفكاري، وكُلُّ مشاعري
مَنْشُورةٌ للنُّورِ والأنسامِ

والأفْقُ يزخَرُ بالأشعَّةِ والشَّذَى
والأرضُ بالأعشابِ والأكمامِ[21]

والغابُ سَاجٍ، والحياةُ مُصيخةٌ
والأفْقُ، والشَّفَقُ الجميلُ، أمامي[22]

وعروسُ أحلامي تُداعبُ عُودَهَا
فيرنّ قلبي بالصّدى وعظامي

روحٌ أنا، مَسْحُورةٌ، في عَالمٍ
فَوْقَ الزَّمانِ الزَّاخرِ الدَّوّامِ

★ ★ ★

في الغابِ، في الغابِ الحبيبِ، وإنَّه
حَرَمُ الطَّبيعةِ والجمالِ السَّامي

طهَّرْتُ في نارِ الجمالِ مَشَاعري
ولقيتُ في دنيا الخَيالِ سَلامي

وَنَسِيتُ دنيا النَّاسِ، فَهْيَ سَخَافةٌ
سَكْرَى من الأوهامِ والآثامِ

وَقَبسْتُ من عَطْفِ الوجود وحُبِّه
وجمالِه قبساً، أضاءَ ظلامي[23]

فرأيتُ ألوانَ الحياةِ نضيرةً
كنضارةِ الزّهَرِ الجميلِ النّامي

ووجدتُ سحْرَ الكون أسمى عنصراً
وأجلَّ من حُزْني وَمِن آلامي

فأهَبْتُ ـ مسحورَ المشاعرِ، حالماً
نشوانَ ـ بالقلب الكئيب الدّامي:

«ألمعبدُ الحيُّ المقدّسُ ها هنا
يَا كَاهِنَ الأحْزانِ والآلامِ»

---

(18) الفجاج: الطّرق الواسعة بين الجبال. الآجام: جمع أجمة، وهي الشّجر الكثيف المتلفّ.

(19) الغبشة: بقيّة اللّيل وظلمة آخره.

(20) القريض: الشِّعر.

(21) يزخر: يمتلىء ويفيض. الأكمام: غلاف الزهور.

(22) السّاجي: السّاكن.

(23) قبسَ: أشعلَ.

« فاخلعْ مُسُوحَ الحزنِ تحتَ ظِلالِهِ ... والبسْ رِدَاءَ الشِّعرِ والأحلامِ »[٢٤]
« وارفعْ صَلاتَكَ للجمالِ ، عَميقةً ... مشبوبةً بحَرَارة الإلهامِ »[٢٥]
« واصدَحْ بألحانِ الحياة ، جميلةً ... كجمالِ هذا العالَمِ البسَّامِ »[٢٦]
« واخفقْ مع العِطْرِ المرفرفِ في الفضا ... وارقصْ مع الأضواء والأنسامِ »
« وَمَعَ اليَنابيعِ الطَّليقةِ ، والصَّدَى ، ... [٢٧]......................................
وَذَرَوْتُ أفكاري الحزينةَ للدّجى ... وَنَثَرْتُها لِعَواصِفِ الأَيّامِ[٢٨]
وَمَضَيْتُ أشدُو للأشعَّةِ ساحراً ... من صوت أحزاني ، وبطش سقامي
وهتفتُ : « يا روحَ الجمالِ تَدَفَّقِي ... كالنَّهرِ في فِكري ، وفي أحْلامي »
« وتغلغلي كالنُّورِ ، في روحي التي ... ذَبُلَتْ مِنَ الأحْزَانِ والآلامِ »
« أنتِ الشُّعورُ الحيُّ يَزْخَرُ دافقاً ... كالنّار ، في روح الوجودِ النَّامي »[٢٩]
« وَيَصُوغُ أحلامَ الطَّبيعةِ ، فاجعلي ... عُمُري نشيداً ، سَاحِرَ الأنغامِ »
« وشذًى يَضُوعُ مع الأشعَّةِ والرُّؤى ... في معبَدِ الحقِّ الجليلِ السّامي »[٣٠]

---

(٢٤) المسوح: جمع مسح، وهو الثّوب من نسيج الشَّعر يلبسه الإنسان على جسده تقشّفاً وقهراً لجسده.
(٢٥) مشبوبة : مشتعلة.
(٢٦) الصّداح : الذي يرفع صوته بالغناء.
(٢٧) بياض بالأصل والمسوّدات.
(٢٨) ذرا : طار في الهواء وتفرّق.
(٢٩) يزخر : يفيض.
(٣٠) ضاع، يضوع: فاح، وانتشرت رائحته. إنّ هذه القصيدة تعتبر نشيداً رائعاً للجمال في هذا الوجود الذي يحيط به الألم من كلّ جانب.

يا رفيقي

 [من الخفيف]

يَا رفيقي ! وَأيْنَ أنتَ ؟ فَقَدْ أعْمَتْ جفوني عَواصِفُ الأيَّامِ
ورمتْني بِمَهْمَهٍ ، قَاتِمٍ ، قفرٍ ، تُغَشّيهِ دَاجياتُ الغَمَامِ ..[1]
خُذْ بِكفِّي ، وغنِّني ، يا رفيقي ، فسبيلُ الحياةِ وَعْرٌ أمامي
كلَّما سِرْتُ زلَّ بي فِيهِ مَهْوَى ، تَتَضَاغى به وُحُوشُ الحِمَامِ [2]
شَعَّبَتْهُ الدُّهورُ ، وانطمسَ النُّورُ ، وقامتْ به بَنَاتُ الظّلاَمِ
رَاقِصَاتٍ ، يخلُبْنَ في حلَكِ اللَّيلِ ، ويلعبْنَ بالقُلوبِ الدّوَامِي
غنِّني ، فالغِناءُ يَدْرَأُ عنّا السَّاحِرَ الجنَّ ... ، سَاكِنَ الآجَامِ [3]
قَدْ تَفكَّرْتُ في الوجودِ ، فَأعيانِي ، وأدبرتُ آيساً لِظَلامي[4]
أنْشُدُ الرّاحَةَ البَعِيدةَ ، لكنْ خَابَ ظنّي وأخطأتْ أحلامي
فَمَعِي في جوانحي أبدَ الدَّهرِ فؤادٌ إلى الحقيقةِ ظامي
مَا تراخى الزَّمَانُ إلاّ وألقى في طَوَايَاهُ قبْضَةً مِنْ ضُرَامِ
تَتَلَظَّى ، يدُ الحياةِ ، وَزَادَتْ مُعضلاتُ الدُّهورِ والأعوامِ
أظمأتْ مُهْجَتي الحياةُ ، فَهَلْ يوماً تُبلُّ الحياةُ بعضَ أوامي ؟[5]
يا رفيقي ! ما أحسبُ المنبعَ المنشودَ إلا وراءَ ليْلِ الرِّجَامِ [6]
غنِّني ، يا أُخَيَّ ، فالكوْنُ تَيْهَاءُ ، بها قد تمزّقتْ أَقْدَامي[7]

---

(١) المهمه : القفر .
(٢) تتضاغى : تصيح من الجوع أو الألم .
(٣) يدرأ : يردّ ويدفع بشدّة .
(٤) آيساً : قانطاً ، يائساً .
(٥) الأوام : حرارة العطش .
(٦) الرّجام : التّلال والهضاب .
(٧) تيهاء : أرض واسعة يضيع فيها المرء .

غنِّني، علّني أُنِيمُ همومي، إنّني قد مَلَلْتُ مِنْ تَهْيَامي[8]

★ ★ ★

يا رفيقي! أما تفكَّرْتَ في النَّاسِ، وما يحملون مِنْ آلامِ؟
فلقدْ حزّ في فؤاديَ ما يلْقَوْنَ من صَوْلَةِ الأسى الظَّلاَّمِ
فإذا سرّني من الفجر نُورٌ ساءني ما يُسِرُّ قلبُ الظَّلاَمِ
كَمْ بقلبِ الظَّلاَمِ مِنْ أنَّةٍ تهفو بِغُصَّاتِ صِبْيَةٍ أيتامِ
وَنشيجٍ مُضَرَّمٍ من فتاةٍ، أَبْهَظَتْها قَوَارِعُ الأيَّامِ[9]
ونُوَاحٍ يَفيضُ من قَلْبِ أمٍّ فُجِعتْ في وحيدها البَسَّامِ،
فَطَمَ الموتُ طِفْلَها، وَهْوُ نورٌ في دجاها، مِنْ قَبْلِ عَهْدِ الفِطامِ
وأنينٍ مِنْ مُعْدَمٍ، ذي سَقَامٍ، عضَّهُ الدَّهْرُ بالخُطُوبِ الجِسَامِ
ما إِخالُ النُّجومَ إلاّ دموعاً، ذَرَفَتْها مَحَاجِرُ الأعوامِ
فَلَقَدْ ضَرَّم الشُّجونَ بنوها، فإذا بالشُّجون سَيْلٌ طَامِ
وإذا بالحياة في مَلْعَبِ الدَّهْرِ تَدُوس الرُّؤُوسَ بالأَقْدَامِ
وإذا الكون فِلْذَةٌ مِنْ جَحِيمٍ، تَتَغَذّى بكلِّ قَلْبٍ دَامَ
وهُمُ في جَحِيمهمْ يَتَنَاغَوْنَ بما في الوجود مِنْ أنْغَامِ!
عجباً لِلنُّفوسِ، وَهْيَ بَوَاكٍ، عجباً للقلوب، وَهْيَ دَوَامِ
كيف تشدُو وفي محاجرها الدَّمْعُ، وتلهو ما بينَ سُودِ المَوَامِي؟![10]

★ ★ ★

يا رفيقي! لَقَدْ ضَلَلْتُ طريقي، وَتَخَطَّتْ مِحَجَّتي أقدامي
خُذْ بكفي، فَإِنَّني تَائِهٌ، أعمى، كثيرُ الضَّلالِ والأَوْهامِ

---

(٨) أُنيم: أقتل الهموم، وأصلها أجعلها تنام.
(٩) القوارع: المصائب. يقول: إنّ الظّلام يحمل في طيّاته أنّات الصّبايا الأيتام ويطويها على أكباد تحترق قد أصابتها يد الأقدار.
(١٠) الموامي: الصّحاري الواسعة لا ماء فيها.

وانْفُخِ النّايَ، فالحياةُ ظَلامٌ، مَا لِمُرْتَادِهِ من الهَوْلِ حَامِ
مِلءُ آفاقِهِ فَحِيحُ الأفاعي، وَعَجيجُ الآثامِ والآلامِ[11]
فانْفُخِ النّايَ، إنّهُ هِبَةُ الأمْلاكِ للمستعيذِ بالإلْهَامِ
واغذُذِ السَّيْرَ، فالنَّهارُ بعيدٌ، وَسَبيلُ الحياةِ جَمُّ الظَّلامِ...[12]

قيود الأحلام

– 75 – [من الكامل]

وَأَوَدُّ أنْ أحيا بفِكْرةِ شَاعِرٍ فأرى الوُجودَ يَضيقُ عَنْ أحلامي
إلاّ إذا قَطَّعتُ أسْبابي مَعَ الدُّ نيا وَعِشْتُ لِوَحْدتي وَظَلامي
في الغابِ، في الجبلِ البعيدِ عن الورى حيثُ الطَّبيعةُ، والجمالُ السّامي[1]
وَأعيشُ عِيشَةَ زاهدٍ متنَسِّكٍ ما إنْ تُدنِّسه الحَياةُ بِذامِ[2]
هَجَرَ الجَماعةَ للجبال، تَورُّعاً عنها وعن بَطْشِ الحياة الدّامي[3]
تمشي حواليه الحياةُ كأنَّها الحلمُ الجميلُ، خفيفةَ الأقدامِ
وَتَخرُّ أمواجُ الزَّمانِ بهَيْبةٍ قُدسِيَّةٍ، في يَمِّها المُترامي
فَأعيشُ في غابي حَياةً، كُلُّها للفنِّ للأحلامِ، للإلهامِ
لكِنَّني لا أستطيعُ، فإنَّ لي أمّاً، يَصُدُّ حَنانُها أوهامي
وصِغارَ إخوانٍ، يَرَونَ سَلامَهُم في الكائناتِ مُعَلَّقاً بسَلامي

---

(١١) فحيح الأفعى: صوتها.
(١٢) غذّ في السير: أسرع فيه.
أي أنّه يطلب من المرء أن يتقبّل بفرح وغبطة ما تقدّمه له الحياة من نعيمها لأنّ جحيمها لا بدّ آت.
(١) الورى: النّاس.
(٢) الذّام: المذمّة والملامة.
(٣) التورّع: التّقوى.

فَقَدُوا الأبَ الحاني، فكنتُ لضُعْفِهم كهْفاً يَصُدُّ غوائلَ الأيّامِ[٤]

وَيَقِيهِمُ وَهَجَ الحياةِ، وَلَفْحَها ويذود عنهمْ شَرّةَ الآلامِ[٥]

فأنا المكبَّلُ في سَلاسِلَ، حيّةٍ، ضَحَّيْتُ مِنْ رَأْفي بها أحلامي

وأنا الّذي سَكَنَ المدينةَ، مُكْرَهاً ومشى إلى الآتي بِقَلْبٍ دامِ

يُصْغي إلى الدُّنيا السَّخيفةِ راغماً ويعيشُ مثلَ النَّاسِ بالأوهامِ

وأنا الذي يحيا بأرضٍ، قَفْرةٍ مَدْحُوَّةٍ للشَّكِّ والآلامِ ...[٦]

هَجَمَتْ بيَ الدُّنيا على أهوالها وخِضَمِّها الرَّحْبِ، العميقِ الطَّامي[٧]

من غير إنذارٍ فَأَحْمِلَ عُدّتي وأخوضَهُ كالسَّابحِ العَوّامِ

فتحطّمتْ نفسي على شُطْآنهِ وتأجّجتْ في جَوِّهِ آلامي

★ ★ ★

الويلُ في الدُّنيا التي في شَرْعِهَا فأسُ الطَّعام كريشةِ الرّسّامِ ؟[٨]

متاعب العظمة

— 76 — [من الطويل]

إذا صَغُرَتْ نفسُ الفتى كان شوقُهُ صغيراً، فلم يتعبْ، ولم يتجشَّمِ[١]

وَمَنْ كان جبّارَ المطامِعِ لم يَزلْ يلاقي من الدُّنيا ضَراوةَ قَشْعَمِ[٢]

---

(٤) الغوائل: المصائب، الدّواهي.

(٥) اللّفح: الحرّ.

(٦) مدحوّة: مدفوعة.

(٧) الخضمّ الطّامي: البحر العميق الذي ارتفع ماؤه.

(٨) لفظة «الطّعام» ربّما كانت «الطّغام» وهو الرّذيل الرديء.

(١) تجشّم: تكلّف على مشقّة.

(٢) ضراوة: صفة للحيوان المفترس الذي يتشهّى أكل اللّحوم. القشعم: الأسد.
يذكرنا هذا القول بقول المتنبّي:

وإذا كانت النّفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام.

قافية النّون

المساء الحزين

– 77 – [من المتقارب]

أَظَلَّ الوُجُودَ المَساءُ الحزينُ، وَفِي كفِّهِ معْزَفٌ لا يُبينْ[1]
وفي ثَغرهِ بَسَماتُ الشُّجون ، وفي طَرْفِهِ حَسَراتُ السِّنينْ[2]
وفي صَدْرِهِ لوعةٌ لا تَقرُّ، وفي قلبهِ صَعَقاتُ المَنُونْ
وقبّلَهُ قُبَلاً صَامِتَاتٍ، كما يَلْثُمُ الموتُ وَرْدَ الغصُونْ
وأفضى إليه بِوَحْي النُّجوم ، وَسِرِّ الظّلام ، وَلَحْنِ السُّكونْ[3]
وأوْحى إليْه مَزَامِيرَهُ، فغَنَّتْ بها فِي الظّلام الحُزُونْ[4]
وَعَلّمَهُ كيف تأْسَى النُّفوسُ، وَيَقْضي يَؤُوساً لديها الحَنينْ
وَأَسْمَعَهُ صَرَخَاتِ القُلُوبِ، وَأَنْهَلَهُ مِنْ سُلافِ الشُّؤُونْ[5]
فأغفى على صَدْرِه المطْمَئنِّ، وَفِي رُوحِهِ حُلُمٌ مُسْتَكِينْ
قويٌّ، غَلُوبٌ، كَسِحْرِ الجُفُون ، شجيٌّ، لَعُوبٌ، كزهرٍ حَزِينْ
ضَحَوكٌ، وَقَدْ بلّلته الدُّموعُ، طَرُوبٌ، وقد ظَلّلَتْهُ الشُّجُونْ

---

(١) معزف: ما يعزف عليه من آلات موسيقيّة.
(٢) الطَّرْف: النظر.
(٣) أفضى بالسّرّ: باح به.
(٤) الحزون: جمع حزن، وهو الأرض الغليظة المرتفعة.
(٥) أنهله: سقاه. سلاف: خمر. الشؤون: الدّموع.

تَعَـانِقُـه سَكَـرَاتُ الهَـوى، وتحضُنُـهُ شَهَقَـاتُ الأَنيـنْ
يُشَابـهُ رُوحَ الشَّبابِ الجميلِ إذا ما تألَّق بين الجُفُونْ
أَعَادَ لِنَفْسي خَيالاً جميلاً... لقد حَجَبَتْهُ صُرُوفُ السِّنينْ[٦]
فَطَافَتْ بها هَجَسَاتُ الأَسى، وَعَادَتْ لها خُطُواتُ الجُنُونْ[٧]

★ ★ ★

أظَلَّ الفَضَاءَ جناحُ الغروبِ، فألقى عليه جَمَالاً كَئيبْ
وَأَلْبَسَه حُلّةً من جَلال، شجيٍّ، قويٍّ جميلٍ، غَلُوبْ
فَنَامَتْ عَلى العُشْبِ تلكَ الزُّهورُ لمرأى المَساءِ الحزينِ الرَّهيبْ
وَآبَتْ طُيورُ الفضاءِ الجميلِ لأوكارِها، فرِحَاتِ القُلوبْ[٨]
وَقَدْ أَضْمَرَتْ بأغاريدها خيالَ السَّماءِ الفسيحَ الرَّحيبْ
وَوَلّى رُعَاةُ السَّوامِ الى الحيِّ يُزْجُونها في صُماتِ الغُروبْ[٩]
فتَثْغُو، حنيناً لِحِمْلاَنِها، وَتَقْطفُ زهْرَ المُروجِ الخَصيبْ[١٠]
وَهُمْ يُنْشِدون أهازيجَهُمْ بصوتٍ، بهيجٍ، فَرُوحٍ، طَرُوبْ
ويَسْتَمْنِحُونَ مَزَاميرهم، فتمنحُهُمْ كُلَّ لحنٍ عَجيبْ
تَطِير بِهِ نَسَماتُ الغُروبِ إلى الشَّفَقِ المُسْتَطِيرِ الخَلُوبْ
وتوحي لهم نَظَراتُ الصَّبَايا أناشيدَ عَهْدِ الشَّبابِ الرَّطيبْ
وَأَقْبَلَ كلٌّ إلى أهلِهِ، سوى أمَلي، المستطارِ، الغَريبْ
فَقَدْ تاه في مَعْسَبات الحياة، وسُدَّتْ عليه مَنَاحِي الدُّروبْ[١١]
وَظَلّ شَريداً، وحيداً، بَعيداً، يُغَالِبُ عُنْفَ الحياةِ العَصِيبْ

---

(٦) صروف: مصائب.
(٧) الهجسات: جمع الهجس، وهو ما يخطر في البال ويقع في القلب.
(٨) آبت: رجعت.
(٩) السّوام: الماشية ترسل لترعى. يزجونها: يسوقونها. الصّمات: الصّمت.
(١٠) تثغو: من الثغاء، وهو صوت الشّاة.
(١١) معسبات: من العسبة وهي الشّق في الجبل. المناحي: جمع المنحى، وهو القصد.

وقد كَان مِنْ قَبْلُ ذَا غبطـةٍ، يُـرَفـرفُ حَـوْلَ فـؤادي الخَصِيـبْ

★ ★ ★

وَلمَّـا أَظَـلَّ المَسَـاءُ السَّمـاءَ، وأسكَـرَ بـالحُـزْنِ روحَ الوُجُـودْ
وقفتُ، وساءلتُهُ: هل يَؤُوبُ لِقَلْبـي رَبيـعُ الحيـاةِ الشَّـرُودْ»؟[12]
«فَتَخْفُقَ فيه أَغَاني الوُرودِ ويخضرَّ فِرْدَوسُ نفسي الحَصِيـدْ»؟[13]
«وتختالُ فيه عَرُوسُ الصَّباح، وتَمْرَحُ نَشْوَى بِذاك النَّشيـدْ»؟[14]
«ويَرجعُ لي مِنْ عِراصِ الجَحِيمِ سلامُ الفؤادِ، الجَميلُ العهيدْ»؟[15]
«فقـد كبَّلَتْـهُ بنـاتُ الظَّلامِ، وألقيْنَـهُ فـي ظلامِ اللُّحُـودْ»؟
فَـأَصْغَـى إلـى لَهَفِـي المستمـرِّ، وَخَـاطَبَنـي مِـنْ مكـانٍ بعيـدْ:
«تَعُودُ ادِّكاراتُ ذاك الهوَى، ولكنَّ سِحْـرَ الهَـوَى لا يَعُـودْ»[16]
فَجَاشتْ بنفسِي مآسي الحيـاةِ، وسخـطُ القُنُـوطِ القـويُّ المُـريـدْ
ولمَّا طَغَتْ عَصَفَـاتُ القُنُـوط فمـادتْ بكـلِّ مَكِيـنٍ، عَتيـدْ[17]
أَهَبْتُ بقلبي، الهلوعِ، الجزوعِ، وكان مِنْ قَبْـلُ جَلْـداً، شَـدِيـدْ:
«تجلَّدْ، ولا تَسْتَكِنْ للَّيـالـي، فمـا فـازَ إلا الصَّبُـورُ، الجَليـدْ»
«ولا تَأْسَ مِنْ حَادثاتِ الدُّهورِ، فَخَلْفَ الدَّياجيرِ فَجْرٌ جَديدْ»[18]

«ولــولا غيــومُ الشتــاءِ الغِضَــابُ	لمــا نضَّــدَ الرّوضُ تلـك الوُرُودْ»[19]
«ولــولا ظــلامُ الحيــاةِ العَبُــوسُ	لَمَا نَسَـجَ الصُّبْـحُ تِلْـكَ البُـرُودْ»[20]

(١٢) يؤوب: يعود.
(١٣) فردوس: جنّة.
(١٤) نشوى: سكرى.
(١٥) عراص: جمع عرصة، وهي السّاحة أمام الدّار.
(١٦) ادّكارات: ذكريات.
(١٧) القنوط: اليأس. ماد: اضطرب وتحرّك.
(١٨) لا تأسَ: لا تحزن. الدّياجير: الظّلمات.
(١٩) نضّد: ضمّ بعضه إلى بعض.
(٢٠) البرود: جمع بُرْد، وهو اللّباس.

الذّكرى

– 78 – [من مجزوء الكامل]

كنّا كَزَوْجَيْ طَائِرٍ، في دوْحَةِ الحُبِّ الأمينْ[1]
نَتْلُو أناشيدَ المنى بين الخَمائل والغُصُونْ
مُتَغَرِّدَيْن مع البَلابِلِ في السُّهول وفي الحزونْ[2]
مَلأ الهوى كأسَ الحياةِ لنا، وَشَعْشَعَها الفُتونْ[3]
حتّى إذا كِدْنا نُرشّفُ خَمْرَهَا، غَضِبَ المَنُونْ
فَتَخَطّفَ الكأسَ الخلوبَ، وحطّم الجامَ الثَّمينْ[4]
وأراق خَمْرَ الحُبِّ في وادي الكآبَةِ والأَنْينْ
وأهَابَ بالحُبِّ الوديع، فَوَدَّعَ العُشَّ الأَمينْ[5]
وَشَدا بِلَحْنِ الموتِ في الأُفْقِ الحَزينِ المُسْتَكينْ
ثُمَّ اختفى خَلْفَ الغُيومِ، كأنَّهُ الطَّيفُ الحَزينْ...

★ ★ ★

يا أيُّها القَلبُ الشَّجيُّ! إلامَ تُخْرِسُكَ الشُّجونْ
رُحْمَاكَ قَدْ عَذَّبْتَني بالصّمتِ والدَّمْعِ الهَتُونْ[6]
مَاتَ الحَبيبُ، وَكُلُّ ما قد كُنْتَ ترجُو أن يكونْ
فَٱصْبِرْ على سُخْطِ الزَّمانِ، وما تُصَرِّفُهُ الشُّؤونْ[7]

---

(١) الدّوحة: المظلّة العظيمة.
(٢) الحزون: جمع حَزن، وهي الأرض الغليظة المرتفعة.
(٣) الفتون: هنا بمعنى الجمال.
(٤) تخطّف: اختطف، سرق. الجام: إناء من فضّة يتّخذ للشّراب.
(٥) يذكر في هذه الأبيات قصة حبّه الذي كان الموت لها بالمرصاد إذ استهدفت المنون حبيبته من بين يديه وتركته وحيداً معذّباً.
(٦) الهتون: الذي ينهمر بغزارة.
(٧) سخط: غضب. لم يعد من منقذ له سوى الموت.

فلَسَــوْفَ يُنقِـذُكَ المَنُــونُ، وَيَفْــرحُ الرّوحُ السجيــنْ...

* * *

وَرْدُ الحيــاةِ مــرَنَّــقٌ، والمَــوْتُ مَـــوْرِدُهُ مَعيـــنْ[٨]
وَلَــرُبَّمــا شَــاقَ الرّدى الدَّاجــي، وأعمــاقُ المنـــونْ
قَلْبــاً، تُــرَوِّعُــهُ الحيــاةُ، ولا تُهــادِنُــهُ السُّنُـــونْ
وَمَشَـاعِـراً حسْـرَى، يسيـرُ بهـا القُنُـوطُ إلـى الجُنـونْ[٩]

الصّباح الجديد

– 79 – [من مجزوء الخفيف]

أُسْكُنــي يــا جــرَاحْ ... واسكُتي يَـا شُجُـونْ[١]
مَـاتَ عَهْـدُ النُّـوَاحْ ... وَزَمَـانُ الجُنُـونْ
وَأَطَـلَّ الصَّبَـاحْ ... مِـنْ وراءِ القُـرُونْ

* * *

فــي فِجــاجِ الرّدى ... قــد دفنــتُ الألَــمْ
ونثــرتُ الدُّمُــوعْ ... لِــرِيَــاحِ العَــدَمْ
واتَّخــذتُ الحَيــاةْ ... مِعَــزفــاً للنَّغَــمْ[٢]
أتغنَّــى عليــهْ ... فـي رِحَـابِ الزَّمَـانْ

---

(٨) مرنّق: مكدّر. مصير الورود إلى الذّبول ومصير الحب الى الموت.
(٩) القنوط: اليأس. يقول: ليس للعاشق الذي مات حبيبه إلاّ اليأس أو الموت.
(١) الشّجون: الأحزان.
(٢) المعزف: ما يعزف عليه من آلات موسيقيّة. يقول: إنه نسي آلامه وجراحه وسوف يغنّي للحياة من جديد.

وأذبـــتُ الأسَـــى　　فـي جمــال الوُجــودْ
وَدَحَـــوْتُ الفــؤادْ　　واحـــةً للنَّشِيــدْ[3]
والضِّيـــا والظِّـلالْ　　والشّــذَى والــورودْ
والهـوى والشَّبـــابْ　　والمنـــى والحنَـــانْ

★ ★ ★

اسكُنــي يــا جــراحْ　　واسكُتـي يـا شُجــونْ
مــات عهــدُ النــواحْ　　وزَمـــانُ الجنـــونْ
وَأَطَـــلَ الصَّبـــاحْ　　مِـــنْ وراءِ القُـــرونْ

★ ★ ★

فــي فـؤادي الرحيـبْ　　مَعْبِـــدٌ للجَمَـــالْ
شيَّـــدتْـــه الحيـــاةْ　　بــالــرُّؤَى، والخيَــالْ
فَتَلَـــوْتُ الصَّــلاة　　في خشـوعِ الظِّلالْ...
وَحَرَقْـتُ البُخُـورْ...　　وأَضَـأْتُ الشُّمــوعْ...

★ ★ ★

إن سِحْـــرَ الحيـــاةْ　　خَـــالــدٌ لا يــزولْ
فَعَـلامَ الشَّكَـــــاةْ　　مِـنْ ظَلامٍ يَحُـولْ[4]
ثــمّ يــأتــي الصبَّــاح　　وتَمُــرُّ الفُصــولْ...؟
ســوف يـأتـي رَبِيــعْ　　إن تقضَّـــى رَبِيـــعْ

★ ★ ★

---

(٣) دحا: استرخى واسترسل.

(٤) الشّكاة: الشّكوى. يحول: يزول.

في هذه الأبيات فكرة فلسفيّة مفادها أنّ الحياة تستحقّ منّا كلّ اهتمام وتفكير لأنّها خالدة، في حين أنّ آلامها وأحزانها هي أشياء عارضة وليست جوهريّة.

أُسكُنِي يا جراحْ واسكُتي يا شُجونْ
مَاتَ عهدُ النّواحْ وزَمَانُ الجنونْ
وأطلَّ الصَّباحْ مِن وراءِ القُرُونْ

★ ★ ★

من وراءِ الظَّلامْ وهديرِ المياهْ
قد دعاني الصَّباحْ وَرَبيعُ الحَيَاهْ
يا لهُ مِنْ دُعاءْ هزّ قلبي صَداهْ
لمْ يَعُدْ لي بقَاءْ فوق هذي البقاعْ

★ ★ ★

ألْوَداعَ! الوَداعْ يا جِبَالَ الهُمومْ
يا ضَبابَ الأسى! يا فِجَاجَ الجحيمْ
قد جرى زوْرَقِي في الخِضَمِّ العَظيمْ..[5]
ونشرتُ القِلاعْ... فالوَداعَ! الوَداعْ[6]

تحت الغصون

– 80 –

[من الخفيف]

هَهُنا في خمائلِ الغابِ، تَحْتَ الزَّا نِ والسِّنديان، والزّيتونَ
أنتِ أشهى من الحياةِ وأبْهى من جمالِ الطّبيعةِ الميمونِ[1]

---

(٥) الخضمّ: البحر العظيم.

(٦) القلاع: شراع السّفينة.

في هذه القصيدة مُسحة من التفاؤل لا يمكن تفسيرها إلاّ بالعودة إلى الزّمن الذي نظم فيه الشّاعر هذه القصيدة، فربّما نظمت القصيدة في وقت كان المرض يهادنه فيه.

(١) الميمون: المبارك.

ما أرقّ الشبابَ، في جِسْمِكِ الغضِّ | وفي جيدكِ البَديعِ، الثَّمينِ ![2]
وأدقّ الجمالَ في طرفِكَ السَّاهي، | وفي ثغرِكِ الجميلِ، الحَزينِ ![3]
وألذّ الحياةَ حينَ تغنّيـ | ـن فَأُصْغِي لصوتِكِ المحزُونِ
وأرى روحكِ الجميلةَ عِطرًا | ضايعاً في حلاوة التّلحينِ ![4]
قَدْ تَغَنَّيْتِ منذُ حينٍ بصوتٍ | ناعمٍ، حالمٍ، شجيٍّ حنونِ[5]
نغَماً كالحياة عذباً عميقاً | في حَنانٍ، ورقّةٍ، وحنينِ
فإذا الكون قِطعةٌ من نشيدٍ | علويٍّ، منغّمٍ، موزونِ
فَلِمَنْ كنتِ تُنشدينَ؟ فقالتْ: | «للضياءِ البَنفسجيِّ الحزينِ»
«للضّباب المورّد، المتلاشي | كخيالاتِ حَالمٍ، مفتونِ[6]
«للمساءِ المطلِّ للشَّفَق السّا | جي لِسِحْرِ الأسى، وَسحرِ السُّكونِ»
«للعبير الذي يرفرف في الأفْـ | ـقِ ويفنى، مثلَ المنى، في سكونِ»
للأغاني التي يُردِّدُها الرّا | عي بمزماره الصَّغيرِ، الأمينِ
«للرَّبيعِ الذي يؤجّج في الدُّ | نيا حَيَاةَ الهوى، وروحَ الحنينِ[7]
«ويوشّي الوُجودَ بالسِّحْرِ، والأحلا | مِ والزَّهْرِ، والشَّذى، واللُّحونِ[8]
«للحياةِ التي تغنّي حواليَّ! | على السَّهْلِ، والرُّبى والحُزُونِ[9]
«للينابيعِ، للعَصَافيرِ، للظِّلِّ | لهذا الثَّرى، لتلكَ الغُصونِ
«للنَّسيمِ الذي يضمِّخُ أحلا | مي بِعِطْرِ الأقَاحِ واللّيمونِ[10]

---

(٢) الغضّ: النّاعم. الجيد: أعلى الصّدر.

(٣) السّاهي: الغافل عن الأمر.

(٤) ضايعاً: منتشراً.

(٥) شجيّ: حزين.

(٦) مفتون: ضالّ، ضائع.

(٧) يؤجّج: يلهب.

(٨) يوشّي: يزخرف. الشّذى: العطر والرّائحة. اللّحون: الألحان.

(٩) الحزون: الأراضي المرتفعة الغليظة.

(١٠) ضمّخ: دهن. الأقاح: زهر أحمر اللّون.

«للجَمال الذي يفيضُ على الدُّ نيا لأشواقِ قلبيَ المشجونِ
«للزَّمانِ الذي يوشّح أيّا مي بِضَوءِ المنى وظلِّ الشُّجونِ
«للشَّباب السَّكْرانِ، للأَمَلِ المعـ ـبود، لليأسِ، للأسى، للمَنُونِ»[11]

★ ★ ★

فَتنهَّدْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: «وقلبي مَنْ يغنّيهِ؟ مَنْ يُبيدُ شُجوني؟
قالتِ: «الحبُّ» ثُمَّ غنّتْ لقلبي قُبَلاً عبقريّةَ التّلحينِ
قُبَلاً، علّمتْ فؤادي الأغاني، وأنارتْ لهُ ظَلامَ السّنينِ
قبلاً، ترقُصُ السَّعادةُ، والحبُّ على لحنِها العميقِ الرَّصينِ[12]

★ ★ ★

.. وأفَقْنا، فقلتُ كالحالمِ المسـ ـحور: قولي، تَكَلّمي، خَبِّريني
«أيُّ دنيا مسحورةٍ، أيُّ رؤيا طالَعَتْني في ضوء هذي العُيونِ:»
«زُمَرٌ من ملائكِ الملأ الأعـ ـلى «يُغنّونَ في حُنُوٍّ حَنُونِ»
«وصبايا رواقصٌ، يتراشقْـ ـنَ بزهرِ التُّفَّاحِ والياسَمينِ»
«في فضاءٍ، مورّدٍ حالمٍ سَا هٍ أطافتْ به عذارى الفُنونِ»[13]
«وجحيمٍ تَؤُجُّ تَحْتَ فراديـ ـسَ كأحلامِ شاعرٍ مجنونِ»[14]
«أيُّ خمرٍ مؤَجَّجٍ ولهيبٍ مُسكرٍ؟ أيُّ نشوةٍ، وجنونٍ؟»
«أي خمرٍ رشفتُ، بلْ أيُّ نارٍ في شفاهٍ، بديعةِ التَّكْوينِ»
«وَرّدتْها الحياةُ في لَهَبِ السِّحـ ـرِ، ونُور الهوى، وَظلِّ الشُّجونِ»
«أيُّ إثمٍ مقدّسٍ، قد لبسنا بُرْدَهُ في مسائنا الميمونِ؟»[15]

(١١) المنون: الموت.
(١٢) الرّصين: الرّزين الوقور.
(١٣) السّاهي: الغافل عن الأمر. أطاف: أحاط.
(١٤) أجّ: توهّج. فراديس: جمع فردوس، وهو الجنّة.
(١٥) إثم: خطيئة. البُرد: ثوب مخطّط يلتحف به.

فَبَدَا طيفُ بسمةٍ، سَاحِرٌ، عَذْ ... بٌ، على ثَغرِها، قَويٌّ الفتونِ
وأجابتْ ـ وكلُّها فتنةٌ تُغـ ... ـوي، وتُغري بالحبِّ، بلْ بالجنونِ ـ :
أبداً! أنتَ حالمٌ، فاسألِ اللَّيـ ... ـلَ، فعند الظَّلام عِلْمُ اليقينِ ..»
وسكتنا، وَغَرَّدَ الحبُّ في الغا ... بِ، فأصغى حتَّى حفيفُ الغُصونِ
وبنى اللَّيلُ والرّبيعُ حواليـ ... ـنا من السِّحْرِ والرُّؤى والسُّكونِ
معبداً للجمالِ، والحبِّ شِعريًّا، ... مَشِيداً على فِجاجِ السنينِ [16]
تَحْتَهُ يزْخرُ الزَّمانُ، ويجري ... صَامتاً، في مَسيلهِ المحزونِ
وتمرُّ الأيّامُ، والحُزْنُ، والمو ... تُ، بعيداً عن ظلّهِ المأمونِ
معبداً،، ساحراً، مباخِرُهُ الزّهـ ... ـرُ، على الصخْرِ، والثَّرى، والغُصونِ
كلُّ زهرٍ يَضُوعُ منه أريجٌ ... من بخُورِ الرّبيعِ، جَمُّ الفُتونِ [17]
ونجومُ السّماءِ فيه شموعٌ ... أوْقَدَتْها للحُبِّ روحُ القُرونِ
ومضتْ نسْمةٌ تُوَسْوِسُ للغا ... بِ، وتشدُو في عمق ذَاك السُّكونِ [18]
وطَغَى السِّحرُ، والغرامُ بقلبي ... فتوسَّلْتُ ضارعاً بجفوني:
«طهِّري يا شقيقةَ الرُّوحِ ثغْري ... بلهيبِ الحياةِ، بَلْ قبِّليني»
«إنَّ نارَ الحياةِ والكوثرَ المنـ ... ـشودَ، في ثغركِ الشهيِّ، الحزينِ» [19]
«فهو كأسٌ سِحْريّةٌ، لرحيقِ الـ ... ـخُلْدِ قد صاغها إلٰهُ الفنونِ» [20]
«قبِّليني، وَأَسْكِري ثغريَ الصّا ... دي وقلبي، وفِتنتي، وجنوني» [21]
علَّني أستطيعُ أنْ أتغنّى ... لجمالِ الدُّجى بوحيِ العُيونِ»
«آه ما أجملَ الظّلامَ! وأقوى ... وحيَهُ في فؤاديَ المفتونِ!»

---

(١٦) الفجاج: الطّرق الواسعة بين الجبال.
(١٧) يضوع: يفوح. الأريج: العطر. جَمّ: كثير.
(١٨) توسوس: تتكلّم بكلام خفيّ.
(١٩) الكوثر: الشّراب العذب.
(٢٠) رحيق: خمرة.
(٢١) الصّادي: الشّديد العطش.

«انظـري اللّيـلَ فهـو حلّــة الأحــ ـلامِ يَمشي على الذُّرى والحُزُونِ»[٢٢]
«واسمعي الغابَ، فهـو قيتـارةُ الكـو نِ تغنّـــي لحبّنــا الميمـــونِ»[٢٣]
إن سِحْـرَ الضَّبـاب، واللّيـلِ، والغـا بِ بعيـدُ المـدى، قـــويُّ الفُتـــونِ
«وجمـالَ الظّلامِ يعبــقُ بــالأحــ ـلامِ والحُبِّ.. فَابْسِمِي، والْثُمِيني»[٢٤]

. . . .

آهِ! مـا أعــذَبَ الغَـرامَ! وأحلــى رنَّـةَ اللّثْـمِ فـي خُشـوعِ السُّكـونِ!

★ ★ ★

.. وَسَكِرْنا هناك.. في عالـم الأحــ ـلامِ تحت السّماءِ، تحتَ الغصونِ..
وتـوارى الوجـودُ عنّـا بمـــا فيـــ ـــه.. وغبنا في عالمٍ مفتـونِ...[٢٥]
ونسينـا الحيـاة، والمـوتَ، والسُّكـو نَ ومـا فيـه مـن مُنًـى وَمَنُـــونِ[٢٦]

أغنية الشّاعر

— 81 — [من البسيط]

يـا ربّـة الشّعــرِ والأحلام، غنّينـــي فَقَدْ سَئمتُ وُجُومَ الكونِ، مِنْ حِيـنِ
إن اللّيالي اللّواتـي ضمّخـتْ كَبِـدِي بالسّحْر أضْحتْ مع الأيّامِ ترمينـي[١]
نَاختْ بنفسي مآسيها، وَمَـا وَجَـدَتْ قلبـاً عطـوفـاً يُسَلّيهـا، فَعـــزّينـــي
وَهَـدّ مِـنْ خلَـدِي نَـوْحٌ، تُـرَجّعُـه بَلْوَى الحياةِ، وأحزانُ المسَاكيـنِ[٢]

---

(٢٢) الحزون: الأراضي المرتفعة الغليظة.
(٢٣) قيثارة: آلة موسيقيّة ذات ستّة أوتار. الميمون: المبارك.
(٢٤) يعبق: يفوح.
(٢٥) توارى: اختفى، استتر.
(٢٦) المنى: الأماني.
(١) ضمّخ: دهن بالطّيب.
(٢) الخلَد: القلب والنّفس.

علـى الحيـاة أنـا أبكـي لِشِقْـوَتِهـا فَمَنْ إذا مُـتُّ يبكيهـا ويبكينـي ؟[٣]
يَا رَبَّةَ الشِّعرِ، غنِّيني، فقد ضَجِـرَتْ نفسي مِنَ النَّـاسِ أبنـاءِ الشَّيـاطيـنِ
تَبَـرَّمَـتْ بَيْنـيَ الدُّنيـا، وأَعـوزَهَـا في مِعزفِ الدَّهرِ غرِّيدُ الأرانيـنِ[٤]
وَرَاحـةُ اللَّيـلِ ملأى مِـنْ مَـدَامِعِـهِ وَغَـادَةُ الحُـبِّ ثكلـى، لا تغنِّينـي
فهل إذا لُـذْتُ بـالظَّلمـاءِ، مُنْتَحِبـاً أسلو؟ وما نَفْعُ مَحْزُونٍ لمحـزون ؟
يـا ربَّـةَ الشِّعـرِ إنّـي بـائسٌ، تَعِسٌ عَدِمْتُ ما أرتجي في العالَـم الدُّونِ[٥]
وفـي يـديـكِ مـزاميـرٌ يُخَـالِجُهـا وَحْـيُ السَّمـاءِ، فهـاتيهـا، وغنّينـي
ورتِّلـي حـولَ بيـتِ الحُـزْنِ أغْنِيَـةً تجلُو عن النَّفسِ أحوانَ الأحاييـنِ[٦]
فـإنّ قلبـيَ قبـرٌ، مُظْلِـمٌ، قُبِـرتْ فيه الأمانـي، فمـا عـادتْ تنـاغينـي
لولاكِ في هـذه الدُّنيـا لَمَـا لَمَسَـتْ أوتـارَ رُوحِـيَ أَصْـواتُ الأفَـانيـنِ
ولا تغنَّيْتُ مأخـوذاً.. ولا عـذُبَـتْ ليَ الحيـاةُ لـدى غَـضِّ الرَّيـاحيـنِ
ولا ازدهى النَّفْسَ في أشْجَانها شَفَـقٌ يُلَـوِّنُ الغيْـمَ لهـواً أيَّ تلـويـنِ[٧]
ولا استخَفَّ حياتـي، وَهْـيَ هـائمـةٌ فجرُ الهوى في جفون الخُرَّدِ العِينِ[٨]

الاعتراف

— 82 — [من البسيط]

ما كنتُ أحْسَبُ بعدَ موتـكَ يـا أبـي - ومشـاعـري عميـاءُ بـالأحـزانِ -
أنّـي سـأظمـأُ للحيـاةِ، وأحتسـي مِـنْ نهْرِهـا المتـوهِّـجِ النّشـوانِ

(٣) الشِّقوة: الشّقاء.
(٤) الأرانين: أصوات البكاء.
(٥) الدُّون: الأسفل.
(٦) أحوان: جمع حَين، وهو المحنة والهلاك.
(٧) ازدهى: استخفّ.
(٨) الخُرَّد: جمع خريدة، وهي الفتاة الحسناء. العِين: الواسعة العيون.

وأعـودُ للـدُّنيـا بقلـبٍ خَـافـقٍ للحـبِّ، والأفـراحِ ، والألحـانِ
ولكلِّ ما في الكونِ من صُوَرِ المنـى وغـرائِـبِ الأهـواءِ والأشْجَـانِ (١)
حتَّـى تَحـرَّكَـت السُّنـونَ، وأقبلـتْ فِتَـنُ الحيـاةِ بِسِحْـرِهَـا الفتّـانِ
فـإذا أنـا مـا زلـت طفلاً، مُـولَعـاً بتعقُّـبِ الأضْـواءِ والألْـوانِ (٢)
وإذا التَّشَـاؤُمُ بـالحيـاةِ ورفضُهَـا ضـرْبٌ مـن البُهْتَـانِ والهَـذَيَـانِ (٣)
إنَّ ابـنَ آدمَ فـي قـرارةِ نفسِـهِ عبـدُ الحيـاةِ الصّـادقُ الإيمـانِ

الحياة

— 83 — [من الخفيف]

إنَّ هـٰـذِي الحَيَـاةَ قِيثَـارَةُ اللهِ، وَأَهْـلُ الحَيَـاةِ مِثْـلُ اللُّحُـونِ (١)
نَغَـمٌ يَسْتَبِـي المَشَـاعِـرَ كَـالسِّحْـرِ، وَصَـوْتٌ يُخِـلُّ بـالتَّلْحِيـنِ
وَاللَّيَـالـي مَغَـاوِرٌ، تُلْحِـدُ اللَّحْـنَ وَتَقْضِـي عَلَـى الصَّـدَى المِسْكِيـنِ (٢)

---

(١) المنى: جمع أمنية، وهي البغية والرّغبة.
(٢) تعقّب: تتبّع.
(٣) البهتان: الكذب والباطل. الهذيان: الكلام بدون تعقّل.
(١) اللّحون: الألحان. النّاس كالألحان منها الجميل ومنها القبيح.
(٢) تلحد: تدفن. يشبه أبناء قومه بالمغارة التي يموت فيها كلّ لحن جميل ويتلاشى فيها كلّ صوت يدعو إلى التغيير.

قافية الهاء(★)

أنا أبكيك للحبّ

– 84 –[من مجزوء الرمل]

لَسْتُ يا أَمْسِيَ أبكيكَ لِمجدٍ أو لجاهْ
سلبَتْهُ منِّيَ الدُّنيا، وبزّتْني رداهْ(1)
فأنا أحتقرُ المجدَ وأوهامَ الحياهْ

★ ★ ★

أو لعُمْرٍ، بَلَغَتْ منهُ اللّيالي مُنْتهاهْ
وَتلاشتْ في خِضَمِّ الزّمَنِ الطّاغي قواهْ(2)
فأنا ما زلتُ في فَجْرِ شبَابي أو ضُحاهْ
لا، ولا أبْكيكَ يا أمسي، إذا ما قلتُ: «آهْ»
لِنَعيمٍ، لم يَنلْ قلبيَ منهُ مُشْتهاهْ
فبنُو الأيّام في الدُّنيا كما شاءَ الإلٰهْ

★ ★ ★

إنَّما أبكيك للحبِّ، الذي كان بَهاهْ

(★) اعتبرنا كلّ ما انتهى بالهاء من هذه القافية سواءٌ كانت الهاء رويّاً أم غير رويّ.

(1) بزّتني: غلبتني.

(2) الخضمّ: البحر العظيم.

يملأ الدُّنيا فَأنّى سِرْتُ في الدُّنيا أراهْ
فإذا ما لاحَ فجْرٌ، كان في الفَجْرِ سَنَاهْ[٣]
وإذا غرّد طَيرٌ، كان في الشَّدْو صَدَاهْ
وإذا ما ضَاعَ عِطْرٌ، كان في العِطْر شَذَاهْ
وإذا ما رفّ زهرٌ، كان في الزّهر صِبَاهْ
فهْو في الكونِ جمالٌ، يَملأ الأفْقَ ضِياه
وَتُوَشِّي هذه الأكوانَ بالسِّحر رُؤاهْ
وهْو في قلبي - الذي عانَقَهُ الفَجْرُ - إلَهْ!
عبْقريُّ السِّحرِ، ممراحٌ وديعٌ في سَمَاهْ[٤]
يَنْسجُ الأحلامَ في قلبي بأضواءِ الحَيَاهْ
ويُغنّيني، فأنسَى في مَسَرّاتِ غِناهْ
كُلَّ ما في الكونِ مِنْ حُزنٍ وأفراحٍ، عَدَاهْ

يا ابن أمّي

[من المتقارب] — 85 —

خُلقتَ طَليقاً كَطَيفِ النّسيمِ، وَحُرّاً كَنُورِ الضُّحى فِي سَمَاهْ[١]
تُغَرِّد كالطّيرِ أيْنَ اندفعتَ، وتشدو بما شاءَ وَحْيُ الإلهْ
وَتَمْرَحُ بين وُرودِ الصَّباحِ، وتنعَمُ بالنُّورِ، أنَّى تَراهْ[٢]
وَتَمْشي - كما شِئْتَ - بينَ المروجِ، وَتَقْطُفُ وَرْدَ الرُّبى في رُباهْ

* * *

(٣) سناه: نوره.
(٤) ممراح: نشيط.
(١) طيف: خيال. يقول: إنّ الإنسان يولد حرّاً.
(٢) تمرح: تلهو وتلعب.

كذا صَاغَكَ اللهُ، يـا ابـنَ الوجـودِ، وأَلقَتْـكَ فـي الكـونِ هَـذِي الحيـاهْ
فَمـا لَـكَ تـرضَـى بـذلِّ القيـودِ، وتَحنـي لِمَـنْ كبَّلـوكَ الجِبَـاهْ؟
وَتُسْكِـتُ فـي النَّفْسِ صـوتَ الحيـاةِ القـويَّ إذا مـا تغنَّـى صَـدَاهْ؟
وَتُطْبِـقُ أجفـانَـكَ النِّيـراتِ عَـنِ الفَجْـرِ، والفجـرُ عَـذْبٌ ضِيَـاهْ؟
وَتَقْنَـعُ بـالعيشِ بَيْـنَ الكهـوفِ، فَـأيـنَ النَّشيـدُ؟ وأيـنَ الإيَـاهْ؟[3]
أتخشـى نشيـدَ السَّمـاءِ الجميـلَ؟ أتَـرْهَـبُ نـورَ الفَضَـا فـي ضُحَـاهْ؟
ألا انهـضْ وَسِـرْ فـي سبيـلِ الحيـاةِ، فَمَـنْ نَـامَ لـم تَنتَظِـرْهُ الحَيَـاهْ؟
ولا تَخْشَ ممَّـا وراءَ التلاعِ .. فمـا ثَـمَّ إلا الضُّحـى فـي صِبَـاهْ...
وإلاَّ ربيـعُ الوجـودِ الغـريـرُ، يطـرِّزُ بـالـوردِ ضَـافـي رِدَاهْ...[4]
وإلاَّ أريـجُ الزُّهـورِ الصُّبَـاحِ، ورقـصُ الأشعَّـةِ بيـن المِيَـاهْ...
وإلا حَمَـامُ المـروجِ الأنيـقُ، يغـرِّدُ منطلقـاً فـي غِنَـاهْ...
إلـى النُّـورِ! فـالنُّـورُ عـذْبٌ جميـلٌ، إلـى النُّورِ فـالنُّورُ ظِـلُّ الإلٰـهْ

إلى طغاة العالم

— 86 —

[من المتقارب]

ألا أيّهـا الظَّـالـمُ المستبـدُّ ... حَبيـبُ الظَّلامِ، عَـدوُّ الحيـاهْ
سَخَـرْتَ بـأنّـاتِ شَعْـبٍ ضَعيـفٍ ... وَكَفُّـكَ مخضـوبَـةٌ مـن دمـاهْ[1]
وَسِـرْتَ تُشَـوِّهِ سِحْـرَ الوجـودِ ... وتبـذُرُ شوكَ الأسـى فـي رُبـاهْ

★ ★ ★

رُوَيْدَكَ! لا يخـدعنْـك الرَّبيـعُ ... وصحـوُ الفَضـاءِ، وضـوءُ الصبـاحْ

---

(٣) الإياه: ربّما كانت جمعاً للفظة «آه». ولم تستعمل «آه» على أنّها إسم.
(٤) الغرير: العيش الواسع النّاعم. الضّافي: الرّداء الطّويل.
(١) مخضوبة: مصبوغة، ملطّخة.

ففـي الأُفُـق الرَّحْـب هـولُ الظَّلامِ   وقصـفُ الرُّعـودِ، وعَصْـفُ الرِّيـاحْ
حَـذارِ! فَتَحْــتَ الرَّمَــادِ اللهيــبُ   وَمن يَبْـذُرِ الشَّـوكَ يَجْـنِ الجراحْ
تـأملْ! هنـالِـكَ.. أنّـى حَصَـدْتَ   رؤوسَ الورى، وزهــورَ الأمــلْ[٢]
وَرَويَّـت بـالــدَّمِ قَلْــبَ التُّــرابِ   وأشْـربتَــه الدَّمــعَ، حتَّــى ثَمِلْ[٣]
سيجـرُفُـكَ السَّيْـلُ، سَيْـلُ الدِّمــاءِ   ويـأكلُــكَ العَــاصِــفُ المشتَعِــلْ

تونسُ الجميلة

– 87 –   [من الخفيف]

لَسْتُ أَبْكِي لِعَسْـفِ لَيْـلٍ طَـويـلٍ،   أَوْ لِـربـعٍ غَـدَا العَفَـاءُ مَـرَاحـهْ[١]
إنَّمـا عَبْـرَتِــي لِخَطْــبٍ ثَقِيــلٍ،   قَدْ عَرَانا، وَلَمْ نَجِـدْ مَـنْ أزاحـهْ[٢]
كُلَّمــا قَــامَ فِــي البِلادِ خَطِيــبٌ   مُـوقِـظٌ شَعْبَهُ يُــرِيــدُ صَلاَحَــهْ
أَلْبَسُـوا رُوحَـهُ قَمِيــصَ اضْطِهَــادٍ   فَـاتِـكٍ شَـائِـكٍ يَـرُدُّ جِمَـاحَــهُ[٣]
أَخْمَـدُوا صَـوْتَـهُ الإلهِـيَّ بـالعَسْــفِ،   أَمَــاتُــوا صُــدَاحَــهُ وَنُــوَاحَــهْ[٤]
وَتَـوَخَّـوْا طَـرَائِـقَ العَسْــفِ والإرْ   هَاقِ تَوًّا، وَمَا تَـوَخَّـوْا سَمَـاحَـهْ[٥]
هَكَذا المُخْلِصُونَ فِـي كُـلِّ صَـوْبٍ   رَشَقَـاتُ الرَّدَى إليهـم مُتَــاحَــهْ[٦]
غَيْــرَ أَنَّــا تَنَــاوَبْتَنَــا الرَّزَايــا   وَاسْتَبَاحَتْ حِمَانـا أيَّ استِبَـاحَـهْ[٧]

---

(٢) الورى: البشر.
(٣) ثمل: سكر وانتشى.
(١) العسف: الظّلم. الرّبع: الدّار. العفاء: الزّوال. المَراح: المكان الذي يروح القوم منه أو إليه.
(٢) عبرتي: دمعتي. الخطب: المصيبة. عرانا: أصابنا.
(٣) شائك: صعب. الجماح: التمرّد.
(٤) العسف: الظّلم. صداح: غناء وشدو.
(٥) توخّى: تعمّد. التوّ: القصد.
(٦) متاحة: مقدّرة، مهيّأة. يريد أن المخلصين هم الضّحيّة دائماً.
(٧) الرّزايا: المصائب.

أَنَـا يَـا تُـونُسَ الجَمِيلَـةَ فِـي لُـجِّ الهَوى قَـدْ سَبَحْـتُ أيَّ سِبَـاحَـهْ[٨]
شِـرْعَتـي حُبُّـكِ العَمِيـقُ وإنِّـي قَـدْ تَـذَوَّقْـتُ مُـرَّهُ وَقَـرَاحَـهْ[٩]
لَسْتُ أنْصَـاعُ للـوَاحِـي وَلَـوْ مُـتُّ وَقَـامَـتْ عَلَـى شَبَـابِـي المَنَـاحَـهْ[١٠]
لا أُبـالـي.. وَإنْ أُرِيقَـتْ دِمـائـي فَـدِمَـاءُ العُشَّـاق دَوْمـاً مُبَـاحَـهْ
وَبطُـول المَـدَى تُـريـكِ اللَّيَـالـي صَادِقَ الحُبِّ وَالوَلاَ وَسَجـاحَـهْ[١١]
إنَّ ذا عَصْـرُ ظُلْمَـةٍ غَيْـرَ أنِّـي مِنْ وَرَاءِ الظَّلاَمِ شِمْتُ صَبَاحَـهْ[١٢]
ضَيَّـعَ الدَّهْـرُ مَجْـدَ شَعْبِـي وَلِكـنْ سَتَـرُدُّ الحَيَـاةُ يَـومـاً وِشَـاحَـهْ

من أغاني الرّعاة

— 88 —

حل الشاعر صيفاً بعين دراهم «من الشمال التونسي» مستشفيا. وهناك فوق الطبيعة العذراء الساحرة والغابات الملتفة الهائلة، والجبال الشم المجللة بالنسديان قضى عهداً شعرياً، وادعاً، خالصاً للشعر، والسحر والأحلام. وفي القصيد التالي صورة صغيرة من صور الحياة بين تلك الجبال، والأودية والغابات.

[من مجزوء الرّمل]

أقبـلَ الصُّبْـحُ يُغنِّـي للحيـاةِ النَّـاعِسَـهْ
والرُّبـى تحلـمُ فـي ظِـلِّ الغُصـونِ المـائسَـهْ[١]

---

(٨) لجّ الشّيء: معظمه.
(٩) القراح: الخالص من الماء أو من غيره.
(١٠) أنصاع: أطاوع.
(١١) الولا: الولاء. السجّاح: الخُلُق والطّبع.
(١٢) شام: ترقّب وانتظر.
(١) المائسة: المتمايلة.

والصَّبا تُـرْقِـص أوراقَ الزُّهـورِ اليـابسَـةْ[٢]
وتَهـادَى النُّـورُ فـي تلـك الفِجَـاجِ الدّامسَـةْ[٣]

★ ★ ★

أقبـلَ الصُّبـحُ جميلاً ، يملأ الأفْـقَ بَهَـاه
فَتَمَطَّـى الزَّهْـرُ ، والطّيـرُ ، وأمـواجُ الميـاهْ[٤]
قـد أفـاقَ العَـالـم الحـيُّ ، وَغَنَّـى للحيـاهْ
فـأَفِيقـي يـا خِـرافـي ، وَهَلُمِّـي يـا شِيـاهْ[٥]

★ ★ ★

واتبعِينـي يـا شِيـاهـي ، بيـنَ أسـرابِ الطُّيـورْ
واملإِي الوَادي ثُغَـاءً ، وَمِـراحـاً وحُبُـورْ[٦]
واسمعـي هَمْسَ السَّـواقـي ، وانشَقـي عِطْـرَ الزُّهُـورْ
وانظـري الوادي ، يُغَشِّيـه الضَّبـابُ المُسْتَنيـرْ[٧]

★ ★ ★

واقطُفي مـن كلإِ الأَرضِ ، ومَـرعـاهـا الجَـديـدْ[٨]
واسمعـي شبَّـابتِي تَشْـدُو ، بمعسـولِ النَّشيـدْ[٩]
نغَـمٌ يَصْعَـدُ مـن قلبـي ، كـأنفـاسِ الوُرودْ

---

(٢) الصَّبا : ريح شرقيّة ناعمة.
(٣) تهادى : مشى على مهل متمايلاً. الفجاج : الطّرق الواسعة بين الجبال.
(٤) تمطّى : تثاءب.
(٥) الشّياه : جمع شاة ، وهي الغنمة.
(٦) الثّغاء : صوت النعجة. المراح : المرح والفرح. الحبور : السّرور.
(٧) يغشّيه : يغطّيه.
(٨) الكلأ : العشب والمرعى.
(٩) الشبّابة : آلة موسيقيّة هي « المنجيرة ».

ثـم يَسْمُـو طـائـراً كـالبلبـلِ الشَّـادي السَّعيـدْ

★ ★ ★

وإذا جئْنـا إلـى الغَـابِ، وغطّـانـا الشَّجَـرْ
فـاقطُفي مـا شئتِ مـن عُشْـبٍ، وزَهْـرٍ وثَمَـرْ
أرضَعتْـهُ الشّمْسُ بـالضـوءِ، وغَـذَّاهُ القَمـرْ
وارتَوَى من قَطَـراتِ الطَّـلِّ، فـي وَقْـتِ السَّحَـرْ[10]

★ ★ ★

وامْـرَحِي مَـا شِئْـتِ فـي الوديـان، أو فـوقَ التِّلالْ
واربضـي فـي ظلّهـا الوَارفِ، إنْ خِفْـتِ الكَلالْ[11]
وامْضَغِـي الأعشـابَ، والأفْكَـارَ فـي صَمـتِ الظِّلالْ
واسمعـي الرِّيـحَ تُغَنِّـي، فـي شَمَـاريـخِ الجِبَـالْ[12]

★ ★ ★

إن فــي الغـاب أزاهيـراً، وأعشـابـاً عِـذابْ
يُنشِـدُ النّحْـلُ حَـواليْهـا، أهـازيجـاً طِـرابْ[13]
لـم تُـدنِّسْ عِطـرَهـا الطّـاهِـرَ أنفَـاسُ الذِّئـابْ
لا، ولا طَافَ بِهَا الثَّعْلـبُ فـي بعـضِ الصّحـابْ!

★ ★ ★

وشــذاً حلــواً، وسِحْــراً، وسَلامـــاً، وظِلالْ
ونَسيمــاً ســاحــرَ الخطــوةِ، مَــوْفُــورَ الدّلالْ

---

(١٠) السَّحر: فترة من اللّيل تسبق الفجر. الطّلّ: النّدى.
(١١) ربض: أوى ولجأ إلى المكان. الوارف: الممتدّ الطّويل.
(١٢) شماريخ: رؤوس الجبال.
(١٣) الأهازيج: التّرانيم والأناشيد.

وغُصـونـاً يَـرْقُـصُ النُّـورُ عليهـا ، والجَمـالْ
واخضـراراً أبـديَّـا ، ليسَ تَمحُـوه اللّيـالْ

★ ★ ★

لن تَملّي، يـا خِـرَافـي، فـي حمـى الغَـاب الظّليـلْ
فَـزَمَـانُ الغَـابِ طفـلٌ، لاَعِـبٌ، عَـذْبٌ، جميـلْ
وزمـانُ النَّـاس شَيْـخٌ، عَـابسُ الوجـهِ، ثَقيـلْ
يتمشّى فـي مَلالٍ ، فـوقَ هـاتيـكَ السُّهـولْ[١٤]

★ ★ ★

لـكِ فـي الغـابـاتِ مـرعـاكِ، ومَسْعَـاكِ الجميـلْ
ولـيَ الإنْشَـادُ، والعَـزْفُ إلـى وقـتِ الأصِيـلْ
فـإذا طـالـتْ ظِلالُ الكَلإِ الغـضِّ، الضَّئيـلْ[١٥]
فهلمّـي نُـرْجِـعِ المسْعَـى إلـى الحـيِّ النَّبيـلْ

في فجاج الآلام

– 89 – [من المجتث]

يَـا لاَبْتِسَـامَـةِ قَلْـبٍ مَطْلُـولَـةٍ بـدمـوعِـهْ[١]
غَـاضَـتْ، فَلَـمْ تُبْـقِ إلاَّ الدُّمُـوعَ بيـنَ صُدُوعِـهْ[٢]

---

(١٤) ملال: ضجر. لا ينسى الشّاعر أن يقارن بين جمال الطبيعة وصدقها وبين قبح المدينة وما يتحلّى به أبناؤها من كذب وخداع.

(١٥) الكلأ الغضّ: العشب النّديّ.

(١) مطلولة: مبتلّة.

(٢) غاض: غاب في الأرض وذهب.

فَظَلَّ يَهْتُفُ من شَجْـوِهِ، وَفَرْطِ وُلُوعِهْ[٣]
«ويْحَ الحياةِ! أَمَا تَنْـقَضي لَدَيها الرَّزايا؟!»[٤]
«أما يُكَفْكِفُ هذا الزَّمانُ صَوْبَ البَلايا؟!»
«يا دهرُ! رفقاً! فإنَّ القُـلوبَ أَمْسَتْ شَظَايا»

★ ★ ★

يا قلبُ نَهْنِهْ دموعَ الأسى، وَلَوْعَةَ رُوعِكْ
إنَّ الدُّهورَ البَواكي غَنِيَّةٌ عَنْ دُمُوعِكْ
حسْبُ الحياةِ أساها فَاطْوِ الأسى في صُدُوعِكْ[٥]
وَاحْلُمْ بِفَجْرِ الليالي...، فَفَجْرُهَا في هُجُوعِكْ[٦]
وإن غَفَوْتَ فَإِنَّ الحياةَ ليسَتْ تَرُوعُكْ
وَسَوْفَ يمضي شِتَاءُ الأسى، وَيَأْتي رَبِيعُكْ

★ ★ ★

بينَ القُبورِ فَتَاةٌ جارَ الزَّمانُ عليْها
فافْتَكَّ منها بِعُنْفٍ كَفُّ الرَّدى أَبَويْها[٧]
تَقُول واللَّيلُ سَاجٍ والقبرُ مصغٍ إليها:[٨]
«يا ليتني متُّ من قَبْلِ أنْ تَسُوءَ حَيَاتي!»
«ويَنضُبَ الدَّمْع من لوْعتِي، ومِنْ حَسَراتي!»
«مَنْ لي بِحُفْرةِ قَبْرٍ تضمُّني وَشَكَاتِي!»[٩]

---

(٣) فرط: زيادة.
(٤) الرّزايا: المصائب. يتألم من الحياة لأنّ فواجعها مستمرّة لا تنقطع.
(٥) الصّدوع: الشّقوق في الشّيء الصّلب.
(٦) الهجوع: النّوم.
(٧) افتكّ الشّيء: فتك به واقتصّ منه.
(٨) السّاجي: اسم الفاعل من سجا بمعنى غطّى.
(٩) الشّكاة: الشّكوى.

فـي الحـيّ صـبٌّ يعـانـي فـي الصَّـدْرِ داءً دَفِينـا
وفـي الفُـؤادِ جـوًى كـا مِنـاً وَحِسًّـا مَكِينـا
حتَّـى دهتْـه اللّيـالـي وجـرّعَتْـهُ مَنُـونَـهْ
فشيَّـعَ الميْـتَ جمـعٌ مِـنْ حيِّـهِ، يَنْـدُبُـونَـهْ
حتَّـى إذا مـا أرادوا رصْفَ الصَّفَائِحِ دونَـهْ[10]
نَـاحَـتْ عَليـهِ فتـاةٌ: «ويلي، لِمَـنْ تتـركـونَـهْ!»
كـانَ الصبـيُّ يَصِيـدُ الفَـرَاشَ بيـنَ الزُّهـورِ
فَـدَاسَ زَهـراً نـديًّـا ألقى بـه فـي الغَـديـرِ
فَـأَخْـرَجُـوه، ولكـنْ بعـد القضـاءِ الأخيـرِ...
فخـرّت الأمُّ حـول الصَّبِـيِّ، تصـرخُ: «ويلـي،
فقلـتُ ـ والقلـبُ دَامٍ والنَّـاسُ يبكـون حـولـي ـ:
«مـا أسخـفَ العيشَ تَقْضِـي عليـهِ زلّـةُ نَعْـلِ!»

★ ★ ★

شيـخٌ، شَـآهُ دَهْـرُ الأسـى، وَحِيـدٌ شَتِيـتُ[11]
بيـن الخـرائـبِ يُمسِـي على الطَّـوى، وَيَبِيـتُ[12]
فـي ظُلْمَـةِ اللّيـل فَـاضَـتْ علـى الوجـود حيـاتُـهْ
وطـرفُـهُ يَـرْمُـقُ النَّجْـمَ مِلْـؤُهُ عَبَـراتُـهْ
ومـا حـواليـهِ إلاّ الخـرابُ يُشجِـي صُمـاتُـه[13]
فمـا بكـاهُ فَتَـاهُ ولا بكتْـهُ فتـاتُـهُ
يـا زهـرةً سَـامَهـا العَـابـرون خَسْفـاً وهُونَـا![14]

(١٠) الصّفائح: حجارة توضع فوق قبر الميت.
(١١) شآه: سبقه.
(١٢) الطّوى: الجوع.
(١٣) الصّمات: الصّمت.
(١٤) سام: أذلّ.

لـو كنـتِ شـوكـاً عَضـوضـاً مـا داسَـكِ العَـابِـرُونـا
لأنهـــم يجهلــــونَ الوَحْـــيَ الذي تُضْمـــرينـــا
هُـــمْ يَسْخَـــرُون بِهَمْسِ الزُّهـــورِ، وَهْـــوَ بـــديـــعُ!
ويُنصِتـــونَ لِصَـــوْتِ الأشـــواكِ، وَهْـــوَ مُـــريـــعُ!
فلا تُبـــالـــي بقـــومٍ ألحـــقُّ فِيهـــمْ صَـــريـــعُ
ربَّـــاه! كَـــمْ مِـــنْ فتـــاةٍ، تشكـــو الحيـــاة وتبكـــي،
ومُعْـــدمٍ، بـــوَّأتْـــهُ الدُّهـــورُ مَقْعَـــدَ ضَنْـــكِ[١٥]
وَيَـــائسٍ مَـــات فـــي لُبِّـــهِ المَـــرَامُ الوَحيـــدُ
وتـــائـــهٍ، ضـــاع بيـــن القِفَـــارِ، وَهْـــوَ فَـــريـــدُ
حتَّـــى طـــوتْـــهُ مِـــنَ العَـــاصِفَـــاتِ رِيـــحٌ شَـــرُودُ
ربَّـــاه! رُحمـــاكَ إنَّ الزّمـــانَ فَـــضٌّ شَـــدِيـــدُ[١٦]

★ ★ ★

يـــا طَـــائِـــرَ الشِّعْـــرِ! رَوِّحْ علـــى الحيـــاة الكئيبَـــهْ
وامْسَـــحْ بـــريشِـــكَ دمْـــعَ القُلـــوبِ فَهْـــيَ غَـــريبَـــهْ
وَعَـــزِّهَـــا عَـــنْ أَسَـــاهـــا فَقَـــدْ دَهَتْهـــا المُصِيبـــهْ
وأَنْـــتَ روحٌ جميـــلٌ، بيـــنَ الهِضـــابِ الجـــديبـــهْ[١٧]
فـــانفـــخْ بهـــا مِـــنْ لهيـــبِ السَّمـــاءِ رُوحَـــاً خَضيبـــهْ[١٨]
وابعَـــثْ بسحـــركَ فـــي قلبِهـــا ضُـــرَامَ الشَّبيبـــهْ

---

(١٥) بوّأته: أنزلته، أحلّته.
(١٦) فَضّ: يُفرّق.
(١٧) الجديبة: الجرداء القاحلة.
(١٨) خضيبة: مصبوغة.

جدول الحبّ
بين الأمس واليوم

– 90 – [من مجزوء الكامل]

بـالأمْسِ قَـدْ كـانـتْ حَيَـاتـي كـالسَّمـاءِ البَـاسِمَـةْ
واليـومَ، قـد أمْسَـتْ كـأعْمَـاقِ الكُهُـوفِ الواجِمَـةْ[1]
قَـدْ كَـانَ لـي مـا بَيْـنَ أحْلامِـي الجَميلـة جَـدْوَلُ
يَجْـرِي بِـهِ مـاءُ المَحَبَّـةِ طَـاهِـراً يَتَسَلْسَـلُ
تَسْعَـى بِـهِ الأمْـوَاجُ بـاسِمَـةً كـأحْلامِ الصِّبَـا
بَيْضَـاءَ، نَـاصِعَـةً ضحـوكـاً مِثْـلَ أزهـارِ الرُّبَـى
ميَّـاسَـةً كَعَـرائِسِ الفِـرْدَوْسِ بيـن حُقُـولِـهِ[2]
تَتْلـو أنـاشيـدَ المُنَـى فـي مَـدِّهِ وَقُفُـولِـهِ[3]

★ ★ ★

هُـوَ جـدولُ الحُـبِّ الذي قَـدْ كَـان فـي قلبـي الخَضِـلْ[4]
بَمَـراشِـفِ الأحْلامِ مُنْطلقـاً، يَسِيـر علـى مَهَـلْ[5]
يَتْلُـو علـى سَمْعِـي أغـاريـدَ الحيـاةِ الطَّـاهِـرهْ
ويُثِيـرُ فـي قلبـي أنَـاشيـدَ الخُلُـود السَّـاحِـرهْ
تَقِـفُ العَـذَارى الخَـالِـدَاتُ... عَـرَائسُ الشِّعـرِ البَـديـعْ
فـي ضفَتَيْـه، مُـردِّداتٍ نَغْمَـةَ الحُلْـمِ الوَديـعْ

---

(١) الواجمة: الصّامتة خوفاً أو حزناً.
(٢) ميّاسة: تختال في مشيتها. الفردوس: الجنّة.
(٣) القفول: الرّجوع.
(٤) الخضل: النّديّ، المبتلّ.
(٥) مراشف: جمع مرشف، وهو ما يُمتصّ به الماء.

يَلْمُسْــنَ مــن قيثــارةِ الأحْلام أوتــارَ الغَــزَلْ
فَتَفيضُ ألحـانُ الصَّبـابـةِ عَـذْبـةً، مِثْـلَ الأمَـلْ[6]
وتَطِيـرُ بـالبَسَمـاتِ والأنْغـام أجنحـةُ الصَّـدَى
فـي ذَلِكَ الأفُـق الجَمِيـل ، وَذَلـك النّسَـم الرُّخَـا[7]
وَهُنـاكَ حَيْـثُ تُعـانِـقُ البَسَمـاتُ أنْغـامَ الغَـزَلْ
يَتَمـايـل الحُلُـمُ الجميـلُ... كَبَسْمَـةِ القَلْـبِ الثَّمِـلْ[8]

★ ★ ★

هُـوَ جـدولٌ، قَـدْ فجَّـرت ينبـوعَـهُ فِـي مهجَتـي
أَجْفَـانُ فَـاتنـةٍ أَرَتْنِيهـا الحيـاةُ لِشَقْـوَتـي
أجْفَـانُ فَـاتِنَـةٍ تـراءَتْ لـي علـى فَجْـرِ الشَّبـابْ
كَعَـرُوسةٍ مِنْ غَـانياتِ الشِّعْـرِ، فـي شَفَـقِ السَّحَـابْ
ثُـمّ اخْتَفَـتْ خَلْـفَ السَّمـاءِ، وَراءَ هَـاتِيـكَ الغُيُـومْ
حَيْـثُ العَـذَارى الخَـالِـداتُ، يَمِسْـنَ مَـا بيـن النُّجُـومْ[9]
ثُـمَّ اختفَـتْ أوّاه! طـائـرةً بـأجْنِحَـةِ المَنُـونْ[10]
نَحْـوَ السَّمـاءِ، وَهَـا أنـا فـي الأرض تمثَـالُ الشُّجُـونْ[11]
قَـدْ كـان ذلـكَ كُلُّـهُ بـالأمس! بـالأمسِ البَعِيـدْ...
والأمْسُ قَـدْ جَـرَفَتْـهُ مقهـوراً يـدُ المـوتِ العَتِيـدْ
قَد كـانَ ذلـكَ تحْـتَ ظِـلِّ الأمسِ، والمـاضـي الجَمِيـلْ

(٦) الصّبابة: الحبّ والشّوق.
(٧) الرُّخا: الرُّخاء مخفّفة، وهي الرّيح اللّيّنة.
(٨) الثّمل: السّكران، النّشوان: يذكر في هذه الأبيات حبّه القديم ويتحسّر على حبيبه الذي غاب عن عينيه.
(٩) يَمِسْنَ: يَخْتَلْنَ في مشيتهنّ.
(١٠) المنون: الموت.
(١١) الشّجون: الأحزان.

قَـدْ كـان ذلـك فـي شُعَـاعِ البَـدْرِ مِـنْ قَبْـلِ الأُفُــولْ
واليــومَ إذْ زالتْ ظِلالُ الأمسِ عَــنْ زَهَــري البَـدِيــعْ
وَتَجَلْبَـبَ الزَّهـرُ الجَمِيـلُ بظُلمَــةِ اللَّيـــلِ المُــريــعْ[12]
ذَبُلَـتْ مَـرَاشِفُـهُ، فـأصبـحَ ذَاويــاً، نِضْــوَ الْكُلُــومْ[13]
وَهَـوَى لأنَّ اللَّيـــلَ أَسْمَعَــهُ أنــاشيــدَ الوُجُــومْ...[14]

★ ★ ★

بـالأمسِ قَـدْ كـانـتْ حيـاتِـي كـالسَّمـــاءِ البَــاسِمـــهْ
واليـومَ قــد أمسَــتْ كـأعمــاقِ الكُهُــوفِ الوَاجِمـــهْ
إذْ أَصْبَحَ النَّبْـعُ الجَمِيــعُ يَسِيــرُ فــي وادي الأَلَـــمْ
مُتَعَثِّــراً بيــنَ الصُّخـورِ، يَغُـور فـي تِلْــكَ الظُّلَـــمْ
جَفَّــتْ بـــه أَمْــواجُ ذيَّـــاك الغـــرامِ الآفـــلِ[15]
فَتَـدفَّقــتْ فيـــه الدُّمُـــوعُ بصَــوبِهَــا المُتَهَــاطِـلِ[16]
قَــدْ حَجَّبَتْــهُ غُيــومُ أحــزانِ الوُجُــودِ القَــاتِمــهْ[17]
قــد أخْــرَسَتْــهُ مَــرَارَةُ القَلْــبِ التَّعيسِ الظَّـــالمـــهْ
جَمـدتْ علــى شَفَتَيْــهِ أنغــامُ الصَّبَــابــةِ والهــوى[18]
وَقَضَـتْ أَغَـانـي الحُــبِّ، فــي أعمــاقِــهِ لمّــا هـــوى
وَعَـدَتْ بـه الأمــواجُ، جَـامــدةَ الملامِــحِ، قــاتمــهْ
قــد أسكتَتْهَــا لــوعــةُ الرُّوحِ الحــزيــنِ الوَاجِمـــهْ

---

(١٢) تجلبب: لبس الثّوب أو القميص.
(١٣) المراشف: ما يُمتصّ به من الإناء. النّضو: الضّعيف المهزول. الكلوم: الجراح.
(١٤) الوجوم: العبوس والقطوب. يبكي حبّه الضّائع.
(١٥) الآفل: العائد، الرّاجع.
(١٦) الصّوب: المطر الذي لا يؤذي.
(١٧) القاتمة: السّوداء.
(١٨) الصبّابة: شدّة الشّوق.

غَـاضَـتْ أمَــانِيهــا ، وَغَــار بهــا الجَمــالُ السَّــاحِــرُ
فــأصَــابهــا ـ لَهَفــاً عليــه ـ الإكْتِئَــابُ الكَــافِــرُ
فـــي ضفّتيـه عــرائسُ الأشْعــارِ تنصُــبُ مــأتمــا
يُهْــرُقْــنَ فيــه الدَّمْــعَ ، حتَّــى يَلْطُــمَ الدَّمــعُ الدَّمــا
فَيَسِيــلُ ذاك المــدْمَــعُ الدّامـــي لقَلْـــبِ الجـــدول
حيثُ المَــرَارةُ ، والأســى ، بيــن الزُّهــورِ الذُّبَّــلِ[19]
وَيَنُحْــنَ حتّــى يُفْعِــمَ الأفــاقَ صَــوتُ الإنْتِحَــابْ[20]
فتسيــرُ أصــداءُ النِّيــاحَــةِ نحــو أطبــاق الضَّبَــابْ
وهنــاك مــا بيــن الضَّبــابِ الأَقْتَمِ السَّــاجــي الكئيــبْ[21]
تَهْتَــزُّ آلامِــي ، وتختَلِــجُ الكــآبَــةُ ، بــالنَّحيــبْ

السّاحرة

— 91 —

[من الخفيف]

راعهــا منــهُ صَمتُــه ووجُــومُــه — وشَجـاهـا شُحُـوبُـه وسُهـومُـهْ[1]
فـأمَـرَّتْ كفًّــا علــى شَعْــره العــا — ري بـرفــقٍ ، كــأنَّهــا ستُنِيمُــهْ[2]
وأطلّـتْ بـوجههـا البـاسـمِ الحلْـــ — ـــوِ على خـدِّه وقـالـتْ تَلُـومُـهْ :
« أيُّهــا الطَّــائــرُ الكئيــبُ تَغَــرّدْ — إنّ شَـدْوَ الطُّيـورِ حلوٌ رَخِيمُـهْ »[3]

---

(١٩) الذبّل : الذّابلة .
(٢٠) أفعم : ملأ .
(٢١) السّاجي : السّاكن ، الفاتر : يقول : إنّ آلامه قد تحولت من كآبة إلى نحيب وبكاء لأنّ الأيّام التي تمرّ تزيد مأساته يوماً بعد يوم .
(١) السّهوم : تغيّر اللّون من ضعف أو مرض أو ذهول .
(٢) ستنيمه : ستجعله ينام .
(٣) الرّخيم : التّرنيم العذب .

«وأجبْني فدتْكَ نفسيَ ـ ماذا؟ أمُصَابٌ؟ أَمْ ذاك أمرٌ ترومُهْ؟»
«بل هو الفنُّ واكتئابُه، والفنَّـ ـان جمٌّ أحزانُهُ وَهُمُومُهْ»
«أبداً يحملُ الوجودَ بما فيـ ـه كأنْ ليسَ للوجودِ زعيمُهْ:»
«خلِّ عبءَ الحياةِ عنكَ، وَهَيّا بمحيًّا، كالصُّبحِ، طَلْقٍ أديمُهْ»
«فَكثيرٌ عليكَ أن تحْمل الدّنـ ـيا وتمشي بِوقْرِها لا تَريمُهْ»[4]
«والوجودُ العظيم أُقْعِدَ في الما ضي وما أنتَ رَبُّهُ فَتُقِيمُهْ»
«وامش في روضةِ الشَّباب طَروباً فحواليكَ وَرْدُهُ وَكُرومُهْ»
«واتلُ للحُبِّ والحياةِ أغانيـ ـكَ وَخلِّ الشَّقاءَ تدمَى كُلُومُهْ»
«واحتضنِّي، فإنَّني لكَ، حتَّى يتوارى هذا الدُّجَى ونجومُهْ»
«وَدَعِ الحُبَّ يُنشِدُ الشِّعر للّيـ ـلِ، فكَمْ يُسكِرُ الظَّلامَ رَنِيمُهْ..»[5]
«واقطفِ الوردَ من خدودي، وَجيدي وَنُهودي..، وافْعَلْ بِهِ ما تَرُومُهْ»
«إن للْبيتِ لهوَهُ، النَّاعمَ الحلوَ ولِلْكونِ حربُه وَهُمومُهْ»
«وارتشفْ مِنْ فمي الأناشيدَ سَكرَى، فالهوى ساحرُ الدّلالِ، وَسيمُهْ»[6]
«وانسَ فيَّ الحياةَ..، فالعمرُ قفرٌ، مرعبٌ إنْ ذَوَى وجفّ نَعيمُهْ»
«وارْمِ للَّيلِ، والضَّبابِ بعيداً فَنَّكَ العَابسَ، الكثيرَ وُجومُهْ»
«فالهوى، والشَّباب والمرحُ المعـ ـسولُ تشدو أفنانُه وَنَسيمُهْ»[7]
«هي فنُّ الحياةِ، يا شاعري الفنّا نَ بلْ لُبُّ فنِّها وَصَمِيمُهْ»
«تلكَ يا فيلسوفُ، فلسفةُ الكوْ نِ، وَوَحْيُ الوجودِ هذا قَديمُهْ»
«وَهْي انجيليَ الجَمِيلُ، فصدِّقْـ ـه وإلاّ..، فلِلغرامِ جَحِيمُهْ..»
فرماها بنظرةٍ، غَشِيَتْها سَكْرةُ الحبِّ، والأسى وغيومُهْ

---

(٤) الوقر: الحمل الثّقيل. تريمه: تميل به.
(٥) الرّنيم: إرجاع الصّوت والطّرب.
(٦) الارتشاف: الامتصاص.
(٧) الأفنان: الغصون.

وتلاهــــا بِبَسْمَـــــةٍ، رَشَفَتْهَــــــا منـهُ سَكْـرَانـةُ الشَّبـاب، رؤومُــةْ[8]
والتقــتْ عنـدهـا الشّفــاهُ.، وغنّــتْ قُبَـلٌ، أجْفَلَـتْ لـديهـا همــومُــهْ
مَا تـريـدُ الهُمـومُ مـن عـالَـمٍ، ضَـا ءَتْ مَسَـرّاتُـه، وغنَّـتْ نجـومُـهْ؟

★ ★ ★

ليلــةٌ أسبـــلَ الغـــرامُ عليهــــا سِحْـرَهُ النّـاعـمَ الطَّـريــرَ نعيمُــهْ[9]
وَتَغَنَّـى فـــي ظلّهــا الفَـــرَحُ اللاّ هـي فَجَـفَّ الأسـى وَخَـرّ هَشِيمُــهْ
أغْـرَقَ الفيلسـوفُ فلسفــةَ الأحـــ ـزان في بحرها..، فَمَـنْ ذا يلـومُـهْ

★ ★ ★

إنَّ فـــي المــرأةِ الجميلــةِ سِحْــراً عبقـريّـاً، يُـذكِي الأسـى، ويُنيمُــهْ

أبناء الشّيطان

– 92 – [من الخفيف]

أيُّ نــاسٍ هـــذا الورى؟ مـــا أرى إلاّ بــرايــا، شقيَّــةً، مجنــونَــهْ
جبَّلتْهـــا الحيـــاةُ فـــي ثـورة اليـــأ س مِن الشَّـرِّ، كـيْ تُـجِـنَّ جُنُـونَـهْ
فـأقـامـتْ لـه المعـابـدَ، فـي الكــو نِ، وَصَلَّـتْ لـه وشـادتْ حُصُـونَـهْ

★ ★ ★

كـم فتـاةٍ، جميلــةٍ، مـــدحـوهــا وتغنّـــوْا بهـــا لكـــيْ يُسْقِطُـوهـــا
فـإذا صَــانَــتِ الفَضيلــةَ عـــابــو هـا، وإن بـاعـتِ الخَنَـا عبـدوهـا[1]

---

(٨) الرؤوم: العطف والالتزام.
(٩) أسبل: أرسل، أرخى.
(١) الخنا: الفحش.

أَصْبَحَ الحسنُ لعنةً، تهبط الأر ضَ، لِيَغْوَى أبناؤُها وذووها

وشقيٍّ، طافَ المدينةَ، يستجـ ـدي لِيَحْيَا، فخيَّبوه احتقارا

أيقظوا فيه نَزْعةَ الشرِّ، فانقضّ على النَّاسِ فاتكاً جبَّارا

يبذُرَ الرُّعبَ في القلوب، ويُذكِي - حيثما حَلّ - في الجوانحِ نارا

★ ★ ★

ونبيٍّ قد جاء لِلنَّاسِ بالحقِّ، فكالوا له الشَّتائمَ كَيْلا[٢]

وتنادَوْا به: «إلى النَّارِ! فالنَّا رُ بِرُوحِ الخبيثِ أَحْرى وأَوْلى»

ثمّ ألقوْه في اللهيب، وَظَلُّوا يَملأون الوُجودَ رُعباً وهوْلا

★ ★ ★

وَشُعوبٍ ضعيفةٍ، تتلظَّى في جحيمِ الآلامِ عاماً فعاما

والقويُّ الظَّلومُ يَعْصِرُ من آلامها السُّودِ لَذةً وَمُدَاما[٣]

يتحسَّاه ضاحكاً.. لا يراها خُلِقَت في الوجود إلا طعاما![٤]

★ ★ ★

وفتاةٍ حسبتَها معْبَدَ الحبِّ، فألفيتَ قلبَها ماخُورا![٥]

ونبيلٍ وجدتَهُ في ضياءِ الفَجْـ ـرِ قلباً مدَبَّساً شرِّيرا![٦]

وزعيمٍ أجلّه النَّاسُ حتّى ظنَّ في نفسه إلهاً صغيرا!

★ ★ ★

وخبيثٍ، يعيشُ كالفأسِ، هدّا ماً، لِيُعْلي بينَ الخرَابِ بناءَهْ

---

(٢) كال: وزن، أعدّ المكيال، وهنا بمعنى وجّه.

(٣) المدام: الخمرة.

(٤) يتحسّاه: يتجرّعه، يشربه.

(٥) الماخور: بيت الدّعارة.

(٦) مدبّساً: حلواً.

وقمــيءٍ، يُطَـــاولُ الجبَـــلَ العــــا ... لــي، فللّــه مــا أشــدَّ غَبَـــاءَهْ![7]
ودنــيءٍ، تــاريخُــهُ فــي سِجِـــلِّ ... الشَّـرِّ: إفْـكٌ، وَقِحَّـــةٌ، وَدَنَـــاءَهْ[8]

★ ★ ★

كـــان ظنِّـي أنَّ النُّفـــوسَ كبـــارٌ ... فــوجـدتُ النُّفـــوس شيئـــاً حَقيـــرا
لَـــوَّثَتْـــهُ الحيـــاةُ ثـــمّ استمـــرَّتْ ... تبـذُر العَـالَـمَ العَـريـضَ شُـــرورَا
فاحصدوا الشَّوْكَ... يا بنيها وضِجُّـوا ... وامْـــلأوا الأرضَ والسمـــاءَ حُبُـــورا

في ظلّ وادي الموت

– 93 –

[من الخفيف]

نحنُ نمشي، وحـولَنَـا هـاتـه الأكـــ ... ـــوانُ تمشي...، لكِنْ لأيَّـةِ غـايـهْ؟
نحـنُ نشـدو مـع العَصَـافيـر للشّمْـــ ... ـــسِ، وهـذا الرَّبيـعُ ينفُـخُ نَـايـهْ
نحـنُ نَتْلـو روايـةَ الكـونِ للمـو ... تِ ولكــنْ مــاذا خِتَــامُ الرِّوايـــهْ
هكـذا قلـتُ للـرِّيـاحِ فَقَــالـــتْ: ... «سَلْ ضميرَ الوُجودِ: كيف البدايهْ؟»[1]
وتغشّـى الضّبـابُ نفسـي، فصـاحـتْ ... في مَلالٍ، مُرٍّ: «إلـى أيـنَ أمشـي؟»
قلتُ: «سيري مع الحياةِ..» فقالـتْ: ... «ما جنينا، تُرى، من السَّيْـرِ أمسِ؟»
فَتَهـاَفَـتُّ كــالهشيـمِ ـ علــى الأر ... ضِ وناديتُ: أينَ يا قلـبُ رفشـي؟[2]
هــاتِـهِ، علّنــي أَخُـــطُّ ضــريحـــي ... «في سكونِ الدُّجى وأدفُـنُ نفسـي[3]

★ ★ ★

(٧) القميء: الذّليل.
(٨) الإفك: الكذب.
(١) يتساءل الشّاعر ما جدوى هذه الحياة، وما هي الغاية التي تسعى إليها الكواكب في دورانها والرّبيع في إطلالته. أمّا الرّياح فقد دعت الشّاعر إلى العودة إلى بدء الرّواية.
(٢) الهشيم: الضعيف، المكسور.
(٣) الدّجى: الظلام.

هـاتِـهِ فـالظَّلام حـولـي كثيـفٌ   وضبـابُ الأسى مُنيـخٌ عليَّـا..[٤]
وكـؤوسُ الغـرامِ أتـرعَهَـا الفجْـ   ـرُ، ولكنْ تحطَّمَتْ في يَـدَيَّـا...[٥]
والشَّبابُ الغـريـر ولَّـى إلـى المـا   ضـي وخلَّـى النَّحيبَ فـي شَفَتيَّـا،
هـاتـه، يـا فـؤادُ إنَّـا غَـريبـا   نِ، نَصُـوغُ الحيـاةَ فنَّـا شَجِيّـا...

* * *

قـد رقصْنـا مـع الحيـاةِ طـويلاً   وشـدوْنـا مـع الشَّبـابِ سنينـا
وعـدَوْنـا مـع اللَّيـالـي حُفـاةً   «في شِعَـابِ الحيـاةِ حتَّـى دَمينـا
وأكلْنـا التّـرابَ حتَّـى مَلِلنـا   «وَشَـربْنَـا الدُّمـوعَ، حتَّـى رَوينـا
وَنَثَـرْنـا الأحْلامَ والحـبَّ والآلا   مَ واليـأسَ، والأسـى، حيـثُ شِينـا

* * *

ثم ماذا؟ هذا أنـا: صـرتُ في الدُّنْـ   ـيـا بعيـداً عـن لهـوِهَـا وغِنَـاهـا
فـي ظلامِ الفَنَـاءِ، أدفُـنُ أيّـا   مي، ولا أستطيـعُ حتّـى بكـاهـا؟[٦]
وزهـورُ الحيـاة تهـوِي، بِصَمْـتٍ   «محـزنٍ، مُضْجِـرٍ، على قـدميَّـا،
جَـفَّ سِحْـرُ الحيـاةِ، يـا قلبـيَ البـا   كي، «فهيّا، نُجَرِّبِ الموتَ...، هيّا...!»[٧]

---

(٤) منيخ: هنا بمعنى مخيِّم، والأصل بَرَكَ وأقام.
(٥) أترعها: ملأها.
(٦) بكاها: بكاءها.
(٧) في الأبيات الأخيرة اعتراف بأنّ الموت هو المدخل الحقيقي لمعرفة سرّ هذا الكون الرّهيب لأنّ أيّام الطّفولة، والشّباب وما تحمله من ذكريات عذبة ليست سوى حلم سريع.

الزنبقة الذّاوية

– 94 –

[من المتقارب]

أزَنْبَقَةَ السفْحِ ؟ مَا لي أراكِ تَعَانِقُكِ اللَّوْعَةُ القَاسِيَهْ ؟

أفي قَلْبكِ الغضّ صوتُ اللهيب، يرتِّل أُنْشُودَةَ الهاويهْ ؟[1]

أأَسْمَعَكِ اللَّيلُ نَدْبَ القُلوبِ أأَرْشَفَكِ الفَجْرُ كأسَ الأسى ؟[2]

أصَبَّ عليكِ شُعَاعُ الغروبِ نجيعَ الحياةِ، وَدَمْعَ المسا

أأوقَفَكِ الدَّهْرُ حيث يُفجِّـ ـرُ نَوْحُ الحياةِ صُدُوعَ الصُّدورْ ؟[3]

وينبثقُ اللَّيْلُ طيفاً، كئيباً رهيباً، ويخفقُ حُزْنُ الدهورْ ؟

إذا أضْجَرَتْكِ أغاني الظَّلامِ فَقَدْ عَذَّبَتْني أغَاني الوُجومْ[4]

وإنْ هَجَرَتْكِ بناتُ الغيومِ فقد عَانَقَتْني بناتُ الجَحيمْ[5]

وإنْ سَكَبَ الدَّهْرُ في مِسمعيْكِ نَحيبَ الدُّجَى، وأنينَ الأملْ

فَقَدْ أجَّجَ الدَّهْرُ في مهجتي شُواظاً مِنَ الحزَنِ المُشْتَعِلْ[6]

وإنْ أرشفتْكِ شِفَاهُ الحياةِ رُضابَ الأسى، وَرَحيقَ الألمْ[7]

فإنِّي تجرّعتُ من كفِّها كُؤوساً، مؤجَّجةً، تَضْطَرِمْ[8]

★ ★ ★

أصِيخي! فَمَا بَيْنَ أعشارِ قلبي يرفُّ صَدَى نَوْحِكِ الخافتِ[9]

---

(١) الغضّ: الناعم، الطّريّ.

(٢) أرشف: سقى، ورشف: مصّ بشفتيه.

(٣) صدوع الصدور: ما بداخلها من أسرار.

(٤) الوجوم: الامتناع عن الكلام من شدّة الحزن أو غيره.

(٥) بنات الغيوم: كناية عن الأمطار.

(٦) أجّج: ألهب. شواظ: لهب لا دخان فيه.

(٧) أرْشَفَتكَ: سَقَتكَ. رضاب: ريق الحبيب. رحيق: خمر صافية.

(٨) مؤججة: ملتهبة.

(٩) أصاخ: استمع. العِشر: القطعة من كلّ شيء.

مُعيـداً علـى مُهجتـي بحَفِيـفِ جَنَاحَيْـهِ صَـوْتَ الأسـى المـائـتِ(١٠)
وَقَـد أتـرعَ اللّيـلُ بـالحُـبِّ كَـأسـي وَشَعْشَعهـا بِلَهيـبِ الحيـاةْ(١١)
وَجَـرّعنـي مِـنْ ثُمـالاتـه مـرارةَ حُـزْنٍ ، تُـذيبُ الصّفـاةْ(١٢)
إلـيّ! فَقَـدْ وَحّـدَتْ بيننـا قَسَـاوةُ هـذا الزّمـان الظّلُـومْ
فقـد فَجّـرتْ فـيَّ هـذي الكُلـومَ كما فجّـرتْ فيـكِ تلـكَ الكُلـومْ(١٣)

★ ★ ★

وإنْ جَـرَفَتْنِـي أكـفُّ المنـونِ إلـى اللّحْـدِ ، سَحَقْتـكِ الخطـوبْ
فَحُـزْنـي وَحُـزْنُـكِ لا يَبْـرَحَـانِ أليفيْـنِ رَغْـمَ الزّمـانِ العصيـبْ
وتحـت رواق الظّلامِ الكئيـبِ إذا شَمَـلَ الكـونَ روحُ السّحَـرْ(١٤)
سيُسْمَـعُ صـوتٌ، كَلَحْـنٍ شجـيٍّ تطـايَـرَ مِـنْ خَفَقَـاتِ الوَتَـرْ(١٥)
يُـرَدِّدُهُ حُـزْنُنـا فـي سكـونِ عَلـى قَبْـرِنـا ، الصّـامـتِ المطمئـنْ
فَنَـرقُـد تَحْـتَ التّـرابِ الأصـمِّ جميعـاً علـى نَغَمَـاتِ الحَـزَنْ

صفحة من كتاب الدّموع

[من المتدارك] — 95 —

غَنّـاهُ الأمْسُ، وأطْـرَبَـهُ وَشَجَـاهُ اليومُ، فَمَـا غَـدُهُ؟
قَدْ كان له قلـبٌ، كـالطِّفْـلِ ، يـدُ الأحلامِ تُهَـدْهِـدُهُ(١)

(١٠) المهجة: الرّوح.
(١١) أترع: ملأ.
(١٢) الثّمالة: بقيّة الشّيء في أسفل الإناء . الصّفاة: الصّخرة.
(١٣) الكلوم: الجروح.
(١٤) رواق: مقدّم الشّيء وجانبه.
(١٥) الشّجيّ: الحزين.
(١) تهدهده: تحرّكه.

مُذْ كـان لـه مَلَـكُ فـي الكـون	جَميـلُ الطَلْعَـة، يَعْبُـدُهُ
فـي جَوْفِ اللَّيـلِ، يُنَـاجيـهِ	وَأَمَـامَ الفَجْـرِ، يُمَجِّـدُهُ
وعلـى الهضبـاتِ، يغنِّيـه	آيـاتِ الحُـبِّ، ويُنشِـدُهُ
لـولاه لمـا عـذُبَـتْ فـي الكـون مَصَـادِرُه وَمَـوارِدُهُ
وَلَمـا فَـاضَـتْ بـالشِّعْـرِ الحـيِّ مَشَـاعِـرُه وقَصَـائـدُهُ
تَمْشـي فـي الغـابِ فتَتْبَعـه	أَفْـراحُ الحُـبِّ، وتَنْشُـدُهُ
ويـرى الآفـاقَ فيُبْصِـرُهـا	زُمـراً فـي النُّـور، تُـراصِـدُهُ[2]
ويـرى الأطيـارَ، فَيَحْسَبُهـا	أحلامَ الحُـبِّ تُغَـرِّدُهُ
ويـرى الأَزهـارَ، فَيَحْسَبُهـا	بَسمـاتِ الحُـبِّ تُـوارِدُهُ[3]
فَيَخَـالُ الكـونَ ينـاجيـهِ!	وَجَمـالَ العَـالَـمِ يُسْعِـدُهُ!
وَنُجـومَ اللَّيـل تُضَـاحِكُـهُ!	وَنَسِيـمَ الغَـابِ يُطَـارِدُهُ!
وَيَخَـالُ الوَرْدَ يـداعِبُـهُ	فـرحـاً، فتعـابثـه يَـدُهُ!...
ويـرى اليُنْبـوعَ، ونَظـرتَـهُ،	وَنَسِيـمُ الصُّبْـحِ يُجَعِّـدُهُ
وخـريـرُ المـاءِ لَـهُ نَغَـمٌ	نَسَمَـاتُ الغَـابِ تُـرَدِّدُه
ويرى الأعشـابَ وَقَـدْ سَمَقَـتْ	بَيْـنَ الأشْجَـارِ تُشَـاهِـدُهُ[4]
ونِطـاقُ الطِّفْـلِ تُنَمِّقُهـا	فَيَجُـلُّ «الحُـبَّ» وَيَحْمـدُهُ[5]

★ ★ ★

يـا لَلأَيَّـامِ! فَكَـمْ سَـرَّتْ	قلْبـاً فـي النّـاسِ لِتُكْمِـدَهُ[6]
هـيَ مِثْـلُ العَـاهِـرِ، عَـاشِقُهـا	تسقيـه الخمـرَ... وَتَطْـرُدُهُ!
يُعْطيـكَ اليـومُ حلاوتهـا	كـالشَّهْـدِ، لَيَسْلُبَهَـا غَـدُهُ!

★ ★ ★

---

(٢) تراصده: تراقبه.

(٣) توادده: تتودّد إليه وتقترب منه.

(٤) سمق: ارتفع وطال.

(٥) النّطاق: ما يشد به الوسط من ثوب أو جلد أو نحوهما.

(٦) الكمد: الحزن.

بـالأمسِ يَعَـانِقُهـا فَـرحـاً | ويضـاجعُهـا، فتُـوَسِّـدُهُ[٧]
واليـومَ، يُسـايِـرُهـا شَبَحـاً | أضنـاهُ الحـزنُ، وَنَكّـدَهُ[٨]
يتلـو فـي الغَـابِ مَـرَاثِيَـه | وَجُـذُوعُ السَّـرْوِ تُسَـانِـدهُ
وَيُمَـاشـي النَّـاسَ، ومـا أَحَـدٌ | مِنْهُـمْ يَشْجيـهِ تَفَـرُّدُهُ
فـي ليـلِ الوَحْشَـةِ مسْـراهُ | وَبِكَهْـفِ الوَحْدَةِ مـرقَـدُهُ[٩]
أصـواتُ الأمسِ تُعَـذِّبـه | وخيـالُ المـوتِ يُهَـدِّدُهُ

★ ★ ★

بالأمسِ لَـهُ شفَـقٌ فـي الكـون | يضـيءُ الأفْـقَ تـورُّدُهُ
واليـومَ، لَقَـدْ غَشَّـاهُ اللَّيـلُ | فمـا فـي العـالـم يُسعـدهُ
غنَّـاه الأمسُ وَأَطْـرَبَـهُ | وَشَجَـاهُ اليَـوْمُ، فَمـا غَـدُهُ؟

إلى الله

— 96 —

تعرض لقلب الإنسان الذي لا تنتهي أطواره أزمات نفسية ثائرة، يعصف فيها الألم والقنوط بكل حقائق الحياة، وتتزعزع معها كل قواعد الإيمان والحق والجمال، فيشعر المرء كأنّما انبت ما بينه وبين الكائنات من وشائج الرحم والقربى، فأصبح غريباً في هاته الدنيا الغريبة في نفسه، وكأنما الحياة فن من العبث المرعب المملّ الذي لا يجدر بالعطف ولا بالبقاء. ولكن من رحمة الأقدار أنها حال عارضة لا تدوم إلا كما تدوم عاصفة البحر. تكدر صفاءه، وتحيل جماله الى شناعة، وأنغامه إلى عويل، وانسجامه الى فوضى، ثم تقر العاصفة وتسكن ويرجع البحر إلى زرقته الصافية، وألحانه المتّزنة، وجماله

---

(٧) يضاجعها: ينام معها.
(٨) النّكد: صعوبة العيش.
(٩) المسرى: السّير ليلاً.

الساحر الأبدي. وتحت تأثير هذ الحالة النفسية الجامحة نظمت القصيد التالي، ونفسي سكرى بأحزانها الدامية وآلامها المتشحة باللهيب.

[من الخفيف]

يَا إلهَ الوُجودِ! هٰذي جِرَاحٌ في فؤادي، تَشْكُو إليك الدَّواهي[1]
هَذِهِ زفرةٌ يُصَعِّدها الهمّ إلى مَسْمَعِ الفَضَاء السَّاهي[2]
هَذِهِ مُهْجَةُ الشَّقَاءِ تُنَاجيكَ فَهَلْ أنْتَ سَامعٌ يا إلٰهي؟[3]
أنتَ أَنزلْتَني إلى ظُلْمَةِ الأرضِ وَقَدْ كنتُ في صباحٍ زَاهِ
كالشُّعاع الجميلِ، أسْبَحُ في الأفْقِ وأُصْغِي إلى خريرِ المياهِ
وأغنِّي بينَ اليَنابيعِ للفجرِ وأشدو كالبلبلِ التَّيَّاهِ
أنتَ أوصلتَني إلى سُبُلِ الدُّنْيا وهذي كثيرةُ الإشْتِبَاهِ
ثُمَّ خلَّفْتَني وحيداً، فريداً بين داعٍ من الرِّياحِ وَنَاهِ
أنتَ أوقفتني على لُجَّة الحُزْنِ وَجَرَّعتني مَرَارَةَ «آهِ!»[4]
أنتَ أنشأتني غريباً بنفسي بين قومي، في نَشْوَتي وانتباهي
أنتَ كرّهْتَني الحياةَ ومَا فيها وحبَّبْتَني جُمَودَ السَّاهي
أنتَ جبَّلْتَ بين جنْبيّ قلباً سَرْمَديّ الشُّعورِ والإنتباهِ
أنتَ عذّبتني بِدِقَّة حِسِّي وتعقَّبْتَني بكُلِّ الدَّواهي
بالأسى، بالسَّقام، بالهمِّ، بالوحشة، باليأسِ، بالشَّقا المتناهي
بالمنايا تَغْتال أشهى أمانيَّ وتُذوي محاجري، وَشِفاهي
فإذا مَنْ أُحِبُّ حُفْنةُ تُرْبٍ تافهٍ، مِنْ تَرائبٍ وَجِبَاهِ

---

(١) الدّواهي: المصائب.
(٢) السّاهي: الغافل عن الأمر.
(٣) المهجة: الرّوح. ومهجة الشّقاء: يقصد بها الروح الشّقيّة المعذبة.
(٤) لجّة الحزن: معظمه.

وإذا فتنـةُ الحيـاة وَسِحْـرُ الكـونِ ضَـرْبٌ مـن الغَمـام الزّاهـي[5]
يتلاشى فـوق الخضَـمِّ: ويبقـى الـ ـيمُّ كالعهدِ مُزْبـدَ الأمـواه...[6]
يا إله الوجـود! مـا لَـكَ لا تـرثـي لِحُـزْنِ المعـذَّبِ الأوّاه؟
قد تـأوّهـتُ فـي سكـون اللّيـالـي ثُـمّ أطبقتُ فـي الصَّباحِ شِفـاهـي
وَتَغَـزّلْـتُ بـالحيـاةِ، وبـالحـ ـبِّ، وغنّيتُ كـالسَّعيـدِ اللاّهـي
وَزَرَعْـتُ الأحلامَ فـي قلبـيَ الدّا مـي، وحـوّطْتُهَـا بكـلِّ انتبـاهـي
ثُـمَّ لمـا حَصَـدْتُ لَـمْ أجـنِ إلا الشّوكَ، مـا تُـرى فعلـتُ؟ إلٰهـي!

★ ★ ★

يَـا رِيـاحَ الوجـود! سيـري بعنـفٍ وتغنّـي بِصَـوْتِـكِ الأوّاهِ
وانفحيني مِنْ رُوحِكِ الفَخْم مـا يُبْـ ـلِغُ صَـوْتـي آذَانَ هـذا الإلٰـهِ
فهْو يُصغي إلـى القـويِّ، ولا يُصـ ـغي لصَوتٍ بين العواصفِ واهِ[7]
وانشُـري الوَرْدَ للثُّلـوجِ بـدَاداً واصعقـي كـلّ بُلبـلٍ تيَّـاه[8]
فـالـوجـودُ الشقـيُّ غيـرُ جـديـرٍ بـالأغـانـي، وبـالجمـال الزّاهـي
واسحقي الكائناتِ كوْنـاً بِكَـوْنٍ، قبـل أن تنتهـي أذلّ تَنَـاهِ[9]
فـالإلٰـهُ العظيـمُ لـم يخلُـقِ الدّنيـا سـوى للفنـاءِ تَحْـتَ الدّواهـي

★ ★ ★

يا ضميرَ الوجود! يـا عـالـمَ الأروا حِ! يـا أيُّهـا الفضـاءُ السَّـاهـي!
يا خضَـمَّ الحيـاةِ، يَـزْخَـرُ فـي الآ فاق في التُّرْبِ، فـي قـرارِ الميـاه!

---

(٥) الزّاهي: الجميل المشرق.
(٦) الخضمّ واليمّ: البحر. الأمواه: جمع ماء.
يصوّر الحياة وكأنّها بحر من المصائب، ويشبّه أفراح الحياة بغيوم واهية سرعان ما تبدّدها الرّياح في كلّ اتّجاه.
(٧) واهٍ: ضعيف.
(٨) البداد: النّصيب من كلّ شيء.
(٩) التّناهي: النّهاية.

خبِّرونـي، هـل للـورى مـن إلٰـهٍ، راحـمٍ - مِثْـلُ زَعْمِهِـمْ - أوّاهِ[10]
يَخْلُـقُ النّـاسَ بـاسمـاً، ويـواسيـ ـهم، ويـرنـو لهـم بعطـفٍ إلٰهـي
ويرى في وجودهِـمْ رُوحَـهُ السّـ ـامي، وآيـاتِ فنّـهِ المتنـاهـي
إنني لـم أجِـدْهُ فـي هـاتـه الدُّنـ ـيا، فَهَلْ خَلْفَ أفْقِها مـن إلٰـهٍ؟!
مـا الذي قَـد أتيـتَ يـا قلبـيَ البا كي؟! وماذا قد قُلْتِهِ يا شفاهـي[11]
يـا إلٰهـي! قـد أنْطَـقَ الهـمُّ قلبـي بالذي كان...، فاغتفـر يـا إلٰهـي!
قَـدَمُ اليـأسِ والكـآبـةِ داسـتْ قلبيَ المتْعَـبَ، الغـريـبَ، الواهـي
فتشظّـى، وتلـك بعـضُ شَظَـايَـا هُ...، فَسَامِحْ قُنُوطَه المتنـاهـي[12]
فَهْـوَ يـا ربِّ مَعْبَـدُ الحـقِّ، والإيمانِ والنُّـورِ والنَّقـاءِ الإلٰهي
وَهْوَ نايُ الجمالِ، والحبِّ، والأحْـ ـلامِ، لكنْ قد حَطَّمَتْهُ الدّواهـي

قالت الأيّام

– 97 – [من السّريع]

يَـا أيُّهـا السَّـادِرُ فـي غَيِّـهِ![1]
يـا وَاقِفـاً فَـوْقَ حُطَـامِ الجِبَـاهْ!
مهلاً! ففـي أنّـاتِ مـن دُسْتَهُـمْ
صوتٌ رهيبٌ سَوفَ يَدْوِي صَدَاهْ...



(١٠) في هذا البيت وفي الأبيات اللاحقة يبلغ الشّاعر أقصى درجات الشّكّ، وقد أخذ البعض على الشّاعر أن يبلغ به شكّه إلى هذا الحدّ.
(١١) لقد تنبّه الشّاعر إلى ما قاله سابقاً فإذا به يستدرك معتذراً، والسّبب في ذلك يعود إلى ما يخالج نفسه من مشاعر متناقضة تراوح بين الشّكّ واليقين.
(١٢) تشظّى: تفرّق وانتشر. القنوط: اليأس. إنّه اعتذار رقيق ومقبول.
(١) السّادر: المتحيّر. الغيّ: الضّلال.

لا تـأمنـنَّ الدَّهْـرَ، إمّـا غَفَـا
في كهفِـهِ الدَّاجـي، وطـالـتْ رُؤاه[٢]
فـإنْ قَضَـى اليـومُ ومـا قَبْلَـهُ
ففـي الغـدِ الحـيِّ صَبَـاحُ الحَيـاهْ

★ ★ ★

يـا أيُّهـا الجبَّـارُ! لا تـزدري[٣]
فـالحـقُّ جبَّـارٌ، طـويـلُ الأنـاهْ[٤]
يَغْفَـى، وفـي أجْفَـانِـه يقْظَـةٌ
تـرنـو إلـى الفَجْـرِ الذي لا تَـرَاهْ...

سِرّ النّهوض

– 98 – [من البسيط]

لا يَنْهَضُ الشَّعبُ إلاّ حينَ يَـدْفَعُـهُ ... عَزْمُ الحياةِ، إذا ما استيقظـتْ فيـهِ
والحَبُّ يخترقُ الغَبْـراءَ، مُنْـدفعـاً ... إلى السَّمـاءِ، إذا هبَّـتْ تناديـهِ[١]
والقيدُ يألَفُـهُ الأمـواتُ، مـا لَبِثـوا ... أمَّـا الحيـاةُ فيُبْليهـا وتبْليـهِ[٢]

---

(٢) رؤاه: أحلامه. أي، لا بدّ للمظلوم أن يأتي يومه.
(٣) تزدري: تحتقر.
(٤) الأناة: الصّبر. أي، إذا كان المظلوم يسكت، فلا يطالب بحقّه، فإنّ العدالة والحقّ سيأخذان مجراهما آجلاً أم عاجلاً.
(١) الغبراء: الأرض.
(٢) يقول: إنّ الحياة هي معركة لا هوادة فيها بين الحياة وأعبائها.



القسم الثالث

رسائل (★)

(★) أخذنا هذه الرسائل عن كتاب محمد الحليوي: رسائل الشابي، وهي تقتصر على الرسائل التي أرسلها الشابي إلى الحليوي.



الرسالة الاولى

في ٢٩ محرم الحرام سنة ١٣٤٨ (*)

أخي الفاضل وصديقي الحميم سيدي محمد الحليوي

تحية صديق ومودة اخ

وبعد فقد عزم الاخ سعيد ابو بكر على أن يتولى ادارة وتحرير مجلة « الصادرات والواردات » لكي ينقذها من ادارتها العاجزة الاولى، ولذلك فقد أخذ يأخذ من أصدقائه طرائفهم الادبية اذ انه يريد ان يجعل مشربها أدبياً محضاً ولذا فاني أزفّ اليك هاته البشارة لكي توجه لي بأسرع ما في جهدك قصيداً جميلاً أو كتابة شيّقة مما عودنا قلمك الجميل. أمّا لو سألتني رأيي فإني أود لو نفذت ما كنت عزمت عليه من جعل عنوان أكبر خاصّ بك تنشر تحته آثارك الادبية والفلسفية.

وقد كنت أودّ لو حضر مسامرتي الاستاذ اسكندر شلفون حتى تسمع اللهجة الخطابية الرائعة والروح التمثيلية الرائقة والذوق الساحر والفن الصحيح.

لقد وددت ذلك وانتظرت ولكن أبى الله الا ان لا يكون ذلك وليس لي بعد ما ذكر ما أذكره لك وانا عجول إلاّ أن مقالك الذي ادرجته بالنهضة تحت عنوان « فكرة تختمر »[1] قد نشرت أكثره مجلة الرّابطة الشرقية وهذا ما يحدوني الى أن

(*) ٧ جويلية ١٩٢٩.

أستحثك لشحذ عزمك على نشر موحياتك وأن تعطي لنفسك ما لها من حرية فكرية وحظ فنّي في هذا الوجود.

اما الشيخ... فقد أحدثت تلك الرسالة القيروانية في نفسه من الرجة أعنف مما احدثت بنوادي القيروان ومجتمعاتها وما زالت تأخذه الراجفة تتبعها الرادفة حتى نشرت النهضة مقاله الاخير فكانت خير ما نفس على نفسه الحرجة وقلبه المغموم وان كنت قد عنفته كثيرا على كتابة مقاله بمثل ذلك الافحاش السافل واللهجة الحانقة، فما زاد الا عتوّاً واصراراً.

ولما تلوت عليه كلمتك التي طلبت مني ابلاغها اليه اجاب بأن مقالة النهضة ستقر ذلك الزلزال وتأخذ مكانتها من النفوس.

وليس بمستطاعي أن أفيك حق الشكر لما قمت وتقوم به من الاعمال نحوي وانما حسبي أن أقول حيا الله فيك تلك الاريحية العالية وتلك الاخوة الصادقة والولاء الجميل ودمت للادب السامي روحه الفياضة العاملة وقلبه النابض الخفاق ولاخيكم المخلص.

بلقاسم الشابي

حاشية:

أرجو العفو ان لم أتبسط معكم في الحديث ولم أطارحكم خواطر الأدب فان لي الان من الاعمال المتوفرة والمشاغل المتراكمة ما لا أستطيع معه كتابة الكلمات.

ولا أزيدكم حثا لتلبية ذلك الطلب الذي أسلفته وعسى ان لا تكون عقباه كعقبى ذلك الكتاب الذي وعدت بتوجيهه الي لمّا كنا ببني خلاد ثم أخلفت أو نسيت؟ لست أدري.

الرسالة الثانية

في صفر الخير سنة ١٣٤٨ (*)

حضرة الاديب المجدد الاخ الفاضل الشيخ سيدي محمد الحليوي.

تحية عاطرة وسلاما جميلا.

وبعد فقد وددت لو كاتبتك بما أريد ولكن هو القدر يأبى الا أن ينفذ احكامه فقد شاء ان لا أكاتبك الا لماما رغم لهفي الى مراسلتك والاستمتاع بما يمليه قلبك وعقلك ويخطه يراعك الحر. وشاء أن لا أرسلك الا بما لا تطمئن اليه نفسي من الأبحاث الادبية التي هي خير ما تمليه علينا الحياة.

لقد ذهبت منذ ايام بناء على رغبتكم الى مكتبة الامين وسألته عن كتاب « ساعات بين الكتب » للأستاذ الجليل العقاد فنبأني انه لم يتصل به لحد الآن ولكنه سيأتي عما قريب ثم ذهبت أول أمس التاريخ الى مكتبة الثميني وسألته عن الكتاب فألفيته عنده وعلى ذلك رغبت اليه أن يوجه اليكم نسخة يستخلص ثمنها عند الوصول فلبى الطلب وأخبرني انه سيوجهها اليكم أمس (التاريخ).

وقد اطلعت على الكتاب قبل أن تكاتبوني في شأنه اطلعني عليه الاخ الاديب الفاضل محمود خروف فاستعرته منه وتمليت بما فيه من صور الفن ومثل الحياة ما لا ينتج الا عن ذهن جبار ولود، وعبقرية نادرة خارقة. أما لغة الكتاب وأسلوبه فهو الأسلوب القيم الجميل الذي لم يكتب العقاد فيما سلف خيرا منه - على رأيي طبعا.

وقد كتب العقاد فيما كتب عن « شكسبير » كتابة لو علم شكسبير أنها ستكتب عنه لمجد نفسه الف مرة، كتب عنه كتابة لا أحسب أنها كتبت عن بشري من قبل، فقد صور العقاد فيها شكسبير بصورة الاهية عليها جلال الالوهية في جدها

(*) ٣٠ جويلية ١٩٢٩.

ولعبها، في حزنها وفرحها، في بؤسها وسعادتها. وماذا يمكنني أن اقول؟ ان العقاد لم يجعل من شكسبير إلا إلهـاً صغيراً بشرياً يخلق في دنياه الصغيرة صوراً حية كاملة من صور الانسانية المتباينة. صورا ملأى بمعاني الحياة اللاعبة العابثة، والجادة العابسة. والشاعرة المفكرة. والمجنونة التائهة.

والى هنا أقف القلم لأن المجال حرج والزمان قصير. فأنا الآن على قدم السفر اذ أنني سأغادر الحاضرة الى بلد زغوان بعد الزوال ولدي من مشاغل العمل ومتاعب السفر ما ينوء به الجليد العتيد. لقد أحببت أن اكتب لك كما اشاء فأرسل النفس على سجيتها والقلم على طبعه ولكن مشيئة الدهر فوق ذلك فانا وحقك أختلس الوقت اختلاساً لأحرر لك هذه الكلمات ولعلّي أجد بعد الآن سعة من الوقت ومنتدحاً مما أنا فيه فأحدثك بما أود وكما أود. أما الآن فاعذر أخاك فإنني والله لفى شغل ما لي طاقة بمثله ولا لي جلد على ما هو دونه فكيف به في هذا اليوم.

يجب على الذهاب الى «حفار الرسوم» لآخذ منه حفرية الكتـــاب وان اذهب الى السيد زين العابدين السنوسي لأصحح الكراس الاخير من الكتاب تصحيحا أوليا ثم لأضع جدول الخطأ والصواب للكتاب كله!... الآن! نعم الآن ثم لأسمع المقدمة التي لا أدري هل أتمها ام لا ثم لأصاحب الاخ الشاعر الرقيق مصطفى خريف الى زين العابدين وبعض أصحاب المكاتب لأعلمهم أنه هو الذي يجب ان يتسلموا منه النسخ التي لم نعين مقدارها لحد الآن ولكننا سنعينه بعد ان سمحت هاته المنطقة الضيقة من الزمن التي لا زالت تتقلص وتنكمش حتى اكاد اختنق من ضيقها وحرجها الى غير ذلك من الاعمال الضرورية التي لا غنية للمسافر عنها. كل ذلك ـ إن لم أنس أشياء أخرى ـ يجب علي القيام بها وحدي في هاته الساعات القليلة الباقية!

ماذا يمكنني أن ازيدك؟ ليس لي الا ان أقول اسال لاخيك العون فيما يحمل من اعباء تنوء بحملها الجبال.

بلغ تحياتي الى كل أديب مخلص لقلبه وأدبه ومقدر لما يجب على الاديب نحو ابناء العالم ولكم تحيات قلب ملؤه الود الأبدي والاخاء الخالد.

اخوكم بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي

ملحوظة:

سيحضر الكتاب بعد أربعة ايام على الأقل وبعد أسبوع على الأكثر وقد كنت عزمت على أن أبقى بالحاضرة الى أن أتمه ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان فقد جاءني الى الحاضرة أول أمس (التاريخ) من أعلمني بان الوالد مصاب بمرض ألزمه الفراش وانه غاضب علي لأنني أتممت أعمال الامتحان ولم أزره وهو في مرضه ولهذا فإني تركت الكتاب وعزمت على أن أغادر الحاضرة واترك الكتاب لطباعه لولا ان تكفل الاخ مصطفى خريف بان يقوم عليه في بقية الاعمال وهي لا تتجاوز مراقبة تسفير الكتاب وحمله بعد اتمامه الى محله يعلمني بذلك ليوجه النسخ الى توزر اذ أنني سأكون بعد أسبوع او اكثر بقليل بتوزر مع الاهل ان شاء الله. عفوا فليس لدي متسع لاكاتبك اكثر مما كتبت.

الرسالة الثالثة

في ٢٥ صفر سنة ١٣٤٨ (*)

أخي الفاضل

تحية وشكراً

وبعد فإنني أود أن أحادثك وأناجيك وأصبو لأن أرافقك وأماشيك في تلك السبل التي جال فيها يراعك ولكن بماذا؟ أبهذا القلب الذي كسرته صخور الحياة؟ ام بهذه النفس التي مزقتها أعاصير الوجود؟ ام بهذا الفكر الواهن المخبول؟ أم بهذا الوجدان التائه في شعاب الغد الغامض المريب.

آه! أيها الاخ، إن الحياة لأهول من أن تتحمل على مثل هذه الحال السيئة الاليمة وإن خضمّ الزمان لأرهب من أن يتقحمه المرء وهو كما أراه جبار في تمرده قوي في جبروته وطغيانه.

ها هي الاقدار العتية تعبث بنا نحن البشر الضعاف وترمينا بما لا نستطيع احتماله ولا نملك اعتزاله وأنى لنا ذلك ونحن أهداف اللجج الثائرة وأعشاب السيول الهادرة.

لقد ضقت ذرعا بالحياة يا صاحبي ولا أخالني، ان ظلت الحياة على ما هي عليه اليوم الا ذاهبا الى القبر أو في سبيل الجنون. أنني احاول أن أخط اليك ما تحسه نفسي من مرارة الأوجاع وهموم الزمن الجائر فلا استطيع الا مثل هذه الكلمات المتقطعة التي لا تكاد تبين عما أكابد من غصص العيش وبأسائه ولا تعبر عما يساورني من الافكار المدلهمة كقطع الليل المظلم لا أذكر أن قد مرت على فيما سلف من عمري أيام أنكد من هذه الايام أو أشد.

في الصباح أجلس الى ابي الذي أنهكه المرض وأضناه وأرمضه الالم واذواه

(*) أوت ١٩٢٩.

وطرفي الى وجهه الشاحب العليل والى جفنه الذاهل الذي أذبله الالم وأذوته الحمى والى جسمه المتهدم الواهن وسمعي الى نفسه المتقطع وتأوهاته المتتابعة وعهدي به ذلك الرجل الجليد فما أراه كذلك الا وتملأ صدري الزفرات وتملأ عيني العبرات وتنطلق من قلبي المثلوم وصدري المكلوم أنات القهر ودعوات الرجاء الى اله الحياة والموت وباسط النور والظلمات أن يشفي هذا الاب الواهي الطريح، وأن يشفق على صبيته الصغار الذين ما زالوا واقفين بباب الحياة واظل كذلك بين لب شارد وعقل ذاهب ونفس شقية معذبة وقلب مقسم بين هموم الحياة واحزانها الى أن يأتي أخ لي صغير أو أخية لم تفقه بعد لغة الوجوه. فما تزال تقلب طرفها الحائر المتسائل بين وجهي الشاحب الكئيب ووجه والدي المتعـوب ثم تذهب من حيث جاءت وفي قلبها الصغير خواطر وهواجس وآلام وأحلام الله أعلم بمعناها الغامض وبأثرها البعيد. ومن حين لآخر يرفع والدي بصره إليَّ فلا يسترجعه الا مترعا بالدمع أو مخضلا بالعبرات... تلك صورة مقتضبة من حياتي البائسة الدامية أرسمها اليك بقلم لا أكاد أجيد مسكه.

آه! رب! أشقيتني وما أشقيت أحدا من عبيدك!

رب! عذبتني وأنا عبدك الذي لم يجدف باسمك ولا كفر بنعماك!

رب! رحماك فان عبء القدر عليَّ شديد.

تلك كلمات كثيراً ما رددها لساني في ظلام الليل وقلبي في ضوء النهار كلما خلوت الى نفسي وانفردت بأحزاني المخضبة بدماء القلوب.

إني لأسألك يا صديقي أن تضرع معي الى باريء الحياة أن لا يفجعنا في هذا الوالد الكريم الذي لا أستطيع أن أصور لك عطفه على أبنائه وعطفه على أبناء البشر.

ردد معي يا صديقي دعوات الى الله وصل بقلبك الطاهر مع هذا القلب الكسير الى ذلك الذي يسمع خفقات الأرواح ووجيب السرائر لعله يلبي دعواتنا التي نرفعها اليه.

لو رأيت يا أخي منظر أخواني الصغار حينما يلتئمون حلقة واحدة ويهتفون بصوت واحد وبقلوب مخلصة: ربنا أشف ابانا لعلمت كيف تجيش النفس وتطغى العواطف وتسيل الدموع ولأدركت أن الانسانية البريئة الطاهرة انما هي في اطفال البشر.

ماذا تريد أن احدثك يا أخي بعد هذه الآلام اللافحة التي يتوهج من خلالها جحيم البشر؟ أتريد ان أحدثك بأسرار «نفسي الكبيرة الملهمة» - كما شئت أن تقول -؟ ان هذه «النفس» يا صاحبي لأهون والله من ذرة رمل في أكف الرياح. وان هذه «النفس» لأحقر من تلك البعوضة المغتبطة بطنينها بين المزابل وان هذه النفس لأشقى بما وضع الله فيها من شعور من كل أبناء الحياة! ان الذرة من الرمل لتعبث بها ما شاءت الرياح ثم تقرّ العاصفة وتسكن فاذا بها ذرة هادئة ساكنة بين ذرات الرمال تحلم احلامها الابدية الخرساء وترقد بعيدا عن ضجيج الدهور وضوضائها وأنات الحياة وارزائها. اما هذه «النفس» فانها طائر معذب مطعون يسكب دماءه فوق الصخور القاسية وبين اشواك السبيل دون ان يظفر بعشه الذي عبثت به العاصفة ولا بسربه الذي شردته النسور.

وان البعوضة الحقيرة الضائعة لأسعد في طنينها بين المزابل من هذه «النفس» التي ما تزال تبحث عن معين الحياة وكلما تقدمت خطوة في سبيلها الرائع المخوف كلما لفحتها الهواجر وتلمعت أمامها سيوف القدر...

ها أنا مدلج في سبيل الحياة الأقتم. وها هي الاشباح الرهيبة تتعقبني وتسمعني أناشيد السخرية والازدراء ولكني سأظل سائراً منتظراً صباح الحياة. وسأظل مردداً على هاته الغابات والكهوف! أغنية الحيرة والحنين الى أن يبدو الصبح أو يسكتني صراخ القبور:

يا بني أمي! ترى أين الصباح؟ — قد تولى العمر والفجر بعيد
أين نايي؟ هل ترامته الرياح — أين غابي؟ أين محراب السجود؟
يا بنات الليل قد غاض الصداح — منذ طاشت نشوة العيش الحميد

يا بنـي أمـي! تـرى أيـن الصبـاح؟ أوراء البحـر؟ أم خلـف الوجــود؟
يا بني أمي! ترى أين الصباح؟

سأظل سائرا في سبيلي وسأظل ناثراً في هاته الحقول الجرداء العارية بذور الأسى الى أن يبدو القمر الجميل فتتفتح الأكمام عن ورود جميلة ضاحكة... ويتغرد البلبل من وراء الزهور... سأظل سائراً في سبيلي متغنياً بهاته الأوجاع والدموع وان كنت أعلم:

أن الدهـــور البـــواكـــي غنيـــة عـــن دمـــوعـــي

وان قلب الحياة ثخين بالجراح وان راحة الليل ملأى بالدموع الدامية.

عفوا يا صديقي، فقد آلمتك وعصرت نفسك عصرا.

فقد كان بودي أن أسرك وان أسمعك أغاني المسرة بدل ألحان الألم. ولكن ماذا أصنع؟ والمريض لا ينطق بغير الأنين، والجرح لا يرشح بغير الدماء. ان الظُّلَمَ لا تلد الضياء وان المحزون لا يتكلم بغير أحزانه: انت صديقي وليس لي أن أعدك صديقي حقاً الا اذا قاسمتني كؤوس العلقم وعصير الحنظل كما سقيتني رحيق المسرة وسلسبيل الفردوس.

رغبت يا صديقي ان أتلو تحياتك وصلوات قلبك على «اصداء الجبل واسرار الغاب والى كل شحرور يتغنى وكل بائس ينتحب» وذلك عهدي في تحيات الشعراء يا صاحبي فإنها لتكون عذبة جميلة كأرواحهم الملهمة النبيلة ولكنني يا صديقي لم أبلغ تحياتك الا الى نفسي القريحة الباكية لأنها هي «البائس الذي ينتحب» في سكون الليل كلما خلا الى نفسه وتفكر في الحياة. اما الغاب واسراره والجبل واصداؤه والشحرور وألحانه العذبة الحبيبة فإن عهدي بها بعيد وان تلك السعادة الالهية الطاهرة وتلك المباهج والمناظر والأغاني لا تنعم بها الا الابصار الطافحة بالأشعة المكحولة بالبسمات. اما الأجفان التي قرحها الدمع وأذواها الالم فإنها قصية عن تلك المناظر منفية في سجون الحياة. حسبي الآن يا أخي فقد

انهكني التعب وأعياني ولو ظللت أخط اليك لظلت الذكرى تتبعها الذِّكَرُ، والعبرة تتبعها العِبَر، ولظلت نفسي كما عهدتها أول مرة: تلك النفس المترعة بالدموع التائهة في فلوات الزمان المترامية.

إنني اشكرك يا صديقي على ما تبذل من جهد في تشريك معارفك في كتابي الحقير واعترف أنني لا أستطيع أن أفيك حقك من الشكر والمنة وعندما يتم الكتاب وذلك قريب فإنني أوجه لك النسخ المطلوبة اما المقتطع والمال فدعهما معك اذ ليس في استطاعتي الآن - وانا البائس القريح - ان اشتغل بالماديات وما لف لفها. فلتترك المقتطع معك ولتشرك من تشرك في القيروان أو سوسة ولنا بعد هاته الايام في ذلك حديث ولكنني أرجو ان ذهبت الى سوسة ان تذهب الى صاحب المكتبة العمومية هناك وتعلمه بكتابي وتسأله هل يود ان يشتري منه بعض نسخ ولعلي أوجه لك نسخ الكتاب قبل سفرك الى سوسة لتريه الكتاب وتسمع لما يقول. سأذهب وجملة الاهل الى توزر يوم الاثنين ان شاء الله وسأوجه اليك الكتاب من توزر فيما اظن.

بلغ سلامي الى كل من تراه اهلا لذلك من كل من كان له قلب كقلبك وروح كروحك وعاطفة كعاطفتك النبيلة السامية.

ولا تنس يا أخي ان تدعو معي بشفاء والدي لعل الله أن يلبي الدعاء والسلام من أخيكم المخلص:

أبي القاسم الشابي

حاشية:

ان نفسي الجياشة الناقمة لم تترك لي فرصة أتلفت فيها لما عداها حتى لقد نسيت أموراً كثيرة كان من واجبي أن أحدثك عنها ولعلك من هنا تفهم ان الأنانية والأثرة عنصر أولى من عناصر النفس والا فما الذي دعاني لأن أنسى كل شيء في نفسي لما طفحت بها أحزانها.

وصلت الى رسالتك صبيحة اليوم وانا جالس الى والدي على النحو الذي وصفت لك طرفا منه فكانت لنفسي خير مفرج ورفيق لان نفسي قد سئمت الكتب والأسفار وملت كل ما يعده الناس لتفريج الهموم. فلله تلك الرسالة الممتعة القيمة كم خففت عني من أعباء واعانتني على موقفي العصيب.

قرأت الرسالة فوجدتك تتبرم بمجالس القيروان فقلت لنفسي ماذا يقول ويكتب لو شهد مجتمعات زغوان هاته المجالس التي لا تعرف الا غاثة القول وبذآة الحديث ورأيتك تسائل الله عن علة خلقك وتستفسره عن أي شيء خلقت له في هذا الوجود؟ فقلت هنيئا لك نفسك وهنيئا لك حياتك فقد مر بي ذلك الطور الذي انت تقطع اشواطه: طور السآمة المتضجرة والملل المتسائل عن علة هذا الوجود. وكنت أتبرم به كما تتبرم وأتألم منه كما تتألم ولكنني أدركت الآن ان ذلك الطور انما هو يقظة النفس وتنبه المشاعر عندما تهيب بها بواعث الحياة ويا ليت لي ساعة من مثل ساعاتك التي أنت بها برم ملول! فاشكر الدهر على نعمائه فقد أصبحت أرزح بأعباء الحياة كما يرزح الجمل بأثقاله غير شاعر الا بأنني مثقل الكاهل ثقلا لا رحمة فيه ولا جمال وغير آمل الا أن يرفع الله عن كاهلي هذا الثقل الذي تنوء به قواي فأتنفس ملء رئتي من هذا النسيم.

سألتني عن مجلة سعيد أبي بكر وهل أن الداعي اليها مادي أم فني وانا لا أدري على التحقيق كيف اجيبك وبماذا أجيب اذ كل مبلغ العلم عندي هو أنه تولى ادارتها الفنية أعني ادارة التحرير وانه تسلم مني قطعة من الشعر المنثور عنوانها: الشاعر. تحت عنوان اكبر اود ان اكتب تحته مواضيع مختلفة ان ساعد الدهر واشفق الله وهذا العنوان هو: صفحات من كتاب الوجود... واعلم أنني رأيته يصحح ما طبع

من المجلة ومن بين ذلك قطعتي.

أما أن الغرض فني أم مادي فالله أدرى به. ولكن الذي انبئك به بعد ذلك فهو ان السيد الهادي العبيدي الذي كثيراً ما كتب في جريدة «الصواب» قد اراد ان ينشيء نشرة جامعة ولكن نزعتها الغالبة أدبية وقد اخذ يعد لها عدتها الفنية فأخذ مني قصيدا عنوانه: «أغاني التائه» واخذ من كثير من الأصدقاء كتابات ومقالات كثيرة وبعض قصائد ومما سينشر بها قطع من الادب الغربي تكفل بترجمتها اديب شاب تونسي لا أعرفه، وقد عقد اتفاقا مع السيد زين العابدين السنوسي على أنه يشرع في طبعها بمجرد انهائه طبع «الخيال الشعري» هذا من الوجهة الفنية اما من الوجهة المادية فقد تكفل بها شاب تونسي كثيراً ما حرر في الجرائد الافرنسية وبالأخص جريدة اللواء التونسي «الليتندار» نسيت اسمه الآن ولئن حرمت مجلة الصادرات والواردات من آثارك الفنية فإنني أود ان لا تحرم هاته النشرة التي أخال انها ستكون قيمة من آثارك - أرجو أن توجه لي بكتابة او قصيد وأظنها تصلني الى بلد الجريد لأوجهها الى هذا الصديق ولك الشكر والسلام.

أخوكم المخلص:

أبو القاسم الشابي

الرسالة الرابعة

تونس في ربيع الأول سنة ١٣٤٨(*)

أخي الأعز.

تحيات قلب ملؤه الاخلاص والود وعواطف صديق تعرف مقدار ولائه وتقدر وده حق قدره.

وبعد فمنذ ان كاتبتك بتلك الرسالة الولهى التي حاولت أن أصف لك فيها لوناً من ألوان حياتي التي أحياها في محيط تموج به الأحزان وتزخر ـ لم أتصل بكلمة منكم حتى اليوم رغم تشوقي الى كلماتك وتحناني الى نغماتك.

لا أريد اليوم أن أثقل كأهلك بأوجاع انهكت قواي وضعضعت كياني الطليح وانما حسبي أن أقول ان الوالد لم يزل طريح الفراش وأن الطبيب الاستعماري بتوزر يزوره يوميا نسأل الله أن يعجل بشفائه.

لقد أعلمني الاخ مصطفى خريف ان الكتاب قد أنجزت أعماله وأنه قدم نسختين الى المحافظة لتأذن له في ترويجه ولكنها ما زالت تسوفه وتضرب له الوعود الكاذبة اثر الوعود. ولا أدري ما الذي تعني بذلك وان غدا لناظره قريب.

ثم وجه لي الاخ زين العابدين السنوسي نسخة من الكتاب إشعاراً بانهائه وقد أعلمني الأخ مصطفى خريف بأنه بذل كل الجهد هو والاخ زين العابدين في اقتناء الورق اللماع حتى يطبع عليه رسمي ولكن أبى القدر ذلك فإنهم بعد كل مجهود لم يمكنهم أن يطبعوا على ذلك الورق الا ثلاثمائة صورة واما البقية من نسخ الكتاب فقد اضطروا الى طبعها على الورق الذي طبع منه الكتاب والامر لله من قبل ومن بعد.

بما أنني بعيد بتـوزر فإنني سأكلف مصطفى خريف بأن يوجه اليكم بمجرد ما

(*) أوت ١٩٢٩.

يتسلم الاذن من المحافظة بذلك ٢٨ نسخة من كتاب «الخيال الشعري عند العرب» نسخة هدية اليكم هدية ود واخاء وصداقة والبقية ١٥ نسخة للذين أشركتموهم وانتم ببنى خلاد على مقتضى الجذر الذي سلمتموه الي والـ ١٢ الباقية للسادة الذين اعلمتني في كتابكم الكريم بأنهم اشتركوا في الكتاب بالقيروان وفي الختام تقبل تحيات المخلص أخيك على الدوام.

بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي

حاشية:

بما ان النسخ سيتولى توجيهها اليكم الاخ مصطفى خريف فستصلكم سبع وعشرون نسخة من طرفه وأما نسخة الهدية فسأوجهها اليكم من توزر اذ من الواجب ان أكتب كلمة الاهداء بيميني.

الرسالة الخامسة

زغوان في ربيع الثاني سنة ١٣٤٨(★)

أخي الماجد النبيل

ألف تحية وشكران

وبعد فماذا اكتب اليك؟ وأنا في ساحة تعصف بها الهموم وتنعقد من فوقها الاحزان وتخر عليها أمواج الدموع ان استمعت الى نفسي لم أُلفِ الا الأسى يبكي أو أصخت الى قلبي لم أسمع الا النحيب أو قلبت طرفي فيما حولي لم أبصر الا ظلمات تتدجى من فوقها ظلمات.

إن المصاب قوي جسيم وان قلبي الرازح بهموم البشر لأضعف من ان يضطلع

(★) سبتمبر ١٩٢٩.

بكل ما في هذه الدنيا من مصائب. اين صبرك يا رب؟ فقد ضاق على الوجود وأين سلواك فقد مزقت صدري الزفرات. عفوا يا صاحبي فإنني لا أستطيع أن أكتب اليك اكثر مما كتبت.

ودم لاخيك المحزون:

بلقاسم بن المنعم المرحوم محمد بن بلقاسم الشابي

الرسالة السادسة

تونس في ١٣ رجب سنة ١٣٤٨(*)

أخي الفاضل.

قد انتظرت كتابك (المطول) ولكن عبثا كانت تمضي الساعات ثم الايام ثم الاسابيع وأخشى ان تلحق بها الشهور.

وبعد، فماذا أخبرك به من أنباء العاصمة؟ إني ليستخفني الفرح حين أعلمك ان العناية السموية قد جادت علينا بمجلة أدبية ستصرف همها الى الادب والى القيام بواجبه في هاته الديار وإني أعلم انك ستقول كلا بل هذا وهم باطل وسراب كذوب فكثيراً ما سمعنا مثل هاته الأنباء الجميلة المستحبة فاستخفتنا ولكن ما لعبت بالبابنا خيالاتها حتى تكشفت عن سراب فاذا الكل باطل... واذا الكل قبضة من ضباب... اعلم انك ستقول هذا واكثر منه ولكن ليطمئن بالك ولتعتقد ان هذا الامل المنشود قد أصبح حقيقة ماثلة ما بين عشية وضحاها فقد أحرز الاخ زين العابدين على تلك المنية التي طالما صبا اليها وهي اصدار مجلة أدبية علمية. أجل أحرز على مجلة اختار لها اسم «العالم» وقد أخذ في طبع هاته المجلة وفي إعداد العدة الادبية اليها حتى تكون جاهزة كاملة آخر هذا الشهر

(*) ١٥ ديسمبر ١٩٢٩.

الافرنجي وحتى تحيي الناس في رأس هاته السنة وقد أخذ مني قطعة شعرية لنشرها ضمن مجلته. ولا تظنن ان تلك أباطيل فإن كثيرا من المقالات الأدبية قد قدمت للطبع بمحضر مني بل ان بعضها قد كنت حاضرا لتصحيح مسودته المطبعية « بروفة ».

ولذا فالرجاء ايها الاخ ان تبعث الي في أقرب وقت ممكن بنفثة من نفثات يراعك أو بحث من ابحاثك القيمة الممتعة حتى يمكن نشرها في العدد الاول من اعداد المجلة. لأنني لا يروق لي أن يؤخر مقالك شهرا آخر لأن المجلة شهرية في هذا الاوان على الاقل. لا أزيدك تأكيدا في المبادرة بتوجيه بعض ابحاثك الأدبية الي على جناح العجل فإنني ليلذ لي أن تطلع الامة التونسية على ثمرات أبنائها الشبان المخلصين ويلذ بالأخص أن يكون العدد الاول حافلا جم الخصوبة والانتاج حتى يكون شجا في حناجر أحلاس الجمود وطعنة في أكبادهم وغلة لا ينطفىء لها لهب في عباد الموت وأمساخ القديم.

وفي الختام تقبل تحية أخيك المخلص:

ابو القاسم الشابي

إنني أنتظر فأسرع بالجواب!

رسائل الحليوي

بني خلاد في ٢١ فيفري ١٩٣٠

أخي وصديقي العزيز

يصلك طي هذا نبذة مما كتبته عن تولستوي وقد دفعني للكتابة عنه ما رأيت من تنديد صاحب الكلمة المنشورة في المجلة تحت عنوان « تونس وتولستوي » بتقاعسنا وعدم اهتمامنا برجال الفكر العالميين.

وإني لأستحي أن أكون سببا في تجشيمك متاعب لأجلي، فان كان في ارسال ما اكتب لك تكليف لك وشاغل يشغلك عن أعمالك فسأعدل عنه وان كان الامر خلاف ذلك فإني أكون مسروراً جد السرور، متشرفاً كل الشرف أن تكون صلتي مع المجلة بواسطتك وأكون مرتاح البال من هاته الناحية.

طالعت مرات ما كتبت عن الشعر فكان عندي أحسن ما في المجلة ولا شك أنك ستتولى زعامة التجديد الادبي في تونس ونكون نحن تحت لوائك.

وإني لاستحدثك على الكتابة في ذلك المعنى ولواحقه تحت عنوان خاص.

وكم أود أنا أيضا أن أكتب تحت عنوان خاص كما كنا تحدثنا عن ذلك في العام الفارط.

سلامي الى كل الرفاق والى أخيك الصغير وعليك السلام والتحيات من أخيك المخلص على الدوام.

الرسالة السابعة

تونس: في نشوال سنة ١٣٤٨(*)

أخي الفاضل

تحية وسلاما

وبعد فإنني أهنيك بعيد الفطر المبارك وأسأل الله لك أن يسبغ عليك مسراته ويفضي عليك بركاته ويريك من نعمه ألوانا وأن يرزقك عمراً سعيداً خصيباً منتجاً، ينتعش به الأدب في هذا البلد القاحل الممحل الجديب، ويهب هبته التي تزعزع الجذوع النخرة وتقتلع الصخور الجاثمة في وضح الطريق.

(*) مارس ١٩٣٠.

سألتني أيها الاخ هل في توجيه رسائلك الممتعة الراقية الى « العالم » بواسطتي تعب يلحقني أو وصب ينجر الي؟ وماذا عساي أن أجيبك ان كان تساؤلك حقا؟ بل ماذا عساي أن أقول ان كنت جاداً في استفسارك؟ يعلم الله يا صديقي ان لا حرج علي في ذلك ولا نصب، وان ما ظننت أنه يكلفني نصباً انما هو مبعث مسرة لنفسي وايقاظ لعواطفي التي أركدتها عقول الناس الخامدة وكلماتهم البادرة التي لا تنبه فكرة ولا تحرك وجدانا. الا يسرني يا صديقي أن أكون انا أول من يطلع على ما تخطه يمناك وتقطر بسحره يراعتك الحية اليقظى؟

ولا أنسى أن اطلب عفوك فإنني ما تأخرت عن مراسلتك لحد الآن، الا لأنني ـ علم الله ـ في شغل شاغل وعمل متواصل ونصب كـامـل لا راحـة فيـه ولا روح وانما هو كرة أثر أخرى. ومجهود وراء مجهود ونفس صاعد كأنما يصعد في السماء وملل أليم سميك الحجب ليس له ما يهلهل حواشيه أو يلقى على ظلمته قبسا من نور أو شعلة وميض. لقد أعجبت وأعجب الناس برسالتك الاولى في « العالم » اذ انها احاطت بما عرضت له إحاطة لم نعثر على مثلها فيما رأيت، ولا عثر الناس. وليس لي من نقد عليها الا انك وعدت بمتابعة النقد ثم كففت وعسى ان يكون ذلك غمامة عارضة لا تلبث ان تنقشع ولا اخالك الا لا زلت جاهلا نفسي يا صديقي ولولا ذلك لما اعتذرت لي تلك الاعذار عن انتقادك كأنك به انما تقدم على عمل منكر. لا أظن الصداقة تقف الى هذا الحد في التعرض لحركات العقول لان الصداقة انما هي ضرب من حرية الروح ويقظة الفكر وانتباه العواطف فان كانت تشل من حركة العقل وتصفد من أعضاد القرائح والعقول فلا كانت هذه الصداقة ولا كان قلب يحبوها شيئا من حنوه وحنانه. لتنقدني يا صاحبي ما دمت ترى الحق في جانبك ولانتقدك ما دمت اعتقد إنني أتكلم بوحي الحقيقة المقدس دون أن يكون في ذلك ما يمس عاطفة أو يجرح وداً أو يؤذي وجدانا. ذلك مذهبي أصارحك به يا صديقي وبودي أن تعلمه حق العلم وتدريه حق الدراية فإنك ان علمته علمت ناحية من نفسي كانت لديك مجهولة وأنا أود

أن أكون لمن أوده وأصافيه واضح الجوانب لا تغشيه سحب ولا تحجبه ظلمات...

اما رسالتك الثانية فليس لدى متسع من الوقت لاجيبك عنها وحسبي ان أقول لك انها ستبرز في هذا العدد من « العالم الأدبي » فقد أصبح هكذا اسم المجلة - وان اعلمك إنني بها جد معجب فلله هي!

تقبل التحية من اخيك على الدوام:

أبى القاسم الشابي

الرسالة الثامنة

تونس: في ٢٠ شوال ومارس سنة ١٣٤٨/١٩٣٠(*)

الاديب الكبير أخي الفاضل الأستاذ محمد الحليوي.

تحية وسلاما.

وبعد فإنني في شوق الى اخبارك وأحاديثك ونفثات قلمك وآيات بيانك. فقد وعدت انك ستقدم الحاضرة ثم تصرم الاسبوع تلو الاسبوع والشهر اثر الشهر ولم يأت ولا جاءنا من ناحيتك نبأ وقد وعدت أنك ستكتب وتكتب... عن كتابي وعن تولستوي، وعن أدب الفرنجة وانك ستترجم قطعا فلسفية وآيات شعرية... وغيرها ولكنك لم تنفذ من كل وعودك شيئا. ما هذا أيها الصديق؟ ان تونس لفي حاجة الى ابنائها الذين تتدفق في دمائهم عزمات الفتوة ونخوة الشباب ونشوة الاحلام... ان تونس لفي حاجة الى ان تتقدم بخطوات ثابتة الى سبل النور والزهور... ان تونس لفي حاجة الى ان ترفع رأسها عاليا حتى تشاهد أنوار السماء

(*) ٢١ مارس ١٩٣٠.

وشموسه وحتى تقبل شفتيها أضواء النجوزم... ولئن كانت تونس فقيرة الى هذا الضرب من ابنائها، هذا الضرب الذي يحن الى أن يعيش عيشة كلها حق ولذة وجمال وكلها احساس وشعور وعواطف أقول إن كانت تونس فقيرة الى مثل هذا النوع من أبنائها ليجب على هذا النفر القليل منهم أن يبذلوا كل ما في جهدهم من عزم وقوة وحمية وشباب، حتى يستطيعوا أن يكونوا نشأ حياً مخلصاً شاعراً بواجبه لأمته وللحياة وللوجود بأسره وان يخلقوا في الواقع ذلك الوسط الحي الجميل الذي نتصوّره في أحلامنا ثم نلتفت حوالينا فلا نلمح له أثرا، واذن فلتكتب ولتعمل ولتطرد عنك خواطر الراحة والسكون فان شعبك في حاجة اليك وليس لك شيء من العذر في أن تسكن ولا تعمل فإنني لأجدر منك بالعذر وأنا بين دروس قانونية متوافرة تكد الذهن وتقتل الوجدان ومطالعات في القانون اكثر تغثية للنفس واركادا للعاطفة واخمادا للتفكير من أي شيء في هذه الدنيا.. إنني انتظر رسالتك الأدبية والودية بفارغ صبر فإنها هي التي تزيل عني بعض هاته الوحشة التي أجدها في كتب القانون وبعض هذا التجهم والعبوس اللذين الفيهما في مطالعته. كنت حدثتك أن مقالك سيدرج في هذا العدد من العالم الأدبي وذلك ما نبأني به الاخ زين العابدين أول الأمر ولكن ضاق نطاق العدد عنه وسينشر في العدد المقبل آخر هذا الشهر واليوم أرانيه الاخ زين العابدين مطبوعا ولكن هذا لا يدعوك الى ان تؤجل الكتابة الى الشهر المقبل فان هذا هو الذي لا أرضاه.

ماذا احدثك عن العالم ـ اولا ـ والعالم الأدبي ـ ثانيا ـ لقد احدثت من الرجة في الخارج ما أحدثت وغيرت نظرة الشرقيين الى تونس تغييراً ما كانوا يتوقعونه وأصبحوا ينظرون اليها نظرة لم تكن من قبل. لقد كتبت عنها كثير من الجرائد والمجلات الشرقية ولا يسعني أن أستوعب لك حديثها كلها ولكنني اقول لك أن «المقتطف» قد قالت ما مضمونه إن من العار علينا ان تكون في تونس مثل هاته النهضة وهذا الشباب وهاته الحركة الفكرية ثم لا نعلم بها ولا نتحدث عنها فإننا

ما كنا نحسب في تونس مثل هاته اليقظة الفكرية التي رأيناها في العالم التونسي والذي أرانا أن الشعب التونسي شعب يحس بالحياة حقاً. أرأيت أيها الصديق كيف كانوا يتصورون تونس قبل الآن؟ لا أخالهم كانوا يحسبونها الا كالسودان وأعماق افريقيا الجنوبية. وكتب شاب سوري الى الاخ زين العابدين كتابا قيما مستفيضا يستوعب ثلاث صفحات من الحجم الكبير يعجب «بالعالم» التونسي وبمحرريه وبالاخص «الاستاذ الحليوي» الذي استوعب مذاهب الأدب الفرنسي بطريقة لم يسبق اليها و«الاستاذ الشابي» الذي أبان عن فكرة قيمة دقيقة في فهم الشعر والنظر اليه - كما يقول الكاتب - ومصطفى أفندي خريف الذي شابه كثيراً بشعره البائس الحزين شاعر الأسى وأمير البؤساء الاستاذ انور العطار شاعر دمشق وقصيدة السيد كرباكة التي تناول فيها غضبة شاعر العراق الرصافي وقد أمضى هذا الكاتب رسالته بـ «فتى العرب» وهو اسم طالما رأيته في بعض الصحافة الشرقية. كما جاء الى الاخ زين العابدين أيضا كتاب آخر من مصر يعجب بهاته النهضة الفكرية في تونس ويبتهج بها ويتمنى لها قوة وشباباً.

وحتى رجعيو مصر، فقد بلغهم نبؤها وتخوفوه فقد بعث الشيخ الخضر حسين التونسي الى الاخ زين العابدين يعجب بمشروعه وعمله ولكنه يترآى بين سطور الشكر انه يوجس خيفة فقد قال لهِ فيما قال: لقد خرجت المجلة بخطة جديدة ما كنا ننتظرها من تونس فقد عرفنا تونس بلداً هادئاً أميناً مسالماً بعيداً عن كل الحركات الثورية والخطط الطافرة... الخ.

وبعد فإني أحييك الآن والى اللقاء!...

أخوك المخلص: ابو القاسم الشابي

الرسالة التاسعة

تونس: في ١٥ جوان ١٩٣٠

أخي الفاضل الأعز.

تحية وسلاما.

وبعد فإني سأبدأ بنقدك قبل ان أبدأ بتهنئتك، ولتعذرني على ذلك فإن للمودة سورة وثورة قد يحركها أخف البواعث. انت تعلم إنني أكدت عليك العهود على أن نلتقي قبل سفرك ووثقت وأكدت. وتعهدت بذلك وافترقنا عليه ولكنك اخلفت وعدك ونقضت عهدك وما كنت أظنك مخلافا ولا اعهد فيك هاته الخلة.

ستقول ان لك اعذاراً ومنادح ولكنني لا اريد أن أسمع هاته المعاذير ولا أن اقيم لها وزنا. وحسبي انك اخلفت والسلام، وحسبك هذا من لوم الصديق.

وقد علمت عشية امس انك كنت من الفائزين في امتحانك فاغتبطت وان كنت تنبأت بذلك من قبل، لا لأنك صديق يسرني ادخال السرور على قلبه فقط ولكن لان تلك الشهادة مرحلة أولى من مراحل حياتك الأدبية المنتجة. فهي ستدعوك الى ان تدأب على دراسة اللغة الفرنسية واستخراج كنوزها ونشر آياتها الرائعة بين أبناء شعبك الضائعين وهي ستكون دافعاً يدفعك الى الاستزادة من مناهل الفن السامي الذي تطمح اليه نفسك المنتجة ومعيناً على تكوين ثقافتك كما تبتغي أن تكون. فاهنأ يا صديقي بهاته الشهادة وان كانت دون مداركك ومواهبك وأضيق من أن تسع نفسك الكبيرة.

اليوم صباحا جاءني الاخ زين العابدين السنوسي وناولني مجلة «العالم الأدبي» التي خرجت أمس فاذا بها قد انتقلت لطور آخر في جمال المظهر وحلاوة الشكل وانني لأتعشم لها مستقبلا زاهرا لخير هاته البلاد المسكينة.

وقد سألني عن عنوانك ليكاتبك اليه ويطارحك شكره وإعجابه بقوة نفسك ورزانة تفكيرك وعمق بحثك وتحليلك. والسلام عليك من أخيك المشتاق اليك المعجب بك.

أبى القاسم الشابي

الرسالة العاشرة

تونس في جمادي الأولى سنة ١٣٤٩(*)

أخي الفاضل وصديقي الأعز

تحية وسلاما

وبعد فقد اشتد الضعف على قلبي في هاته المدة الاخيرة بما أوجب معه الطبيب على حرماني من كل الاعمال الفكرية لا فرق بين مطالعة أو تحضير أو كتابة وقد لبثت على ذلك نحو أربعة عشر يوماً كاملة وذلك ما حدا بي الى ان لا أكاتبك كل هاته المدة أما الآن وقد أوجب الطبيب على السفر وقد أزمعته غدا: الخميس - فإنني أراني مضطرا الى مكاتبتك رغم كل شيء -.

لا تألم يا صديقي لأخيك فإن قلبي هو منبع آلامي في هذا العالم. ومن يدري؟ لعله سيكون منبعا لمثل هاته الآلام في عالم آخر... ان قلبي يا صديقي هو مصدر آلام هاته النفس التائهة المعذبة وهذا الجسد المعنىّ المنهوك. وما دمت احمل بين جنبي مثل هذا القلب الكسير وما دامت هاته الحياة تهد منه ولا ترحم، فإنني أشقى أبنائها. هاته حقيقة قد أيقنت من صحتها وآمنت بها يا صديقي فلا تحاول أن تصدني عنها.

والآن دعنا من حديث الآلام فان نواميس الوجود فراغ لمثل هاته

(*) أكتوبر ١٩٣٠.

السخفات... ماذا أقول لك؟... ان الضجة في تونس قائمة حول كتاب صديقنا الطاهر الحداد «امرأتنا في الشريعة» و«المجتمع» ويقال ان النظارة تفكر في القيام عليه وطلب حجزه كما فعلت مشيخة الازهر في مصر بطه حسين وكتابه بمعنى انه قدر علينا أن نكون مقلدين لمصر في كل شيء هذا ما يشاع، وان كنت لا أومن بصحة هاته الاشاعة.

ويوم الجمعة ستقام للصديق مؤلف الكتاب حفلة تكريمية كبرى بكازينو بليفدير وستلقى فيها الخطب والقصائد وسينشر الحديث عن هاته الحفلة وكل ما قيل فيها في عدد ممتاز من الصواب لا بد انه سيبلغ اليك نبؤه وقد ابتهجت بهاته الحفلة لانها تدل على أن تكريم التونسي للتونسي قد بدأ قبوله في النفوس ولكنني آسف لأنني لا أحضر هاته الحفلة ولا أقول فيها كلمة بأمر من الطبيب الذي هو ككلمات القدر في نظر النفوس الواهنة المرضوضة.

لا أستطيع أن أزيدك في الحديث وان كان المجال رحبا ونفسي تدعوني لذلك لان هذا أول كتاب كتبته رغم أوامر الطبيب وأخشى أن ينجم عن الاطالة ومتابعة هوى النفس ضرر محقق وانما الذي أرجوك أن لا تنسى صديقك في منفاه القصي فإنه هناك أحوج الناس الى رسائلك التي تجلو عن نفسه ما يعلوها من صدأ الخمول خصوصاً في مثل بلاد الجريد والسلام عليك من المخلص:

أبى القاسم الشابي

حاشية:

بلغتني دعوتك الى المقام جوارك وهي سعادة لا أستطيع الآن تحقيقها ولعلى أستطيع ذلك فيما بعد والسلام عليك من أخيك.

أردت أن أوجه إليك رسمي ولكنني لم أجد ظرفا يسعه ولذا فإنني سأتركه لك عند الاخ مصطفى خريف وعند قدومك الى الحاضرة تلفيه عنده والسلام عليك.

الرسالة الحادية عشرة

توزر الجريد في ١٥ جادي الثانية سنة ١٣٥٠(*)

حضرة الأخ الفاضل المحترم سيدي محمد الحليوي.

تحية وسلاما.

وبعد فقد ضمني مجلس وحضرة الاخ محمد البشروش منذ أيام تجاذبنا فيه. ذكرك وأدبك فقلت له أنني لئن كاتبت الاخ الحليوي لأكاتبنه بصاعقة... وكنت جادا في حديثي وكان صاحبي يتبسم.

وها قد مرت أيام وأيام وتعاقبت بسمات وآلام وما زالت ذكرى ذلك المجلس وذاك الحديث ترف في جوانب قلبي بأجنحة من لهيب مورد كالشفق المخضوب ثم ها أنا أكتب اليك فاذا الصاعقة... ماذا أقول؟... اذا الصاعقة صباح صاح تتندى نسائمه وتتهادى غمائمه وليل مقمر يرفرف حواليه السحر ويغرد « الطائر المستمر » واذا بي أهتف بك من وراء الافق كأنني أناجيك.

أذكرونا مثل ذكرانا لكم   رب ذكرى قربت من نزحا

وهكذا تنقلب النقمة رحمة وينقلب اللهيب أنامل من سحر كأزهار الربيع.

هذا ما استطعت ان أكتبه اليك الآن. وهذا كل ما أملته عليَّ الصداقة العذبة من أساليب العتب والملام، أما أنت فلست أدري ماذا أنت فاعل من بعد؟ هل توقظ قلبك هاته النجوى الضارعة وهذا الهتاف الرقيق؟ أم أنه سيظل مخلدا الى صمته وأحلامه؟ قل علمه عند ربي.

ما لك يا صاحبي قد اعتصمت بالصمت في هاته السنة وانصرفت الى السكوت فلم نسمع لادبك صوتاً الا تلك الكلمة التي قلتها على « ذكرى جبران »؟

هل انك هجرت الادب ـ لا قدر الله؟ أم أنك تنشىء في صمت وتخلق في

(*) ٢٨ أكتوبر ١٩٣١.

سكون كما تبدع هاته الطبيعة الصنّاع جمال الزهرة تحت أطباق الثرى؟

اين يا صاحبي «المرأة في الادب العربي» و«الشعر في تونس» وغير هذين من تلك الابحاث القيمة التي وعدتني بالكتابة عنها في بعض سمرنا بالحاضرة. أني انتظر جوابك لتحيي في هاته النفس الموات معاني الأدب واصداءه وسلام عليك من أخيك:

بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي

حاشية:

كاتبني طويلا وتحدث الي كثيراً إنني أرجوك وان شئت فاتخذ موضوعاً أدبياً صالحاً للحوار نتجاذب فيه أطراف الحديث وفنون الجدل حتى تظل الصداقة حية ويظل غذاؤها روحياً جميلا.

رسائل الحليوي

بني خلاد في ٤ نوفمبر ١٩٣١

أخي الفاضل.

أتاني كتابك فما ذكر مني ناسياً ولا نبه غافلاً ولا وصل مبتوراً.

إن ذكرك يا أخي - يصاحبني ويماسيني، ويباكرني ويغاديني، وان صورتك التي فوق مكتبي لتعنفني كل يوم على سكوتي وتذكرني تلك الساعات السعيدة التي قضيناها معا حين كان الشمل جميعاً والدار واصلة والمودة متبادلة. ثم نزحت الى بلدك الجريد وعز عليك أن تفارق الحاضرة دون أن تودعني بكلمة وتبعث لي بصورتك. فماذا كان مني بعد هذا النزوح الذي اضطرك الى مغادرة العاصمة ومجالسها والاوساط الأدبية ونشاطها الى حيث الصحراء وأحلامها والواحات

وجمالها، والقمر المؤتلق في كبد السماء أو المطل من خلال عراجين النخيل؟

اللهم لا شيء.

ثم بلغني من بعض الاصدقاء انك تزوجت وكان علي أن أهنىء وأبارك أو ألومك على اتيان هاته الحماقة ولكني لم أفعل شيئا من ذلك.

ثم جاء العيد فماذا كان مني في هاته المناسبة التي تؤكد فيها أواصر الصداقة وتمتن عرى الوداد وتتبادل الدعوات والتمنيات.

اللهم لا شيء.

أما والله لو أرسلت صاعقتك على رأسي لكنت بها جديراً ولشفيت نفسي المعذبة الشاعرة بذنوبها نحوك ولكن... اذا كنت قد أصبت بالخرس والشلل فهل تراني كنت غافلا عن ذكرك.

لا سكن الله قلبا عن ذكركم... فلم يطر بجناح الشوق خفاقا

ذكرك والله عالق بالروح ممتزج مع الدم.

أذكرك حيثما كنت وأينما سرت   أذكرك اذا سئمت نوادي الغثاثة

الرسالة الثانية عشرة

توزر الجريد في ٤ ذي الحجة سنة ١٣٥٠(*)

أخي تحية وسلاما.

وماذا بعد هذا؟ بعده إنني الآن في عزلة محببة الى نفسي في الصحراء أو تحت ظلال النخيل، وليس معنى هذا إنني هجرت المدينة وفررت بنفسي الى

(*) ١٠ أفريل ١٩٣٢.

أحضان الطبيعة التي أجد فيها من معاني الجمال والعطف والحنان ما لا أجد في قلوب البشر الذين مللتهم ومللت أحلامهم الصغيرة وأحاديثهم السخيفة وضحكاتهم التافهة وإن كانت مخضوبة بالدموع - لا ، فانت تعلم أنني مكبل بقيود من لحم ودم تجبرني على خوض هاته الحياة البغيضة المستثقلة وتحرمني من تلك اللذة الوحيدة التي تحن لها أشواقي حنينا صادقاً في هذا العالم. وانا ما زلت بتوزر وما برحت قريتي الصغيرة (الشابية) وإنما أعني «بعزلتي» أنني أصبحت بعيداً عن الناس ابتعاداً. وربما يمر علي اليوم والثلاثة والاربعة لا أخالط من هؤلاء الناس أحداً الا أهل بيتي في الليل أو في أوقات الطعام.

ولم أطالع أثناء هاته العزلة من الصحف غير ما يرد على خاصة منها ولذلك فقد لبثت حينـاً لم أطالع قصيدتك بل لم أسمع بها. وكيف لي بذلك والنخيل والصحراء لا يتحدثان بأخبار الصحف. ثم اجتمعت منذ يومين ببعض الناس... ومالي لا أقول المثقفين - ولكن بما تحتمل هاته البلدة من معاني الثقافة. فحدثني عن القصائد والخطب والاخبار التي تنشرها النهضة وبلهجة معجبة حدثني عن قصيدة «الحليوي» وقال: حقا انها لَحُلْـوة كاسمه وانني لا أزال كل مساء حينما أفرغ من مشاغلي أنفرد بها ورفيق لي ونأخذ في تلاوتها بترتيل وانشاد. هكذا حدثني هذا الرجل فابتسمت ولج بي الشوق اليها ومن الغد ذهبت الى السوق وبحثت عن ذلك العدد الذي نشرت به ومن حسن الحظ إنني وجدته عند بائع الصحف فطالعتها وطالعت معها قصائد أخرى الا قصيدة الاخ خريف فإني لم أجدها. وإنني أصارحك إنني أعجبت بها وألفيتها الوحيدة التي تخفق فيها روح بشرية تلح بها الآمال والذكريات والحسرات روح تحس وتتدبر ولا تنسى وهي شاعرة أن تناقش الحساب وتنقد نقداً أليما. وقد صادف إنني التقيت اذ ذاك بالاخ عبد الخالق وقضينا مع بعضنا ساعات جميلة فكان مما قال لي: ما كنت أحسب الاخ الحليوي يجيد الشعر ولكن هاته القصيدة كشفت له عن ناحية من نفسه كانت محجبة.

وسألته عنك سألته كثيراً، فكان مما قاله لي عنك: انك ناقم ساخط على «العالم الادبي» وانا اشاركك أيضاً في السخط عليه. فقالت له: وهل هذا. هو السبب في انقطاعه عن الكتابة؟ فقال: إنني أخشى... فقلت ماذا؟ قل... قال: إنني وجدت في الاخ فتوراً عن الادب والحديث وأحسست كأنه عازم على هجرانه، وأخشى أن يكون حب «المادة» قد حل من قلب صديقنا محل النزعة الادبية. فشعرت كانما طعنت بسهم من نار وقلت: ماذا؟ أينتحر؟ لا ان هذا لمستحيل ـ قال: وهو يغالب المرارة التي فاض بها قلبه «نعم نعم، انه ينتحر.. قلها ولا تخف» ولا أزيدك فقد طغت آلامي، وشعرت باليأس يتمشى في قلبي، ليلتهم ما بقي فيه من زهرات الامل القليلة وقلت: إن تونس ملعونة ولن ينهض الأدب الحيّ فيها بعد اليوم، أكذا قضى القدر العاتب الغشوم أن لا ترفع تونس رأسها يوماً من حضيض الموت، أَقُدِّرَ لهاته الجيف المنتنة أن تتكلم وحدها في هذا الفضاء الجميل! إن هذا لا يطاق.

كذلك قلت لنفسي وكذلك قلت لذلك الصديق. ولكن انت ماذا عساني أقول لك؟ أناشدك الله يا صاحبي أن لا تفعل، لا تنتحر، لا تهجر الادب التونسي المريض الذي يحتاج الى أذرعة كذراعك تسنده في سبيل الحياة الوعر... ولئن فعلت بعد هذا النداء بل هاته الضراعة لابتن حبل الصداقة التي بيننا ولو تمزق قلبي، ولا تذكر بعد اليوم أن لك صديقاً نفته صروف الحياة الى حدود الصحراء، أجل يا صديقي يجب حينئذ أن ندفن تلك الصداقة في قبر عميق ولا نشيعها حتى بدمعة أو قصيد.

ومالي أكتمك الحقيقة؟ إنّ لي معارف كثيرين ولكن خلصائي من بينهم أقل من القليل ولكنني أعطف على هؤلاء الخلصاء ولا أحترم منهم غيرك، هذه حقيقة يجب أن أقولها ويجب أن تعلمها أنت أيضا. أحترمك لأنني أجد في أدبك روحاً وقوة لا أجدها عند سواك وهاته الروح والقوة هي التي أعلق عليها آمالا ضخاما. لا تخجل يا صديقي فإنني لا أداجي وانما أصارحك في موقف حاسم، في تكوين

الادب التونسي الحي الجدير بالخلود وفي تحطيم هاته الأصنام الخشبية التي تحتل مكاناً من الأدب، يجب أن يحتله الاحياء الذين يعرفون كيف ينفخون في الشعب روح الحياة والذين يعرفون كيف يعلمونه محبة الحق والقوة والجمال. نعم يا صديقي فإنني لا أعلق على غيرك ممن أعرفهم من الأدباء ما أعلقه عليك من احياء الادب ورفع اسم تونس، تونس العزيزة، عالياً بين أسماء الشعوب. ولكنك أنت بهجرانك الأدب أو بانتحارك - كما أقول أنا - تقوض كل هاته الآمال وتهدم هذا البناء المشيد! فأنظر أي صنيع تصنع يا صاحبي وأنظر أية جريمة أنت تقدم على اجترامها!... ان هاته الثورة التي تعصف في جوانب صدري لا تهدأ ضجتها ولا يسكت هديرها ولا يخمد طغيانها العارم المزيد وإن المعاني لتزدحم وتتصارع في رأسي بصورة مرعبة، وإنني لعاجز عن أن أصور اليك الآن ما يصطفق في قلبي الآن من ثورة وسخط وغضب وحيرة وشك وتساؤل وآلام، ثورة على القدر وشك في المستقبل، وآلام لحظ تونس المنكوس.

ربما عذرتك على عدم كتابتك في «العالم الادبي» ولكن كيف تريد مني عتباك في هجرة الادب والانقطاع عنه؟ على أنني حين أفكر وارجع الى نفسي لا اعذرك حتى في انقطاعك عن «العالم الأدبي» فلتقل ما شئت في خطة الصحيفة وفي صاحبها ولتقل ما شئت في مواضيعها الغثة الباردة المستثقلة المرذولة ولكن الا يحز في قلبك وينغص عليك الحياة أن يقول عنا أبناء العالم: ان هاته الاصوات الميتة والاصداء الخافتة هي كل ما في تونس من صيحات الحياة؟ اما أنا .فإنني حين أفكر في هذا يسودّ الفضاء المنير أمامي وتتضايق حوالي رقعة هذا الوجود، لنتحمل يا صديقي كل شيء في سبيل النهوض بتونس وآدابها ما دمنا انما نجاهد لاحياء الوطن والرفع من شأنه بين الشعوب، فان المجاهد يا صديقي ليفترش القش وحتى المزابل اذا اضطره الدهر والنتيجة يا صديقي تبرر الواسطة، كما يقول المثل.

هذا ما استطيع أن أكتبه اليك الآن وانني في انتظار كلمتك التي أرجو أن

تكون بشارة باقلاعك عما عزمت عليه وبرجوعك الى الكتابة في « العالم الادبي » اقتناعا بما ذكرت لك والسلام.

صديقك المخلص: أبو القاسم الشابي

ملحوظة:

ان ثورة نفسي هي التي جعلتني أكتب اليك بهاته اللهجة وهذا الاسلوب وانها لبادية حتى على خطى السقيم المرتعش...

حاشية تافهة.

كنت وجهت اليك عقيب عيد الفطر صنيديق « دقلة » ولم تخبرني عنه فلم أدر ماذا صنع الله به؟ وصلك أم لا ؟

الرسالة الثالثة عشرة

تونس في محرم الحرام سنة ١٣٥١(*)

حضرة الاخ الفاضل المحترم سيدي محمد الحليوي.

تحية وسلاما.

وبعد فإنني أكتب اليك الآن وأنا على فراش المرض بالمستشفى وتحت مراقبة لاطباء وعلاجهم من نحو ستة أيام، وقد كان دخولي الى المستشفى فجائيا وغير متوقع أصلا لأنني قدمت الى الحاضرة يوم الثلاثاء الماضي لقضاء بعض مآرب وحالتي الصحية على غاية ما يرام فما قضيت يومين بالحاضرة حتى اشتدت عليّ العلة وشدت علي بأنيابها فدخلت المستشفى مكرها، وعلى كل حال فان حالتي الآن خير من يوم الدخول وإنني أتوقع قرب خروجي منه أن شاء الله.

(*) ماي ١٩٣٢.

وقد كان الدكتور « بروك » لما فحصني في الشتاء أمرني بعدم قضاء المصيف بتوزر فقر قراري على قضائه بنابل بجوار الصديق محمد البشروش واتفقنا على ذلك أو كدنا ولكن ذلك لا يتم الا بعد العطلة الصيفية التي لم يلبث عليها بالنسبة للاخ البشروش الا نحو أيام ٢٠. وحيث أنني وشيك الخروج من المستشفى - فيما أظن - فإنني لا أرغب في قضاء هاته الايام العشرين بالحاضرة ولا بتوزر لان كليهما لا يلائمني مناخه الآن.

وبودي لو أقضى تلك الايام بجوارك - ولهذا فالمرغوب من أخوتك ان تبذل جهدك في أن تبحث لي هناك عن « منزل » أستقر فيه هاته المدة القليلة وتعلمني بمقدار الكراء كما تبحث لي هل من الممكن أن أجد عجوزاً يمكنني أن أعتمد عليها في غسل ثيابي وطبخ طعامي الذي أعتقد أنه سيكون على غاية من البساطة والخفة والضبط ولا أحسب الطبيب يرخص لي الا في أكل الخضر واللبن والغلال فحسب.

هذا ما أرجو منك أن تجيبني عنه بسرعة وفي انتظار الرد تقبل تحيات أخيك المخلص.

أبى القاسم الشابي

ملحوظة:

كاتبني بسرعة بالعنوان التالي:

بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي القاطن بالمدرسة الجاسوسية نهج باش حانبة عدد ٧ بتونس.

الرسالة الرابعة عشرة

تونس في صفر ١٣٥١(*)

أخي:

تحية وسلاما،

وبعد فقد أنهيت اليوم علاجي وغداً عشيّة أقدم نحوك في السيارة الكبرى ان شاء الله ولكنني لا أستطيع لسوء الحظ أن أمتع النفس بلقياك أكثر من يومين أو ثلاثة وذلك إنني كنت عازماً كل العزم على قضاء المصيف بكامله ببنى خلاد - كما اتفقنا ولكن الطبيب أبى ذلك لما عرضته عليه ورغم بياني له ان الجهة صالحة من كل الوجوه فإنه أصر على رأيه قائلا: ان الزيتون رغم فوائده، لا أهمية له بالنسبة الي وانما المهم لي فهو هواء الصنوبر الذي أهواه من كل قلبي أو هواء «الكلتوس» وأيضا فإنه يؤثر لي الجهة الجبلية على الجهة المنبسطة السهلة ولذلك فقد قر قراري على «عين دراهم» لتوفر شرطي الطبيب فيها وقد أكتريت فيها محلا بثمن ربما كان باهظا.

وإن أسفي يا أخي يا أخي لعظيم جداً والله لحرماني من متعة حديثك وأدبك وهي متعة أعذب الى من جمال الطبيعة والحان الوجود الشجية ولكن ماذا تراني أصنع؟ ليس لي الا أن أزورك هاته الزورة القصيرة وأنا غير قانع.

هذه كلمتي الآن اليك وختاما تقبل تحيات وأشواق أخيك:

أبى القاسم الشابي

حاشية:

عفوا يا صديقي! فقد جاء كتابي بالرغم عني ممتلئا بالحديث عن

(*) جوان ١٩٣٢.

نفسي خاصة وقد كان بودي أن أحادثك في ما هو أجل وأسمى. لكن هكذا كان.

أرجو أن أجد عندك المقال «الشمس والقمر في الأدب العربي» لِأرجع به.

لا أستطيع ان أزيد فان الساعة الآن نحو نصف الليل وأنا أكتب على عجل وسلام عليك من أخيك.

الرسالة الخامسة عشرة

عين دراهم: في ربيع الأول سنة ١٣٥١(*)

أخي الاعز حفظه الله،

تحية وسلاما،

وبعد فقد اتصلت برسالتك بعد طول السكوت فلم أدر هل أطرب أم أعتب تقول يا صديقي انك لم تتصل مني بأي خبر مع إنني بمجرد وصولي الى هنا أرسلت اليك بمنظر من مناظر «بلد السحر والشعر والاحلام» وفي تلك الكلمة القصيرة قصة موجزة من اعجابي بهذا البلد وافتتاني بما فيه من فن وجمال على أنني لا أكتمك إنني فكرت واعتزمت الكتابة اليك عن هذا البلد الصبوح وغاباته الملفوفة في الضباب وأوديته البديعة الخضراء وجباله المكللة بأشجار السنديان وأردت أن أبسط اليك صورا من نفسي وحياتي في ظلال الغاب الذي قلت فيه من قصيد لم أتمه:

بيت بنته لي الحياة من الشذى والظل، والاضواء، والانغام

(*) جويلة ١٩٣٢.

بيت يرف عليه سحر غامض ساه، ويخفق فيه روح سام

وان الصور والافكار التي أردت أن أحدثك عنها ما زالت الى الآن تجوب جوانب نفسي ولكن الكسل أو الملل أو الخمول أو كل ذلك منعني عن الافضاء بها اليك. تقول اننا لم نلتق حتى في مجلة «العالم الأدبي» وهذا غير صحيح لأنني أسمعتك صوتي في العدد الاخير وربما كان صحيحاً من ناحيتك أنت لأنك ما زلت معتصما بسكوتك الذي لا أحمده رغم ما قطعته على نفسك من عهود ووعود وإنني يا صديقي لآلم كل الالم حينما أنظر اليك فأراك تؤثر الصمت على التحدث بأفكارك وخطراتك وتستسلم بكليتك الى تيار تلك المجتمعات الزائعة الفارغة «الثرثارة» وبعد هذا فإني أريد أن أنقذك يا صديقي ان سمحت: لقد قلت انك نظمت قصيداً في الاحتفاء بالوفد الذي جاء من صفاقس لزيارة أبي زمعة!

أمثلك يا صديقي يسف بمواهبه ونبوغه الى مثل هاته السخافات والمحقرات ويصبح بين ليلة وضحاها شاعراً مداحة وينشر اثره بجريدة «الوزير» بعد أن كان فكراً سامياً وروحاً قوياً ساحراً كنا نرجوه لاحياء الادب الميت والنهوض بروح الشعب الفنّية من كبوة طال عليها العهد. إنني أعتقد انك في قرارة نفسك تسخر كل السخر بما أتيت، لان ما اعرف من أفكارك وآرائك لا ولن يرضي عن هذا الصنيع. واذن فما الذي دفعك في هاته السبيل التي لا تسلكها مختارا؟ انه الشعب الاحمق المأفون وتيار تلك المجتمعات السخيفة الزائفة قبحها الله. ولقد كنت تحدثني أنك تأنف من نشر آثارك في مجلة «العالم الأدبي» لانك لا ترتضي مشربها المرذول، فما بالك تنزل الى النشر في الوزير؟ هل ان المبادىء شيء والعمل شيء آخر؟ كلا! فانك عندي وفي نفس الحقيقة أرفع من هذا وأجل ولكن هو المجتمع السخيف دفعك الى اقتراف الخطئة الأولى والثانية فكنت آثما مرتين. وأنا أرجو يا صديقي أن تكون فوق بواعث الجماعات الحقيرة وصغائرها، هاته الجماعات التي هي عندي:

لعب تحركها المطامع واللهى وصغائر الاحقاد والآراب

أود أن أراك أبداً فوق هاته الجماعات الثرثارة لأن ذهنا مثل ذهنك لا ينبغي أن ينساق في موج هاته الجماعات الصغيرة التي لا تستحق الا العطف والرثاء أو السخر والاستهزاء هذا نقد شديد يا أخي ولكنه الحب الصادق والتقدير العميق هو الذي أملى تلك الشدة وما أحسب صدرك الواسع الحليم سيتقبل نقدي بما أعهده فيه من ود واخاء.

أما المعافاة فان سيرها بطيء جداً حتى إنني وانا محوط بعوالم من جمال وسحر قد ينقبض قلبي وتضيق أمامي رقعة هذا الفضاء وتسد عليّ السآمة والقنوط كل مذاهب المتعة والفكر والاحلام فأقتل ضجري بالنشيد وأزجي ركب الحياة المبطىء الكئيب بأنغام تلهمني اياها الغابة المصغية لشدو الطيور.

أما الشعر فقد لبثت نحواً من عشرين يوماً لا يخفق في نفسي شدوه أو غناؤه ثم أخذتني النوبة وانا لها كاره فلفتني في مثل العاصفة الهوجاء التي لا ترحم وملات على صفو الحياة السنة الهواتف التي لا تسكت وتهادت حول قلبي الصور والأشباح والخواطر والذكر ولم تفارقني في نوم ولا يقظة حتى لقد اضطرب على النوم في اليومين اللذين استيقظت فيهما روح الشعر الخفية الغامضة وحتى رجوت من الله أن يرحمني وينقذني من هاته الثورة العنيفة العاصفة وقد فعل.

لقد قلت: «أخذتني النوبة» وهي حقيقة فإنني منذ عام أصبحت ألبث الشهر والشهرين لا يتحرك في نفسي صوت ولا صدى ثم تأتي النوبة بعنف وشدة وتلبث اليوم واليومين والثلاثة تنغص عليّ فيهما الحياة ثم تخبو وتغيض - وتلك صورة من نفسي فحدّثني عن نفسك وآمالك وأفكارك يا صديقي.

أبو القاسم الشابي

أرجو أن تزورني هنا فان الاخوان: خريف ومهيدي سيزورونني ولا أخالك تبخل بالزورة والسلام.

الرسالة السادسة عشرة

عين دراهم في ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥١ (*)

حضرة الأخ الأعز
تحية وسلاماً

وبعد، فقد رأيتك في رسالتك تنقم على مجلة «العالم الأدبي» ترشيحها للشعراء الثلاثة وترى أن ذلك الترشيح لا يخلو من ريبة وشك وبهتان وتعزم على ابداء رأيك في الموضوع بحرية تامة وعلى اتمام موضوعك الموعود «الشعر في تونس».

وقد حمدت لمجلة «العالم الأدبي» إغضابك الذي سيثيرك من خمولك ويهز من نفسك وتراً طالما حاولت ايقاظه ثم لبثت أنتظر هذا الموعد المأمول في النهضة فلم أجد لحد الآن شيئاً سوى أخبار مجلة «العالم الأدبي» بعزمك ذاك واعلانها انتظار كلمتك وانني لا أخالك إلا جاداً في تسطير رأيك أو ربما كنت قد أتممته وهو الآن بإدارة النهضة ينتظر دوره. أليس كذلك؟

لست أدري وإنما ننتظر الجواب منك أو من المستقبل المنظور.

اننا ننتظر! والسلام عليك من أخيك:

أبي القاسم الشابي

(*) ١٢ أوت ١٩٣٢.

الرسالة السابعة عشرة

عين دراهم: في ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥١(*)

أخي الأعز
تحية وسلاماً

وبعد، فقد مضى علي شهر وأنا بعيد عن عين دراهم بين الحاضرة ومجاز الباب وقد تصرم ذلك الشهر في لجاج وخصام وأعمال مادية ممضة مؤلمة حتى لقد حسبت أنها سيكون لها أثرها السيء في التأثير على صحتي ولكن الله سلم فإن صحتي الآن خير من قبل وقد كان لمقالك «الشعر في تونس» أثره الهائل وصداه البعيد في الأوساط الأدبية بالحاضرة فقد أثار ضجة عاتية من السخط والنقمة والإعجاب والنقد وأنني لشاكرك عليه يا صديقي إلا أن لي بعض ملحوظات نقدية تتعلق ببعض الأفكار التي تضمنها ربما نشرتها قريباً في «العالم الأدبي» أو الزمان وعلى ذكر «الزمان» فإنني أعلمك أن الأخ «مهيدي» قد قرر تخصيص قسم أدبي به كل أسبوع وان مقالات الأخ عبد الخالق هي البداية في هذا الصدد ولهذا فإنني أعتقد أنك لا بد أن تخرج من صمتك الطويل لتبحث في الأدب الذي اشتاق الى قلمك فإن أمامك الآن «الزمان» العالم الأدبي ولا عذر لك في السكوت بعد الآن.

اتصلت عند رجوعي أول أمس- برسالتك الكريمة وإنني لأشكرك على ما أظهرت فيها من اخاء غير مجهول وان كنت لا أرى داعياً لمثل هاته التحرزات فيما بيننا علم الله فإن صداقتنا خالدة لن تضعف او تزول وان كنت تحسب أن النقد ربما يعصف بهاته الرابطة السرمدية التي بين قلبينا فإنك واهم يا صديقي وقديماً قلت لك في بعض رسائلي إن الصداقة شيء وحرية الرأي شيء آخر. وإذن

(*) ١٩ سبتمبر ١٩٣٢.

فلنكن صديقين ولتكن لنا آراؤنا الحرة في الحياة ومن بينها أنا وأنت.

ظهر كتاب جديد تحت عنوان «على السفود» عباس محمود العقاد ولم يذكر عليه اسم مؤلفه وإنما قيل: «لإمام من أيمة العربية» وما أحسبه إلا الرافعي - فإن مقدمة الكتاب تشتم منها روحه المستثقلة المرذولة وأسلوبه المتكل الممجوج - تناول فيه العقاد شاعراً وكاتباً وفيلسوفاً والحق أقول لك يا صديقي إنه قد ترك العقاد بالحق والباطل هيكلاً محطماً وصنماً مسحوقاً وقد ركب العقاد في هذا الكتاب بالدعاية الخبيثة والمجون الأليم والسخرية التي لا تنتهي عند حد ولا تتحرج من غاية مهما سفلت حتى لقد سمى العقاد بـ«المراحيض» لأن العقاد قال في ابن أخته:

مرحاضه أفخر أثوابنا

وأخيراً فإني آسف جد الأسف على أنك لم تزرني في هاته البلاد، أما أنا فإنني رغم ذلك لا بد أن أزورك قبل رجوعي الى الجريد.

فإلى اللقاء يا صديقي في رسالتك المنتظرة قبل بني خلاد وسلام عليك من أخيك:

أبي القاسم الشابي

الرسالة الثامنة عشرة

تونس في ١٧ جمادى الثاني ١٩٥١ (*)

حضرة الأخ الأعز
تحية وشوقاً

وبعد، فقد كنت مع الأخ المهيدي حين اتصل بكتابك وصحبته مقالك عن الرافعي والعقاد وكم كنت مسروراً وأنا أمني النفس بلقياك يوم الأحد كما قلت. ولكن أبى الله علي هاته الفرحة الصغيرة الكبيرة في آن واحد فقد قضت عليّ ضرورات الأيام القاسية أن أغادر الحاضرة إلى مجاز الباب يوم الجمعة وأن لا أرجع منها إلا عشية الأحد وبعد سفرك بنحو ساعة!... وفوق ذلك فإنني لم أقض المآرب التي غادرت الحاضرة لأجلها ورجعت كما ذهبت بلا شيء... إلا حيرة الفكر وعبء العمل التائه.

لقد مللت يا صديقي وطأة هاته الظروف الثقيلة ولكن ما عساني أن أصنع وليس لي من ولي أو نصير في زحمة هاته الدنيا المرهقة.

وأخيراً فإنني سأخفف بلقياك عن النفس بعض ما بها من مضض الدنيا ونكد الأيام، فانتظرني مساء الأربعاء بعد غد فإنني قادم نحوك في السيارة الكبرى التي تصلكم مساء. وتقبل تحيات أخيك وأشواق قلب أبي القاسم الشابي.

حاشية:

لك التحيات والأشواق من الأخوان: عبد السلام الشابي، أحمد الشابي، مهيدي، خريف.

أبي القاسم الشابي

(*) ١٨ أكتوبر ١٩٣٢.

الرسالة التاسعة عشرة

عين دراهم: في ٥١/٦/٢ (*)

أخي الفاضل الأعز. أمتع الله به
تحية وسلاماً

وبعد، فقد لبثت نفسي تدافعني الى نقدك وأدافعها ردحاً من الزمن بعد ما كاتبتك. ثم أنني كتبت النقد بعد صراع مع النفس عنيف وهو ينحصر في نقط ثلاثة:

١) حصرك وظيفة الشاعر في تصويره لعصره ومصره.

٢) جعلك لبشار شاعر فلسفة وكلام.

٣) اتخاذك الشهرة مقياساً لعظمة الأدب.

والذي دفعني الى اشراك القراء في هذا النقد:

١) ما يفهمه الناس من أن النقد والعداء لفظتان مترادفتان.

٢) سكوتك أنت طيلة العام الماضي واعتزالك الأدب والكتابة.

وقد صرحت بهذا في نفس المقال: على أنني أحسب أن ما دفعك إلى هاته الآراء التي استغربتها منك إنما العجلة في كتابة مقالك فإن عليه طابع السرعة والتعجل ولكن إذا جاز لنا أن نتعجل يا صديقي في كتابة رسالتنا الخاصة فإنه لا ينبغي لنا ذلك ونحن نكتب الأدب للعموم.

لا أدري ما سيكون رأيك فيما كتبت؟

وصلتني رسالتك أمس وأنا أكتب آخر كلمة من المقال وما أخرني في كتابته الى هذا الحد إلا شواغل واجتماعات ما كانت في الحساب، ثم حيرتني بين الإقدام على النقد والإحجام عنه. ولهذا فإنني لن أوجهه في البريد لأنني سأذهب

(*) ٣٠ أكتوبر ١٩٣٢.

الى الحاضرة يوم الأحد المقبل ان شاء الله ولهذا فالأفضل أن أحمله بنفسي حتى أقف على تصحيحه، فان مصيبة الأخطاء المطبعية شنيعة في هاته البلاد.

لا أدري إلى الآن هل أنشره بالزمان أو بالعالم الأدبي وحينما أذهب الى الحاضرة أقرر أحد الرأيين.

رأيت كلمتك عن «العالم» وأنا ما كنت أتوقع منها غير ذلك فقد كنت أعلم أن رئيس تحريره ليس سوى آلة يديرها محي الدين و... ومن لف لف هذين من تلك الطائفة المرذولة. إذا شئت أن نتلاقى بالحاضرة يوم الجمعة المقبل فإنك تجدني بالمدرسة اليوسفية، يصلك كتاب «على السفود» صحبة هذا - انني أعتذر إليك من هاته الخلبطة والخلط والأفكار المشوشة والجمل البتراء، فإنني أشعر بفتور ذهني وملل نفسي وسلامي عليك مضاعف.

أخوك: أبو القاسم الشابي

الرسالة العشرون

توزر «الشابية» في ١ شعبان ١٣٥١(*)

صديقي العزيز،

تحية وسلاماً وبعد، فقد اتصلت أمس برسالتك الصغيرة التي كانت بشيراً أثلج الصدر وسر الفؤاد وأزاح عنه عبئا ثقيلاً من المخاوف والأحزان والشكوك وأنني أهنئك بنجاح عملية الوالد وأسأل الله أن يمتعك به ويمتعه بك عمراً طويلاً ودهراً مديداً.

وانني وجهت لك اليوم على طريق البريد صندوق دقلة من ذوات العشرة

(*) ٣٠ نوفمبر ١٩٣٢.

كيلوات وفي الختام تقبل تحيات صديقك المخلص:

أبي القاسم الشابي

حاشية:

لقد كان بودي يا صديقي أن أطيل معك الحديث ولكنني لا أستطيع الآن فإنني مضطر أن أحرر الساعة تسع رسائل وأكثرها مما يقتضيني الإطالة فألتمس عذرك في هذا الإيجاز المقتضب ولعل المستقبل يغتفر سوءة الحاضر ـ والسلام.

الرسالة الواحدة والعشرون

توزر «الشابية» في ٥١/٩/٤(*)

أخي الأعز،
تحية وسلاماً،

وبعد، فإن الليل الآن صامت ساج، والطبيعة هادئة ساكنة. والناس لائذون بالبيوت من برد الظلام، وأنا والأخ عبد الخالق نتحادث فيما سنفضي إليك به.

لقد فكرت أنا والأخ عبد الخالق في تأسيس مشروع لا غاية له سوى النهوض بالأدب من كبوته في هاته البلاد المنكودة، فكرنا في أن نبذر نواة الحياة الأدبية في تونس وذلك بأن يضع كل منا مقداراً من المال بإحدى البنوك أو بعض فروع البريد وما يتجمع من الأصل والفائدة يكون تحت طلب من يريد طبع كتابه من المؤسسين، فيطبع منه كتابه كقرض يقترضه ثم يؤديه بعد ذلك وهكذا دواليك.

وبهذا نكون قد فرجنا أزمة النشر في تونس على بعضنا ـ في الأقل ـ وهاته

(*) ١ جانفي ١٩٣٣.

الفكرة قد كنا تفاوضنا فيها في الصائفة الفائتة وكنت أنت من محبذيها والداعين إليها. وهي لا تحتاج إلا للعمل والتنفيذ وتنفيذها سهل للغاية فإننا اذا وضع كل من ثلاثتنا فرنكات ٧٠٠ لهذا الغرض أو ألف على الأكثر تكوّن المشروع وبرز إلى حيّز الإيجاد. على أننا يمكننا بعد ذلك ادخال عناصر أخرى معنا ان كان ذلك ميسوراً وإلا فحسبنا اننا عملنا لفائدتنا عملاً منتجاً مفيداً.

ولهذا فقد عرضنا عليك فكرتنا وفي انتظار الجواب تقبل تحيات أخويك:

أبي القاسم الشابي ـ محمد البشروش

حاشية:

ورد علي في بحر الأسبوع الماضي العدد الرابع من مجلة «أبولو» المصرية وهي مجلة «لخدمة الشعر الحي» كما يقول محررها. وهذا العدد الرابع خصصته بشوقي وأخباره وآثاره ودراساته بين شعر ونثر بصفتها هي لسان جمعية «أبولو» ولأن شوقي أول رئيس لهاته الجمعية ثم ورد علي بعد ذلك بيوم من سكرتير الجمعية ورئيس تحرير المجلة الدكتور «أبي شادي» مكتوب قال فيه إنه وجه لي العدد المذكور الى «مطبعة العرب» لجهله بعنواني الخاص وانه يرغب مني امداد المجلة بما يمكن من شعر ونثر. لست أدري هل وجه مثل هذا الكتاب لغيري من شعراء تونس وأدبائها وانني سأجيبه وأوجه له اشتراكي وشيئاً من الشعر.

أخوك: أبو القاسم الشابي

أهنيك بشفاء الوالد وأرجو لك في ظله حياة سعيدة منتجة.

الرسالة الثانية والعشرون

توزر في ١٣٥١/١٠/٢٦(*)

أخي العزيز
تحية وسلاماً

وبعد، فقد وردت علي رسالتك الحبيبة فما ذكرت ناسياً ولا نشرت ما في القبور، ولكنها عانقت في النفس ذكراً لك حياً وولاء قوياً، فكيف سولت لك نفسك يا صديقي أن تحصب أخاك بظنون آثمة ليس لها من الحق نصيب، ولكن ما لنا ولهذا؟ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الود لك ما ظننت.

أما كلمة «قبر الفولاذ» التي راسلت بها الأخ البشروش فقد كتبتها أثر ثورة نفسية عصفت في نفسي ومن حوالي، وأنت تعلم أنني رجل نوبات - وقد كان من أسبابها أنني لم أقتنع بما في رسالتك الأولى من قول وحجة، وأنني أصارحك بعد أن قرأت رسالتك الأخيرة أنني مقتنع برأيك مؤمن به. وأنني أعتذر إليك عما في تلك الكلمة من قسوة وعنف بثورة النفس وضعف الاقتناع. فهل أنت غافر؟

وأنني على رأيك في أنه لا غضاضة علينا من الدخول في جمعية التأليف والنشر المزمع على تأسيسها في تونس - ان صحت - ولكن على شرط أن لا يكون في بنودها ما ينافي مبادينا المقدسة التي كرسنا لها ما لنا من قوة وحياة.

شكوت يا صديقي من جمود الشعب، وركود الأدب وموت أحلام الأديب، وشكوت من قسوة هاته الحياة التي تجر الواحد منا على أن يحيا حياة السوقة والرعاع، حياة السخافة والجمود، حياة المادة الصماء الضيقة التي لا ترحم فكراً ولا عاطفة ولا خيالاً، ولا تحيي مثلا من الأمثلة العليا أو طيفاً من أطياف الحنين الأعظم والشوق الإلهي النبيل... وهي شكاة لا تسمع في هذا القطر الضائع

(*) ٢٢ فيفري ١٩٣٣.

المغمور، لأنه لا يفهمها إلا أفراد قلائل. ولا يحس بها إلا الأقل، ولا يتغنى بها إلا بضعة قلوب غريبة هائمة في مجاهل الأحلام ولكن ما لنا وشكوى الحياة؟

فمن تألم لم ترحم مضاضته ومن تجلد لم تهزأ به القمم

لنترك الألم جانباً، ولنصعد بأقدام ثابتة جبل الدنيا المقدسة جبل الفن والفكر والأحلام.

فالمجد في القمم الرفيعة، مالىء جبل الحياة بضوئه الخلاّب

ولنعرض بأبصارنا عن أشباح الموت وغيلان الظلام السارية في أعماق الوادي وفي شعاب الجبل، ولنصرف أسماعنا عن صرخات اليأس وأصوات الأبالسة، فإن في الذروة العليا موسيقى الوجود الخالدة وفجر الحياة السرمدي.

ولنرتفع يا صديقي بأجنحتنا الصغيرة فوق هاته الحيوات الحقيرة التافهة ولنحلق في آفاق النور والحق والجمال بكل ما في إيماننا من حماس وبكل ما في شبابنا من قوة وحياة طموح.

كذلك يا صديقي أكتب حينما يهيج بقلبي روح الأمل وتطغى حوالي أمواج الشباب ولكنني اذا رجعتُ إليَّ نفسي وثابَتْ إلي أشباحي الدامية وقرت حوالي أمواج الشباب وسكنت ألسنة الحياة الهاتفة، اذ ذاك تتراخى أجنحتي وتغشاني سكرة الموت وأهوى الى لجة اليأس المظلمة هوى «ايسكاروس» الى أعماق البحار. أجل يا صديقي، وان في نفسي من مضاعفات اليأس أضعاف ما أنت فيه: فهذا الداء الذي يخايلني كل يوم وساعة بأكفان القبر وظلام الرموس، هو وحده كاف لأن يهد عزائم الأقدار.

انه لا يحزنني شيء في هذه الدنيا أكثر مما يحزنني التفكير في أنني أموت قبل أن أؤدي رسالة الدنيا التي أحس أنني لم أخلق لغيرها في هذا العالم.

رسالة! أي سخافة وأي جنون؟ كبرت كلمة ينطق بها فمي ويكتبها قلمي على صفحة هذا القرطاس. ومن أنا حتى أؤمل هذا الأمل أو أنتخب لهاته الغاية؟ ان

أنا إلا صدفة مكسورة تضطرب في لجة الزمان وستمسي بداداً في أكف الرياح المظلمة اليوم أو غداً.

لست أدري يا صديقي كيف كتبت ما كتبت وهي على كل حال ثرثرة سخيفة أرجو أن تمر عليها ببسمة مشفقة وأن شئت فلتكن بسمة الساخر الحنون.

★ ★ ★

ثم ماذا عساي أن أحدثك عن حياتي المقفرة؟ لا شيء فيما أظن، ولكن آه، لقد ذكرت. لقد طلب مني في هاته الأيام طائفة من الشبان أرباع المثقفين أن نسعى لتأسيس ناد أدبي بتوزر فقابلنا عامل الجهة وتحادثنا معه في هذا الغرض فوجدنا منه نفساً غير نافرة وقد وعد بإعانة المشروع بما يستطيعه وقد أحضرت منذ يومين القانون الأساسي وأظن أننا سنقدمه الى المراجع ذات النظر بعد يوم أو يومين، وقد كان في الإمكان تقديمه اليوم أو أمس ولكن الجو منذ ثلاثة أيام مغبرّ والرّياح عاصفة تسفي الرمال على الأبصار فتكاد تعميها وتلحس الوجوه ببردها الشديد فتكاد تسلخها، والناس ـ أو أنا ان شئت الدقة في التعبير ـ لائذون بالبيوت، بحيث أنني منذ زوال أول أمس لم أغادر منزلي. ثم ماذا؟ لا أدري ولكن لأتناول رسالتك علي أجد فيها ما يفتح أمامي باباً للحديث ويدحو لي دنيا من التفكير والكتابة..، إنك تتحدث عن «أبولو» وتقول: «انها مجلة عالية وسيكون لها أثر عظيم في توجيه الشعر العربي من النزعة المدرسية الى النزعة الرومانتيكية وقد أعجبت بها جداً..». وأنا أشاركك في هذا الإعجاب، ولكنني أرى أن بينها وبين السمو خطوتين الأولى: أن يقسو صاحبها في انتخاب ما يرد عليه فلا ينشر إلا ما سمت روحه وشرف أسلوبه حتى أصبح جديراً ولو أقل من «كل الجدارة» أن يصير «فنا» فإني أراه في كثير من الأحيان ينشر بعض الأشعار السخيفة المبتذلة في روحها أو أسلوبها بالرغم من أنه كثيراً ما يصرح ويصرح له بأنه يجب أن يكون قاسياً لا يعرف مجاملة أو هوادة في سبيل الحق والفن: ولكنها خطوة أعتقد انه سيخطوها في مقتبل الأيام. الخطوة الثانية:

مشاركة عظماء مصر في تحريرها كالعقاد والمازني وطه حسين ومن لف لفهم، فإن الطبقة التي تحررها هاته الأيام وخصوصاً ـ في الناحية النثرية ـ ليست من القوة في شيء.

أما علاقتي أنا «بأبولو» فقد حدثتك في رسالتي السالفة بأنني وجهت لها قصيدتين ومعلوم الاشتراك وطلبت من صاحبها أن يوجه إلي الأعداد الأولى منها. وقد ورد علي كتاب منه بعد ذلك وطيه معلوم الاشتراك نفسه قائلا انه يستميحني عذراً في إرجاعه لأن المجلة توجه الي كهدية خالصة وصحبته ورقة مطبوعة في طلب العضوية بجمعية «أبولو» وطلب مني تعميرها وامضاءها وتوجيهها حتى يضمن أسمي في ثبت أعضائها كما طلب أن أرسل صورتي لتنشر بالمجلة كما أهدى إلي نسخة من ديوان له حديث اسمه «أشعة وظلال» ووجه الي الأعداد الأولى من المجلة، وإلى هنا أقف يا صديقي لأسألك ما رأيك في أخلاق أدباء مصر وصحافييها الآن؟ ثم لأقول لك أيضاً: ما نسبة أخلاق أدباء تونس وصحافييها إلى هاته الأخلاق النبيلة الفاضلة؟ لست أدري ما سيكون جوابك، وقد أهديته من «الخيال» نسخة ووجهت ثلاث قصائد لمجلته وصحبتها مطلب العضوية والصورة، منذ نحو ٣ أيام.

ذكرت لي أن جريدة «السياسة الاسبوعية» عادت إلى الظهور، والذي أعلمه انها تظهر الآن باسم ملحق السياسة اليومية الأسبوعي. فهل عادت إلى اسمها القديم أيضاً؟

وذكرت أنك تريد أن تكاتب السياسة الأسبوعية وتنشر على صفحاتها وحي أفكارك. ورأيي أنا الذي يجب أن أصارحك به ان كبرياء مصر وفرعونيتها إنما تتمثل في جريدة السياسة الأسبوعية وجماعتها أكثر من كل صحيفة وفريق، وأنني أفضل نشرك أبحاثك في «أبولو» لأسباب.

١) لأنها مجلة خلقت لخدمة الأدب العربي بقطع النظر عن الفروق الوطنية والسياسية.

٢) لأن جماعتها أقل فرعونية وأدمث أخلاقا من جماعة السياسة الذين على رأسهم هيكل أول داع للفرعونية ومشيد بها ـ وقد رأيت من أخلاق جماعة « أبولو » ذلك المثل الصغير الذي ذكرته لك.

٣) أن جماعة « أبولو » ما زالوا شبانا لم يبلغوا الكهولة بعد ولم يبلغوا من الشهرة وشيوع الذكر ما ينفخ في آنافهم نفخة الشيطان بعكس جماعة السياسة.

ولهذا فإن اقتنعت برأيي وبدا لك النشر في مجلة « أبولو » فإن مما يسر أخاك ويثلج قلبه أن يكون واسطة التعارف بينك وبين جماعتها وأن ينشر أدبك وأدبه متئاخيين في سجل واحد ولا تحسب أنها لا تنشر إلا الشعر فإنها تسر بالأبحاث النثرية وخصوصاً إذا كانت حول الشعر العربي الحديث أو القديم أو الأدب الافرنجي.

وأنني أنتظر بفارغ صبر رسالتك بالإيجاب وبحثك الرائع الجميل الذي لا أستطيع أن أنظر به ما نشرته المجلة لحد الآن من بحث ونثر. نسيت أن أذكر لك أن مما طلبه مني أبو شادي في رسالته الثانية أن أمده من حين لآخر ببعض الدراسات والأبحاث وعلى الخصوص في الأدب الفرنسي! فصاحبنا يعتقد أني أعرف الأدب الأجنبي ولذلك يطلب مني هذا الطلب. وانه ليحز في قلبي يا صديقي ويدمي نفسي أن أعلم أنني عاجز، عاجز، عاجز، وأنني لا أستطيع أن أطير في عالم الأدب إلا بجناح واحد منتوف. فعساك إذن تلبي رغبتي، وأنني في انتظارك.

لقد ظهرت مجلة أسبوعية جديدة تصدر مؤقتاً نصف شهرية تحت اسم « الرسالة » يحررها طه حسين وهيكل والعقاد وعنان وأحمد الزيات صاحبها وغير هؤلاء وهي مجلة قيمة ان دامت على مسلكها هذا وقد ظهر منها لحد الآن عددان ـ فيما رأيت ـ وصاحبها يزعم أنه أصدرها بمشاركة « جماعة الترجمة والتأليف والنشر » لرفع راية الأدب العالي الذي طغت عليه السياسة وأوراق الأدب الوضيع ـ فهل اطلعت عليها أنها من ألزم اللازم للأديب الذي يريد أن يتصل

معنويا بعظماء مصر في الوقت الحاضر.

لم أقابل الأخ البشروش من عهد بعيد. وسلام عليك من أخيك المخلص

أبي القاسم الشابي

الرسالة الثالثة والعشرون

توزر: ١٣٥١/١٠/٢٨(*)

أخي العزيز،

تحية وسلاماً

وبعد، فقد أهداني أخونا مصطفى خريف ـ أول أمس ـ ديواناً جديداً للعقاد، اسمه «وحي الأربعين» وهو يقع في نحو التسعمائة بيت، في شكل جميل صغير وطبع متقن وورق مختار. وفيه ما شئت من فلسفة ناضجة في الحياة والناس. وغزل مطلول، ووصف شامل نفاد، وسخر لاذع عميق أما أسلوبه فهو أرقى من أسلوب أشعاره الماضية، ولا غرو فهو شعر العقاد نظمه حوالى عام الأربعين من سني حياته ـ وهذا هو وجه التسمية، وأني أرجو أن لا يفوتك اقتناؤه.

لقد مر بي أمس حضرة الأخ البشروش في طريقه الى صفاقس لامضاء امتحان الترسيم وقد سلم الي رسالته إليك وقصيده اللذين يصلانك صحبة هذا. وقد رغب إلى أن أقول لك انه يرغب أن نطلع بعضنا على رسائلنا التي نتبادلها حتى تكون هاته الرسائل بمثابة صحف خاصة. بحيث أنني أطلعه على رسائلك التي ترد الي ويطلعني كذلك ونطلعك نحن على رسائلنا المتبادلة. وبناء على ذلك سلم إلي رسالتك لأطلع عليها. وقد أضاف الى قوله المتقدم: انها ربما يأتي عليها اليوم

(*) ٢٤ فيفري ١٩٣٣.

الذي تنشر فيه على الناس كما يفعل ذلك أدباء الغرب في كثير من الأحيان. أما أنا الآن، إن شئت أن تعرف ذلك، فان نوبة الشعر تمتلك على عواطفي وأفكاري وإن ربة الشعر تعزف على قيثارتها الذهبية أناشيدها بعنف هائل ترتج له أعصابي المرهفة، ولست أدري متى تسكن «النوبة» وتتوارى ربة الانشاد في أفقها الغامض البعيد.

لقد كنت حدثتني في رسالة سابقة عن «مزامير داوود» فإن أمكنك توجيهها الي قريباً فافعل ولك الشكر.

لا زلت أنتظر رسالتك في شأن «أبولو» اننا نريد أن نرفع من رأس «تونس» بما لنا من حول وقوة فكن ثابت العزم قوياً على الأيام.

سلام عليك وألف شوق وولاء خالد.

أخوك المخلص

أبو القاسم الشابي

الرسالة الرابعة والعشرون

توزر الجريد الشابية ١٣٥١/١٢/٣(*)

أخي الأعز،

أحييك، وأهنيك على نجاحك في دراسة رومانتيكية الأدب الفرنساوي، أقول أهنيك بالنظر لما أثارت في نفسي من لذة وإعجاب ولما أدركت فيه من دقة واستيعاب. وإلا فإنني لا أعرف الأدب الفرنساوي - كما تعلم - حتى أقول لك أنك وفقت كل التوفيق في الإحاطة والدرس والاستنتاج، وان كنت أشعر أنك

(*) ٣٠ مارس ١٩٣٣.

كذلك فإن ما طالعت من دراسات عن هذا الأدب يسمح بأن أقول هذا القول. أما كلمتك عن ابن رشيق ورأيه في الشعر والشاعر فهي كلمة موفقة كل التوفيق سديدة كل السداد، وأنني لا أشك أن أبا شادي سيراسلك معجباً طالباً إمداد المجلة بدراساتك القيمة، أما أنا فإنني لا أريد منك أن تكف عن العمل منتظراً ما ستكون النتيجة مع «أبولو» وإنما أريد منك أن تتابع دراساتك عن الأدب الفرنساوي وغيره وإنما ألاحظ لك أنني أود أن تضيف الى الدراسة العامة عن أطوار الأدب الفرنساوي، دراسة خاصة أثناء ذلك عن أعلام كل طور حتى تكون الدراسة وافية شاملة لها شواهدها وآياتها.

اليوم وجهت دراساتك الى «أبولو» ومعها ثلاث قصائد لي: ١ قلب الأم ٢ الأبد الصغير ٣ في ظل وادي الموت.

ولاحظت له عن الأخيرة أنها نشرت من قبل حتى يكون على بينة. كما أرسلت كلمة رد على الأديب مختار الوكيل وقد لاحظت أن يكون الرد وادعاً رقيقاً وأنني أصارحك أنني لما طالعت «أبولو» فكرت في الرد عليه حتى جاءتني رسالتك السابقة فأيدت عزمي. وقد قدمتك الى أبي شادي ولا أكتمك أن التقديم كان أقل مما يجب لأني خفت أن أتهم بالصداقة وعواطفها إن فعلت كما أعتقد. وعلى كل فشيء خير من شيء.

زارني أمس الأخ البشروش في طريقه الى بلده ليستريح مدة عشرة أيام أو نصف شهر لأنه يشعر بتعب كلي في بدنه أرهقه واستيقظت علته (الضعف العصبي) فأتعبته جداً شفاه الله، وهو يحييك معجباً بأدبك وان كان لم يطلع على دراساتك هاته فقد اتصلت بها بعد سفره بساعة. تقبل تحيات أخيك المخلص لك:

أبي القاسم الشابي

ملاحظة:

كان مجموع دراستيك وقصائدي الموجه الى «أبولو» ظرفاً ضخماً يستطيع وحده أن يقوم بعبء مجلة شهرية!! ولهذا فإنني أعتقد أنه لو يوفق عزمان قويان الى التآلف لاستطاعا ان يخرجا إلى العالم العربي مجلة شهرية قيمة تجعل لتونس الحقيرة مكاناً رفيعاً في عالم الأدب الحي. ولعل الزمن يسمح بذلك يوماً! ومن يدري! لا تتوان عن مراسلتي أيها الأخ.

الرسالة الخامسة والعشرون

توزر الجريد الشابية ١٣٥١/١٢/٢١(*)

سلام على حضرة الأخ الفاضل العزيز

وبعد، فقد طالعت في «أبولو» الأخير كلمة كتبها بعض نكرات مصر عن ديوان العقاد علمت فيها أن العقاد قد استدل على مكانة شعره في نفوس العالم العربي - فيما استدل به - بكلمتك التي كتبتها في الرد على «إمام العربية» المزيف وفي الاشادة بالعقاد. وقد سرني هذا الخبر حقا ودلني على أن صوت تونس في الأدب لم يعد خافتاً ولا مجهولا. وفي ذلك ما يهون على النفس بعض أشجانها. أما ذلك الكاتب الذي قال عنك أنك «نكرة» فإنه يحق لنا أن نتساءل: وأي المعارف هو؟ أما أنا فلا أراه والله إلا نكرة النكرات...

وقد كنا نتحدث - أنا والبشروش - حول هذا الموضوع حينما وردت علي رسالتك الأخيرة وفيها رأيك عن «وحي الأربعين» وإذا كان لي أن أنكر عليك

(*) ١٧ أفريل ١٩٣٣.

من هذا الرأي فهو زرايتك على العقاد نظمه البيت والبيتين وقولك أن النفس تأنف من ذلك وتأبى أن يكون نفسها غير ممتدٍ!

فالعبرة يا صديقي عندي دائما هي بنوع الشيء وعلو عنصره وكرم معدنه لا بكميته وكثرته وكم من مطولات ممدودة النفس لا يعثر فيها المرء على ما يسكر القلب أو يغذي الفكر. ثم ألا ترى معي أن قولك أن النفس تأبى إلا أن تكون ممتدة النفس هو ضرب من «تحكم الإرادة» الذي تنعاه على العقاد في شعره؟

أما أنا فلا أفهم من الشعر إلا أنه: فيض الحياة في أيقظ ساعاتها وأحفلها بنوازع الفكر والشعور، وكما ان السحابة العابرة قد تسيل السيول وقد تسكب القطرات، كذلك نفس الشاعر.

أما الأخ البشروش حينما اطلع على رأيك فقد قال مداعباً: ان الأخ الحليوي قد أشاد بشعر العقاد حينما رد على «إمام العربية» وقد ساقه العقاد حجة على أثر شعره في العالم العربي. وأنكر عليَّ أن أجعل من العقاد شاعر «الاختيار» وها هو ذا ينفي عليه اليوم الشاعرية الصادقة الحرة! فبأي آرائه نأخذ؟ ما أرى إلا أن ننشر رأيه هذا الأخير ليطلع عليه العقاد وتكون له كلمة حوله!..

وافترقنا بعد ذلك واذا به يسجل دعابته تلك في أبياته التي تصلك صحبة هذا. ولست أدري ما قولك في قوله هذا.

بودي أن أطلع على كلمة العقاد التي استدل فيها بكلامك فان وقعت عليها فأرجو أن ترسلها الي.

ما زلت أفكر في أمر المصيف وسأعلمك بما أرسي عليه ـ سلام عليك من أخيك المخلص:

أبي القاسم الشابي

حاشية:

أعارني الأخ البشروش ديوان ابن زيدون الذي طبع حديثا ولا

أدري هل اطلعت عليه أم لا ـ وأنني الى الآن لم أقرأه وربما تحدثت اليك عنه برأيي بعد قراءته ـ أما رأي العقّاد في شعر ابن زيدون فلا أخالك إلا على علم منه.

أبو القاسم الشابي

الرسالة السادسة والعشرون

توزر الجريد ١٢/١١/١٩٣٣

عزيزي الأخ محمد الحليوي
سلاماً وتحية

وبعد، فإنه تصلك مع هذا رسالة من هيئة «أبولو» وجهوها صحبة رسالة لي لجهلهم بعنوانك الخاص. واني لم أتصل بهاته الرسالة إلا أمس عند قدومي الى توزر. فقد وجهوها الى مصطافي «المشروحة» وفرع البريد هناك أرسلها الى توزر، وأهلي تسلموها وأبقوها عندهم فلم اتصل بها إلا عند مقدمي اليهم. وأغرب ما في الأمر وأدعاه الى خجلي العميق أن الرسالة الموجهة الي قد طلب الي فيها أبو شادي كتابة تصدير لديوانه «الينبوع» الذي يباشر طبعه الآن ووجه الي ثلاث كراسات وهي ما طبع من ديوانه لحد كتابة رسالته الي، وقد ذكر فيها أنه يوافيني بكل ما يطبع من الديوان للاطلاع عليه اذا قبلت كتابة التصدير، ولعله قد أيقن الآن أنني أبيت ما طلب الي وأنني غبي سيء الطبع لدرجة أن أرفض طلبه الرقيق الرفيق بهاته الصورة المخلة بكرامة الأدب وذويه ولا أقابل عواطفه إلا بهذا الاعراض والسكوت المرذول! قد يكون ظنه مثل ذلك الآن فانه لا يمكنه ادراك ما ذكرته لك آنفاً. وقد لا يكون ظنه ذاك. ولكنني على كل حال كتبت له اليوم رسالة اعتذرت فيها بصورة الواقع.

وقد طلب الي في الرسالة إعلامه بعنوانك الخاص حتى يوجه إليك « أبولو » وقد فعلت ولعلك أنت من طرفك تعيد كتابة القسم الضائع من دراستك القيمة عن « الرومانتيسم » وتكتب اليهم غيره من الدراسات والأبحاث وتوافيهم بعنوانك أيضاً. وان كنت قد قمت بهذا الواجب الأخير.

لعلك رأيت في الصحف أنني قررت العزم على طبع ديواني وفتحت باب الاشتراك. وأنني لمذنب كل الذنب اذ لم أكتب اليك بهذا العزم قبل أن يعلم به الناس. وعساك لا تكون قد أضمرت لي شيئا من التأنيب عن ذلك فلا يكون هو الذي دعاك الى السكوت عن مراسلتي كل هاته المدة كأن قلبينا لا يخفقان بأصدق عواطف الاخاء الصادق.

يصلك مع هذا، المقتطع به عدد عشرة وصلات أرجو أن تستعين أنت والأخ سيدي الطيب السكيك والأخ الدبابي على ترويجها بين منزل بوزلفى وبني خلاد ونيانو. ولكم الشكر. وأحسب ان ترويج مثل هذا المقدار في هاته الجهات الثلاث لا يكلفكم عناء كبيراً. وتصلك مع هذا رسالة إلى الأخ السكيك وأخرى إلى الأخ الدبابي أرجوك تسليمها اليهما.

كاتبني سريعاً بما عندك من أخبار وأعمال أدبية وبما قررته مع « أبولو » في القسم الضائع وغيره وبجواب الأخوين فيما يتعلق بالاعانة على التشريك وبمناسبة ضياع قسم دراستك أذكر لك أنه ضاع لهم أيضاً قصيد لي عنوانه: « من أغاني الرعاة » والغريب أنه ليس لي منه نظير صحيح وأنه هو القصيد الوحيد الذي وجّهتـه إليهم قبل أن آخذ منه نسخة صحيحة.

وأخيراً سلامي إليك. أخوك.

أبو القاسم الشابي

حاشية:

الأخ البشروش كلفني بأن أقرئك سلامه وأن أقول لك أنه يطلب

اليك أن توجه اليه رسالته حول أدب الأطفال لأنه بحاجة اليها. واحسب أنه سيكتب اليك قريباً.

أما الآن فانه غريق في عمل يعمله - وسلام عليك.

أبو القاسم الشابي

الرسالة السابعة والعشرون

توزر الشابية ١٣٥٢/٨/٤(*)

أخي العزيز،
تحية وسلاماً،

وبعد، فقد اتصلت برسالتك وأنه ليسرني ما ذكرت فيها من أنك ستتبع دراستك عن الرومانتيسم بتحليل أعلامه وزعمائه، واننا لما تكتب لمنتظرون.

وأظن أنني سأوجه اليوم أو غداً المقدمة لديوان «الينبوع» وهي في نحو خمس عشرة صحيفة من الحجم الكبير. وقد تناولت فيها البحث في الأدب العربي المعاصر ثم تناولت شعر أبي شادي بكلمة صغيرة تحريت فيها الصدق والحق بدون تحيز له أو عليه.

كما أني سأوجه لأبولو معها قصيدين لي ودراسة عن الخيام وقطعة من الشعر المنثور للأخ البشروش.

ويصلك مع هذا متطعان أحدهما به تسعة وصولات والآخر به عشرة لبني خلاد ومدرسة الترشيح - أما القيروان فقد كلفت فيها ثلاثة أفراد هم: سي التابعي الأحمر وسي ابراهيم بن سالم وسي الشاذلي عطاء الله وكلفت كلا منهم بمقتطع

(*) ٢٢ نوفمبر ١٩٣٣.

ذي عشرة وصولات وقد أنجز الأخ عطاء الله المقتطع الموجه اليه وأرسله الى صحبة رسالة فياضة بأدبه الرائع وخلقه الكريم ـ ولا أكتمك يا صديقي أنني ندمت على تكليفك بترويج المقتطع فقد جشم نفسه في سبيل ذلك أن جعل لنفسه أربعة اشتراكات ووزع ستة على بقية رفقائه وهو عمل وان دل على طيب عنصر واخلاص متناه، إلا أنني لا يسرني أن يتجشم أخواني كل ذلك في سبيل معاضدتي وتشجيعي ـ ليس لدي ما أكتبه لك الآن ـ وقد كتبت هذا على عجل فكان خلطا لا غير ـ أرجوك أن تحيي عني الصديق السكيك والسيد الدبابي وكل من لاذ بكم من اخوان.

وسلام عليك.

أبو القاسم الشابي

ملاحظة:

اتصلت برسالتك الأولى أيضاً، ووجهت لك اثرها «أبو شادي في الميزان» ولاحظت لك عنها في كلمة مع الكتاب فلعله وصلك. ولعلك ستوجه صورتك مع دراساتك الى «أبولو» فقد طلبوها منك. راسلني ما استطعت ـ فما أعظم شوقي الى حديثك

أخوك

الشابي

الرسالة الثامنة والعشرون

توزر: الشابية ٨/١٢/٣٣

أخي،

تحية وسلاماً،

وبعد، فقد طال انتظاري لرسالة منك تجلو عن النفس ما بها من ملال وتخفف عن القلب بعض ما بنوء به من تكاليف الحياة المتعاقبة في غير انقطاع فما موجب هذا يا صديقي وعلام تضن على أخيك بما يسره ولا يكلفك عناء أو حربا.

لعلك قد شغلك عنا ما أنت قائم به من تحرير دراسة المذهب الرومنتيكي وزعمائه اذا كان ذلك فاني ليثلج صدري مثل هذا العمل الجليل الذي أنت قائم به ولكني أحسب ان كتابة كلمة من أحاديث نفسك وتوجيهها إلي من حين لآخر لا يكلفك جهدا ولا يأخذ من وقتك كثيراً لو عزمت.

وجهت لك اليوم صندوقاً من الدقلة على طريق البريد فتقبله هنيئا مريئا ولا تنس أن تعرفني بوصوله حتى أطمئن.

أقول «حتى أطمئن» لأن القدر هاته السنة ـ فيما أرى ـ لا يريد أن يسلك معي إلا سياسة المعاكسة والعناد وكيف يكون يا صديقي حال من يتعمد القدر معاكسته؟.. ذلك أني قد ضاع لي «باقاج» أتيت به من الحاضرة قيمته تزيد على سبعمائة فرنك. ونسيت كتبا بالحاضرة من بينها ديواني الشعري. أي نعم، ديواني الشعري! فأرسلت في طلب توجيه ما ذكر من نحو شهر ولكن القدر قد أبى ذلك رغم ما بذلت من جهد والحاح في المطالبة بالتوجيه.

واخيرا خبرت منذ أيام تسعة أنه وجه الي على طريق البريد مضمون الوصول. ولكن رغم ذلك فقد مضت تسعة أيام ولم أتصل بأي خبر عنه.

فأعجب يا صديقي أو لا تعجب لهاته الأعاجيب المتعاقبة، ولو حدثتك عن كل ما يملأ نفسي وما يطيف بي من هاته المعاكسات في توزر هنا وفي مجاز (الباب) وفي الحاضرة وغيرها لملأت صفحات. ولكني أكتفي بأن أقول انه لم يمر علي مثل هذا العام في كثرة الهموم والشواغل التي لا تعقب إلا الألم والعذاب ووفرة الغم والكمد.

لست أدري هل أحسنت صنعاً أو أسأته حين كتبت اليك ما كتبت مما يمضّ نفسي ويرضي قلبي ولكني أدري أنها نفثة نفثتها وان كانت لا تصف لك من سخرية القدر بي الا جزءاً من مائة جزء. وأخيراً؟ لا أدري ما أكتب اليك بعد هذا الخلط المتدافع وانما أختصر وأقول سلام عليك من أخيك الذي ينتظر أن ينسى في أحاديث نفسك بعض هموم الحياة.

أبو القاسم الشابي

على الهامش:

لا أدري هل يصل اليك الكتاب والصندوق أم لا؟ فقد أصبحت لكثرة ما لقيت من عناد الأيام أعتقد ان كل ما يصدر عني أو يرد الي مقضى عليه بالضياع. والا فهل ثمت ما أغرب من ضياع الديوان وهو مضمون الوصول. ثم ضياعه في هاته المدة التي أوزع فيها اشتراكاته؟؟ أسأل الله ان لا يضيع. وإلا فقد ضاع من حياتي جانبها الحي الذي أحب....

الرسالة التاسعة والعشرون

توزر : الشابية ١٩/١٢/٣٣

أخي
تحية وشوقاً

وبعد، فقد اتصلت برسالتيك، وانها لسعادة روحية تلك التي أستمتع فيها بنجوى روحك وعقلك معا. واني لأستزيدك من هاته السعادة وأسألك أن لا تحرم أخاك منها من حين لآخر فإنني في كثير من الأحيان حينما تطغى على نفسي كآبة الملل المبهم فأصدف عن الكتب والناس ويوصد قلبي عن جمال الوجود ـ كثيراً ما أرجع الى مجموعة رسائلك أتلوها فأجد فيها من صور نفسك الحية الواعية ما يذهب عني سآمة القلب وينسيني جمود الأسى.

أكثرت يا صديقي في رسالتك من اطرائي والاعجاب بمواهبي التي لا أراها قد خلقت شيئاً مذكورا ـ واني أسألك أن تعفيني من مثل ذلك فانني لأنوء بحمله وان سكوتك عن هذا لا ينقص شيئا من هاته الحقيقة الخالدة وهي أننا قلبان متجاوبان بالمحبة والعطف والاعجاب والمطامح. وان كنت لا أنكر أن رسائلك تلك كثيراً ما شحذت من قريحتي وخففت من نقمتي على نفسي وسخطي عليها سخطا يؤدي بي أحياناً الى أن أعتزم هجرة الأدب والشعر اللذين لا أراني بلغت فيهما ما تطمح أشواقي إليه.



أما « دي فيني » فإذا أردت أن تكون مخلصا للحق والفن والتاريخ فاكتب عنه كما برأه الله الذي ينقم هو عليه ويلعنه لا كما تريد هاته الحشرات الآدمية التي بلينا في تونس أن نحسب حسابها في كل شيء بدل أن ندوسها بأقدامنا ونمضي الى غاياتنا البعيدة في قمم الجبال.

نعم أكتب عنه كما هو غير حاسب لغير الحقيقة حساباً واذا كانت نفس « دي فيني » ثائرة متمردة ساخطة ناقمة من الله ما في وجوده هذا من بؤس وألم وعذاب واضطراب، فهل تكتب عنها كأنها روح صوفية متعبدة مستغرقة في تملي جمال العالم والاندماج بروح الله السارية فيه؟ أم هل تظهره للناس في مظهر من يولي الحياة ظهره غير مقبل الا على لذة نفسه ومتعة قلبه لا يسأل نفسه عن سر الوجود ولا غايته ولا ما قبله ولا ما وراءه؟ أم في أي صورة أخرى من صور النفس تريد أن تظهره ارضاء لهاته الطائفة الغبية العمياء التي تمشي في هذا العالم الحي المغري على التفكير والاحساس وكأنها تمشي في جب مظلم لا حس فيه ولا حياة؟. أكتب الحق خالصاً لوجه الحق والى أعماق الجحيم بهاته الأنصاب البشرية الزائفة؟.

ومثل هذا أقول لك عن بيتك الجميل الرائع :

حـــاملا كـــالالـــه قلبـــا كبيـــراً   فيـه مـا فـي الوجـود مـن أكـــوان

ان الفنان يا صديقي لا ينبغي أن يصغي لغير ذلك الصوت القوي العميق الداوي في أعماق قلبه ـ أما إذا أصغى إلى الناس وما يقولون وسار في هاتـه الدنيـا بأقدامهم ورآها بأبصارهم وأصغى اليها بآذانهم فقد كفر بالفن وخان رسالة الحياة.

ولو شئت ان أسوق لك الأبيات التي لي غرار بيتك هذا في التشبيه بالاله والآلهة لأكثرت وخرج بي القلم عن غايته ولكنك سترى ذلك في الديوان ان شاء الله. وانني لأعمق إيماننا بالله من كل أحد حينما أعبر بهاته التعابير الكافرة في نظر أولائك الناس. فالألوهية وما تصرف منها هي رمز للمثل العليا التي نصبو اليها بأرواحنا ونشخص اليها بأبصارنا في هاته الحياة ولذلك فإذا أردنا ان نعبر عن معنى نحس له بجلال المثل الأعلى وسموه فانما سبيلنا في ذلك ان نفرغ عليه رداء الألوهية التي هي ما تتصوره الإنسانية من جمال المثل الأعلى وجلاله. وهذا كلام قد لا يفهمه أولئك الناس، أما انه كفر في نظرهم فهذا ما لا يقبل شكاً

ولا ريباً. ولكن الى الجحيم بهم! ـ كما قلت ـ ولنعمل لفننا بإخلاص ولنمثل دورنا في رواية الحياة غير حافلين بأفواج النظارة فان الممثل اذا وضع باله اليهم لخليق ان يضطرب عليه دوره ويخسر فنه. وبعد هذا فاني لا أريد أن أكتمك اعجابي ببيتك ذلك وما فيه من قوة ادراك وعمق نظر وسمو تفكير، وأضيف الى هذا أنك ببيتك هذا قد عبرت عن معنى حاولت انا ان أعبر عن بعضه في سبعة أبيات من قصيدة تحدثت فيها عن قلب الشاعر بلسان «مجنون» فلم أوفق الى ما وفقت اليه من الدقة والقوة والسمو واليك الأبيات السخيفة التي كثيراً ما حاولت تمزيقها أو حرقها ولعلي لا أتردد بعد الآن في تمزيقها وبقية القصيد والقائها للرياح العابرة:

كل ما هب وما دب وما ... نام أو حام على هذا الوجود
من طيور وزهور وشذى ... وينابيع، وأغصان تميد
وبحار وصحار وذرى ... وبراكين ووديان وبيد
وثلوج وضباب عابر ... وأعاصير وأمطار تجود
وفصول تملأ الدنيا سنا ... وظلالا وحياة وهمود
وأحاسيس ودين ورؤى ... وتعاليم ولهو ونشيد
كلها تحيا بقلبي حرة ... غضة السحر كأطفال الخلود

لا أرى في بيتك ما يوجب الاصلاح فإن «كبيرا» تؤدي المعنى تماما وان كنت لا أنكر أنها أقل مما يشعرك المعنى من رحابة الأفق واتساعه ولعل وصف القلب هنا بـ«رحيب» أليق قليلا وان كنت لا أجزم بهذا الترجيح. نسيت أن أذكر لك اني اتصلت بالديوان وقد تبين انه ملقى بفرع البريد من نحو ثلاثة عشر يوما وأنا أتعذب أثناءها أمر العذاب وأحره، والغريب أني كامل تلك المدة أسأل فرع البريد فلا أجاب بغير النفي المطلق.

ولكني على كل حال قد ربحت في تلك الأزمة النفسية التي مرت بي قصيداً هو «نشيد الجبار» فإني في ليلة من ليالي هاته الأزمة النفسية المرهقة ولعلها ليلة

كتبت لك رسالتي الأخيرة نمت معذب النفس مهموم القلب ثم استيقظت نحو الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فلجت بي الآلام وضربت بي في كل سبيل حتى لقد كاد رأسي ينفجر وأحسست أني لا بد مشرف على الجنـون لـو دام بـي ذلـك الحال الى الصباح وتطورت نفسي في غمرة الألم فبعد ان كانت معذبة باكية في ظلمة أحزانها تكاد تجن من الأسى انقلبت ثائرة هائجة واثقة من نفسها ساخرة بالقدر والداء والأعداء وكل آلام الحياة. وتحت تأثير هاته الحالة النفسية نظمت « نشيد الجبار » فذابت آلام نفسي وشعرت بالحرية والانطلاق كأنما ألقيت عن منكبي عبئاً ثقيلا يهد القوى وقد نظمتها في تلك الليلة ولكن نفسي لم تنهض للكتابة ولو كلمة منها. وفي نحو الفجر نمت مرتاح النفس مطمئنا وأفقت من الغد فلم أجدني قد نسيت منها كلمة واحدة فكتبتها ولم أزد عليها إلا نحو بيت أو بيتين وبعض تنقيحات رأيتها لا بد منها وبهاته المناسبة فإني أقول لك أني لا زلت كالماضي أشعر في صميم نفسي بأن الأقدار تحاربني وهي سخافة على كل حال.. ولكنني أؤمن في قرارة نفسي بها وإنما الفرق بيني وبين نفسي الأولى اني كنت أتقبل آلام الحياة وأتحسس أشواكها بنفس ضارعة وقلب دامع باك، أما الآن فإنني ألقاها ببسمة الساخر ونظرة الحالم المنتشي بجمال الوجود. وقد أحسست ببداية هذا التطور لما اصطفت بعين دراهم، ولعل جمال الطبيعة هناك قد كان له الأثر الأكبر في تلوين نفسي بهذا اللون الجديد، كما أن مصيفي هذا العام وما رأيت من صور الطبيعة الرائعة قد أكمل هذا التطور ونماه. أما الآن فإني أشعر بانقلاب عميق قوي في نفسي كل القوة، وستدرك هذا التطور في نفسي حينما تطلع على قصائدي الجديدة وقد عبرت عن هذا الانقلاب الروحي بقصيد « الصباح الجديد » الذي أرسلته الى « أبولو » وقصيد « نشيد الجبار » هو صورة صادقة لنفسي في طورها الحاضر الجديد.

أما أبو شادي فيما كتبت عنه فقد حاولت ان أكون صادقاً جهدي لا أداريه ولا أغمطه وقد تحدثت عن أسلوبه بأعظم ما يمكنني من الصراحة في مقدمة

تكتب لديوانه ـ وستطلع عليها فترى أنني لم أجامل ولم أدار وانما أنصفت حسب ما يقتضي المقام ولست أدري من أين لك «أنني كتبت عنه معجباً»؟ والحقيقة أنني كنت لا أستطيع أن أتم قصيداً لأبي شادي ولكنني رضت نفسي على أن أتابعه حتى ألفته فتبين لي أن الرجل في صميمه شاعر حساس يمتاز بروحانية صوفية في نظرته الى الوجود، ولكن الذي أسقط من قيمة أدبه شيئان:

١) انه متعجل مكثار لا يصبر على التجويد الذي هو عمل لا بد منه للفنان المتسامي.

٢) ان صوره الشعرية لا تبدو واضحة كاملة في شعره بحيث ترغمك على تذوقها واستمتاعها وذكراها بل انها لتبدو ملتاثة غائمة سريعة كل السرعة كأنها صور شريط سينمائي يدار بسرعة جنونية، وهذا السبب الذي ينأى بالناس عن تذوق شعره وادراك ما فيه من صور شعرية واحساسات عميقة تدل على نفس حية واعية، ولذلك فشعره يبدو فاتراً ـ في كثير من الأحيان ـ لا يسيطر عليك ويرغمك على أن تتبعه مسحوراً دهشاً. وما أشبه شعره في نظري بتلك المرأة الجميلة التي يعجبك جمالها ولكن لا تستفزك أنوثتها القاهرة وسحرها الغالب ولعلك لو رضت نفسك على تلاوة شعره لأدركت منه ما أدركت. ذلك مجمل رأيي في الرجل وأنك لتدرك بالبداهة انه لا يمكنني أن أقول هذا القول وبهاته الطريقة في مقدمة تكتب لديوانه.



استعرت من بعض الرفقاء بالحاضرة رواية روسية اسمها «ابن الطبيعة» ترجمها المازني وهي رواية عالية وأني أرى المازني قد تأثر بها في ابراهيم الكاتب تأثراً واضحاً عظيماً تتفق فيه في كثير من الأحيان الحوادث والصور وحتى التعابير أيضاً.

وقد عجبت لقولك انك سترجىء كلمتك عن شعري الى ما بعد صدور

الديوان؟ فهل نسيت اننا اتفقنا على أن تترك كتابة مقدمته لك؟ أما أنا فإنني لم أنس ذلك وقد سئلت في تونس وغيرها عمن سيكتب المقدمة فأعلمتهم بأن كاتبها سيكون الحليوي واني حينما أتم نسخ الديوان سأوجهه اليك لتكتب مقدمته. أما الآن فإني أنتخب القصائد التي سأنشرها فيه وأجمع تواريخها لأرتبها على حسبها وإن قسماً كبيراً مما نشر لي لا أريد نشره لأنني أراه لا أهمية له؛ أما في روحه أو في أسلوبه، ولأنني أرى فيه سذاجة كسذاجة الأطفال أبتسم لها الآن وأعجب لنفسي كيف سولت لي نشره في حينه. ولكن هي الأيام...

ودم لأخيك المخلص الذي لا ينساك.

ولك تحيات البشروش.

أبو القاسم الشابي

الرسالة الثلاثون

الشابية ٤/٣/٣٤(*)

أخي العزيز،

تحية وسلاماً

وبعد، فقد كنت أود أن أتحدث اليك عن مقالك الذي كتبته عن «لامرتين» ذلك المقال الساحر الجميل الذي قد كنت فيه شاعراً يتكلم عن الشعر في أعماق معانيه وأسمى آفاقه وأجمل تعابيره والذي قد زادني اعجاباً بمواهبك السامية وحباً لقلبك الحي ونفسك الحساسة الواعية. واننا في انتظار الحديث عن بقية الأعلام الرومانتيكيين. نعم كنت أود أن أتحدث اليك عن هذا ولكن ورد علي

(*) انظر في الملحق الرسالة رقم ١٥.

وأنا أفكر في ذلك من السيد بلغيث الدبابي مكتوب أخبرني فيه آسفاً مندهشاً: أنه اتصل من أخيه بما يفيد أنه وقعت نقلتك الى قربة. وقد استغربت هذا الحادث المفاجىء الذي لم نكن نتوقعه ولعلك أنت أيضاً ما كنت تتوقعه أو تتهيأ له وإلا لأخبرتنا به من قبل، فما موجب هاته النقلة؟ وهل هي بطلب منك؟ وهل أنت مسرور بها؟ وما هي حالتك النفسية ازاء هذا؟ أنني في لهفة وتشوف الى الاتصال بجوابك فان كانت تسرك زال عني ما أشعر به من ألم وما يخالجني من هواجش وشكوك.

اليوم أخبر البشروش بهذا لأنه لم يعلم بهذا الخبر فقد كان عندي يوم الجمعة الفائتة ولم يحادثني عن هذا الشأن مع أن ذكراك كانت معنا واعتذر اليك إذا لم أكاتبك من قبل فإنني ما زلت مريضاً وان كانت شدة المرض قد زايلتني أما ضعفي ففي منتهاه وقد زادني ضعفاً ملازمتي للمنزل وعدم مفارقتي إياه الى الخارج لفساد الطقس في الجريد في هذا العام فقد اشتدت فيه البرودة لدرجة لم تكن تتوقع.

أما مرضي فهو مرضي المعهود والسبب الذي أدى الى انتفاضه علي هو أني أصبت ببرد شديد وأنا بالغابة أقوم بإتمام بعض الشؤون أما الطبيب فلم أعرض عليه نفسي ولا قابلته أصلا لأن طبيب هاته الناحية جاهل جداً وقد خشيت أن تكون معالجته سبباً في زيادة الداء.

واني أحيانا أفكر في الذهاب الى الحاضرة ولكني الآن أرجو أن أتعافى ولا أحتاج الى ذلك وتحمل عناء السفر في هذا البرد الشديد الذي كان سبباً في اطالة المرض. والسلام.

الرسالة الواحدة والثلاثون

حامة توزر ٣٤/٤/٢٤

عزيزي الأخ.

تحية عاطرة.

ما أشوقني يا أخي اليك وإلى أحاديثك وإلى خطرات قلبك وأصوات نفسك. ولكنك قد أردت أن تحرمني حتى هاته المتعة الصغيرة التي هي كل ما سمح به القدر لي من متع الحياة.

لا أعتقد أنك نسيت أخاك وما أحسب الا ظلال الخمول والسآمة هي التي صرفتك عن مراسلة أخيك وصدفت بك عن تذكار أخوانك الذين لا تفارقهم ذكراك.

سامحك الله يا صديقي وغفر لك. وذلك كل ما أقوله لك كيفما كانت نفسك وخواطرك في هاته الساعة، وعساك لا تضن علي بعد الآن بما أنا اليه جد مشوق.

اني الآن من نحو شهر أقيم بالحامة بقصد تبديل الهواء والاستشفاء وأشعر الآن أنني أحسن قليلا من قبل. ولست أدري ما سيكون المستقبل معي. وتحياتي إليك.

أبو القاسم الشابي

الرسالة الثانية والثلاثون

حامة الجريد: على طريق دقاش في جوان ١٩٣٤

عزيزي الأخ الحبيب.

أحييك وأعتذر اليك، فانني والله لم يقعد بي عن الكتابة اليك فتور في الود أو ضعف في الادكار ولكنه خمول الحياة السائمة وملل الصحة الواهية وحرارة الجو التي لا تزيد هذين إلا فسادا. ولعمرك انه لا يمر علي يوم إلا وقد اعتزمت فيه الكتابة اليك ثم نفضت يدي من ذلك العزم وأخلدت للخمول الأليم.

هنا عمـل واحد أقوم به مساء كل يوم ذلك العمل هو نسخ الديوان بصورة واضحة لأقدمه الى الطبع في مصر! ولكن لا تعجب يا صديقي فانني لم يدفعني الى القيام بهذا العمل وموالاته إلا صديق هنا وجدت منه عونا لي في العمل ودافعاً ملحّاً اليه، ولولا انه يقدم الي كل مساء ليملي علي ما أنسخ ولولا أن في قدومه كل مساء من مكان غير قريب جبرا الي على العمل لما استطعت أن أعمل شيئاً ولظلت الأيام تنمو وتذوي وتتلاشى حوالي وأنا أمني النفس بالعمل ولا أعمل.

وقد صادف أنني اتصلت برسالة «الحوار» التي حررتها أنت والأخ البشروش ـ وان كنت تريد أن تدعوه «السيد» ـ وأنا أعمل في الديوان فحركت من نفسي شجوناً لم تكن ساكنة وأيقظت خواطر ما كانت نائمة، ولكن ما عسى أن يصنع الطائر الذي نفته صروف الحياة عن سربه الحبيب؟ يبكي ويسخط ثم يستسلم راضيا أو ناقماً لإرادة الأقدار وكذلك كانت نفسي اذ ذاك يا صديقي.

أما مصيفي بالقيروان فهو غاية ما أصبو اليه ولكني أظنني لا أستطيع تنفيذه فإنني الآن شبه معتزم الاصطياف هنا ولكنني في كثير من الأحيان أفكر في زيارة الحاضرة في منتصف أو أواخر جويليه خصوصاً وقد بلغني أنه ورد عليها طبيب ايطالي اخصائي في أمراض القلب. وعلى كل فإنني لا بد أن أزورك إذا ما ذهبت إلى الحاضرة.

وعلى ذكر « الديوان » فإنني أقول لك إنني نادم كل الندم على إعلاني عن طبعه وتكوين الاشتراكات فيه، فقد خبت كل الخيبة من هاته الناحية ولم يجبني من أصدقائي ومعارفي الذين كلفتهم بالترويج للاشتراكات إلا القليل النادر والأقل الأندر هو الذي أخرج بعض التواصيل وأرجع البعض. نعم يا صديقي فقد ندمت كثيراً ولكن ماذا أصنع بعد أن وعدت الناس بطبعه وقبضت بعض الاشتراكات؟ لا أستطيع أن أرجع في وعدي فتحق عليَّ كلمة « كاذب » وهي شر ما يوصف به المرء، فلم يبق إلا أن أضحي... وإنني الآن يا صديقي أضحي في سبيل نسخ الديوان بما بقي من صحتي الواهية وسأطبع من مالي الخاص وأرهق نفسي في سبيل ذلك ما لا أستطيع وما لو أنفقته على صحتي لعاد عليّ ببعض الفائدة. أجل سأضحي بذلك أيضاً بعد أن ضحيت بالصحة ضحيت من قبل بمتع الشباب وراحة العقل وهدوء الأعصاب وبذلك تكمل التضحية ويتم ثالوثها الأقدس المخضب بالدماء.

وبعد فما عساني أقول إليك؟ إن فكري متعب وأعصابي مكدودة ونفسي ملولة ضجرة وحرارة الجو المختنق تزيد النفس والأعصاب سآمة وإرهاقاً ولعلك تدرك هذا من كتابتي المتخاذلة وانشائي هذا الفاتر السخيف، ولكن رغم ذلك ما عساني أقوله لك؟ إنني أريد أن أتحدث إليك في أمر أكيد نسيته ـ فما هو؟ سأترك القلم لحظة لأمسح جبيني المندى بالعرق وأوقظ ذاكرتي بتملي جمال الصحراء الذي يمتد أمامي، إنه جمال ساهم محموم، ولقد يخيل إليّ أحياناً أنه يفكر في ما وراء هذا العالم الصاخب الموار... في معاين الفناء والموت والظلام... ولقد يبلغ بي الوهم أحياناً أن أحسبه نفساً شاعرة مسلولة، تناجي في حمى السقام أحلامها الحزينة الصامتة الموشحة بأردية الموت... ما هذا؟ ثرثرة متعبة وهذيان أليم.

والآن لقد تذكرت: فانني أريد أن أقول لك اذا أتممت نسخ الديوان فهل أرسله اليك لتكتب مقدمته أم لا؟ لقد كنت تعهدت بهذا وطلبته الي في العام الماضي والذي قبله، وحاولت التخلص أو اظهار التخلص منه في هذا العام ـ فما هو رأيك الأخير الصريح الآن؟. ودعنا بربك من تواضع الشرقيين وأحاديثهم

التشريفاتية. أما رأيي أنا فإنني أوثر كلمة منك على ما يكتبه عني أبو شادي، لأنك تعرفِ عن نفسي وعاداتي وأطواري النفسية والجسمية ما لا يعرفه، وبذلك تكون موفقاً في فهمي وفهم شعري أكثر منه، هذا بقطع النظر عن أسلوبك وأدبك الذي تعرف رأيي فيه.

وانني أنتظر جوابك بصراحة تامة عن هاته النقطة بالخصوص وقد أرسلت أبا شادي بعد ان عينت له مقدار ما سيكون في الديوان من الشعر، وبعد أن ذكرت له أنني أريد ان يكون ورقه من نوع ورق « ذكرى جوت » للعقاد وطلبت منه بيان السعر وها انا ذا لا زلت انتظر الجواب. لم أتصل « باليبنبوع » ولست أعلم ما موجب هذا وكذلك لم أتصل بعدد ماي من « أبولو » ولذا فرجائي اليك ان توجه الي النسخة التي جاءتك من « الينبوع » وبادر بإرسالها الي الى الحامة.

أما المقتطعات التي كنت أرسلتها اليك وكلفت بها بعض معارفك فاذا تؤمل زيادة الرواج فيها فأبقها عند أصحابها الى حين، واذا كان لا أمل لك في زيادته فأرجعها الي الى الحامة أيضاً والمجنون من يحرق نفسه بخوراً أمام هـذا الإله الغبي الجاهل الذي يسمى: الشعب التونسي، وأنا ذلك المجنون يا صديقي.

حسبي ما كتبت وإن كنت أود المزيد والى اللقاء شخصياً أو كتابياً وأنني انتظر جوابك السريع وديوان الينبوع وسلام عليك من أخيك المخلص:

أبو القاسم الشابي

الرسالة الثالثة والثلاثون

حامة الجريد : « على طريق دقاش » ٣٤/٧

عزيزي الأخ الحليوي حفظه الله.
تحية وشوقاً.

وبعد، فلعل رسالتي هاته تصل اليك وأنت تعد العدة لاتمام زفافك الميمون والذي يؤلم قلبي أن تصدني الأقدار عن حضور حفلته بعد اعتزامي ذلك. فقد كنت من قبل مجمعاً أمري على زيارة العاصمة في العشر الأواخر من هذا الشهر. وجاءتني رسالتك مبشرة بقرب زفافك فأيقنت أنني لا بد أن أشاركك في حضور حفلة أنسك كما شاركتك من قبل في تذوق آلام نفسك. ولكن القدر الذي يأبى إلا أن يكون لي عدواً حرداً قد أبى علي هاته وقدر ما لم يكن في الحساب فقد أصيبت زوجتي بمرض أنساني مرضي الذي كنت أفكر في علاجه وإنني الآن مهموم النفس موزع اللب مستطار الشعور مقسم القلب بين دائي القديم ونصفي السقيم، ولست أدري ماذا وراء غدي المحجوب من ويلات الخطوب وبذلك أجلت سفري مكرها ولست أدري متى أعتزمه.

عفوا يا صديقي اذا كنت أحدثك بآلامي في رسالة بدئت بالحديث عن زفافك المنظور؟ اندفعت الى ذلك عن غير وعي ولا تفكير ولكنها حاجة القلب المتسرع الى التنفيس عنه.

أما الأخ البشروش فانه أعلمني بأنه أيضا قد كتب له عقد النكاح في هاته المدة الفارطة فعساه يكون عليه سعيداً.

وقد راسلت أبا شادي في شأن قصيدك ومقالك وفي شأن قصيدي « نشيد الجبار » وثلاث قطع شعرية أخرى وفي طلب بيان تقدير قيمة طبع الديوان ولكنني لم أتصل منه بشيء رغم أنه قد مضى على ذلك أكثر من شهر وعشرة أيام! كما

أنني لم أتصل بالعدد التاسع والعاشر من هاته السنة. ولم أفهم موجبا لهذا. وقد أعدت اليه المراسلة في شأن طبع الديوان وتقدير ثمنه في مكتوب مضمون الوصول دفعا لوهم الضياع. وها انذا لا زلت منتظرا جوابه.

أرجوك أن تراسلني يا صديقي فان نفسي مترعة بآلامها عن مسليات الحياة موصدة حتى عند تذوق جمال هذا الوجود فراسلني وعرفني عن الوقت الذي ستعقد فيه حفلة زفافك فأقاسمك سرورك على البعد اذا أبت الأيام أن يكون ذلك على القرب.

وسلامي اليك والى الأخ الفاضل الأديب السيد الشاذلي عطاء الله وسائر الأخوان الفضلاء.

أخوك: **أبو القاسم الشابي**

(قد اتصلت بالينبوع فشكرا).

الرسالة الرابعة والثلاثون

حامة الجريد ١٢/٨/٣٤

أخي
تحية عاطرة

وبعد، فقد سرني انك نقلت الى مركز «رادس» ذلك المركز الجميل الذي كنت أسمع منك ان آمالك انتهت عنده، وانك لا تعتزم إلا ان تسمح لك الأيام بأن تبني فيه منزلك وتستقر فكأن الزمان قد أخذ يركن الى المهادنة ويتيح الفرص فما عليك إلا أن تهتبل الفرص السانحة.

واني أهنيك وأسأل الله أن يجعله عليك مركزاً ميموناً مباركاً على روحك

وقلبك وصحتك الغالية. وإنني إذا كنت اعتذر لك بيني وبين نفسي عن خمول الأمس بسأم الوحدة وجمود القرى فإنني لا أجد لك عذراً بعد اليوم وأنت في رادس ذات الجمال الساحر والمركز الذي لا ينقطع دواره والعـاصمـة منـك قـاب قوسين ومرمى السهم.

أما أنا فانني اليوم ـ بحول الله ـ أفارق الحامة راجعاً الى توزر التي طال عنها غيابي من نحو ما يزيد على أربعة أشهر. وأنني لأحمد الله أني أتيت منها سقيماً متعبا موهون القوى لا أملك في نفسي عضوا تعييني الخطوات اليسيرة وارجع اليها معافى بعض العافية.

وأحسب أن قدومي على الحاضرة سيكون في أواخر هذا الشهر «أوت» وقد كتب الي الأخ البشروش أنه انتقل أيضاً الى مركز الكريب وهو مركز لا أعرفه ولكن البشروش مسرور به لقربه من العاصمة ولأنه سيكون هو الوحيد بالمكتب الذي يوجد فه مسكن للمعلم الوحيد.

ليس لدي الآن ما أكتبه اليك غير هذا أو لعل ذهني لا يستطيع أن يملي غير هذا وهو مشغول بأمر السفر ومعداته.

والسلام عليك. أخوك:

أبو القاسم الشابي

ملاحظة:

كنت في أوائل الشتاء الفارط راسلت السيد إبراهيم بن سالم وأرسلت له مقتطعاً طالباً منه ترويج ما أمكن منه وقد قدم في الشتاء ووعدني بأن يعمل بعد رجوعه. كما كاتب االسيد... بمقتطع أيضاً ولكنه لم يجبني إذ ذاك بحرف وبما أنني الآن أجمع الحساب لتقديم الديوان الى الطبع فقد راسلتهما طالبا منهما الجواب ولكن عبثا كان ذلك ـ ولذا فالرجاء ان تقابلهما وتستطلع منهما طلعة الأمر فان كان

هناك شيء فليراسلاني به والا فتسلم المقتطعين وأرسلهما الي وعرفني بجوابهما. والسلام.

أخوك: **الشابي**



ملحق :

مصادر ومراجع لدراسة الشابّيّ



ـ أ ـ

- **آثار الشابّي**. أبو القاسم محمد كرو.
- **آراء حول الشابيّ**. دار المغرب العربيّ. تونس.
- **أبو القاسم الشابيّ. نظرة في شعره عامّة**. حسن محمد محمود (مصر). ضمن كتاب «دراسات عن الشابيّ».
- **أبو القاسم الشابّي. حياته، وأدبه**. زين العابدين السنوسيّ. تونس، ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م.
- **أبو القاسم الشابيّ، شاعر الحبّ والثورة**. رجاء النقاش.
- **أبو القاسم كما يجب أن يقال عنه**. البشير الفورتي (تونس). ضمن كتاب «دراسات عن الشابيّ».
- **أبو القاسم الشاعر**. محمد بدرة (تونس). ضمن كتاب «دراسات عن الشابيّ».
- **الاتجاهات الأدبيّة في العالم العربيّ الحديث**. أنيس المقدسي. **الحلقة الثانية والعشرون**، والثالثة والعشرون من سلسلة العلوم الشرقيّة **للجامعة الأميركية في بيروت**، **الجزء الأول** بلا تاريخ، الجزء الثاني سنة ١٩٥٢.

- **الأدب التونسيّ في القرن الرابع عشر الهجريّ**. زين العابدين السنوسيّ، ط ١، ١٣٤٦ هـ.
- **الأديب**. مجلة شهريَّة، بيروت.
- **الأسبوع**. مجلّة أسبوعيّة جامعة حرّة. تونس.
- **أغاني الحياة**. ديوان الشاعر.
- **الأمالي**: مجلة أسبوعيّة تبحث في الثقافة، بيروت.

- ب -

- **بين الشابيّ والتيجاني**. عبد المجيد عابدين (تونس). ضمن كتاب «دراسات عن الشابّي».

- ت -

- **التقرير والإيحاء في شعر الشابّي**. مصطفى بدوي، (مصر). ضمن كتاب «دراسات عن الشابّي».

- ج -

- **الحركة الأدبيّة والفكريّة في تونس**. محمد الفاضل بن عاشور. القاهرة، ١٩٥٦ م.
- **حياة أبي القاسم الشّابيّ**. ابراهيم بورقعة (تونس). ضمن كتاب «دراسات عن الشابّي».

- خ -

- **الخيال الشعريّ عند العرب**. شوقي أبو شقرا (لبنان). ضمن كتاب «دراسات عن الشابّي».

- د -

- دراسات عن الشابيّ. أبو القاسم محمد كرو. دار المغرب العربيّ، تونس، ط ١ ، ١٩٦٦ م.
- دفاع عن الشابيّ. دار المغرب العربيّ.

- ذ -

- ذكرى الشابيّ. مجموعة من الأدباء.

- ر -

- رسائل الشابّي. محمد الحليوى. دار المغرب العربي، تونس، ط ١ ، ١٩٦٦ م.
- الرسالة. مجلة أسبوعيّة، القاهرة.
- الروائع لشعراء الجيل. محمد فهمي، ج ١ ، لجنة التأليف والترجمة الحديثة، القاهرة، بلا تاريخ.

- ش -

- الشابي حياته وشعره. أبو القاسم محمد كرّو، منشورات المكتبة العلميّة، بيروت، ١٩٥٢ م.
- الشابي روح ثائرة. محمد مندور (مصر). ضمن كتاب «دراسات عن الشابيّ».
- الشابي شاعر الحبّ والحياة. عمر فرّوخ. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠ م.
- الشابي شاعر الخضراء. حمدي محمد عبد الوهاب. الدار القومية للطباعة والنشر، تونس.

- الشابي وتجربة الفجر البعيد. الشاذلي القليبي (تونس). ضمن كتاب « دراسات عن الشابيّ ».
- الشابي وجبران. خليفة محمد التليسي. دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٥٧ م، ط ٢، ١٩٦٧ م.
- الشابي وهذه الحياة. عبد الله شريط (الجزائر). ضمن كتاب « دراسات عن الشابي ».
- شاعر وشعب، أبو القاسم الشابي. نعمات أحمد فؤاد. القاهرة، ١٩٥٨ م.
- الشاعران المتشابهان. الشابي والتيجاني. أبو القاسم محمد بدوي، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩ م.
- شاعران معاصران: إبراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي. عمر فروخ. المكتبة العلميّة، بيروت، ١٩٥٤ م.
- الشعب في شعر أبي القاسم. محمد العروسي المطوي (تونس). ضمن كتاب « دراسات عن الشابي ».

- ع -

- العوامل الفعّالة في الأدب العربيّ. أنيس المقدسي. الحلقة الخامسة عشرة من سلسلة العلوم الشرقيّة للجامعة الأميركية في بيروت، القاهرة، ١٩٤٩ م.

- ف -

- الفكر. مجلة ثقافية، تونس.
- فنّ الشابّيّ. نظمي خليل (مصر). ضمن كتاب « دراسات عن الشابي ».
- في ذكرى ميلاد الشّابّيّ. الهادي العبيدي (تونس). ضمن كتاب « دراسات عن الشابي ».

- ك -

- **كفاح الشابّي** . أبو القاسم محمد كرو ، بيروت، ١٩٥٤ م.
- **كيف ندرس الشابي**. محمد فريد غازي (تونس). ضمن كتاب « دراسات عن الشابي ».

- م -

- **ما يجب نحو الشابي** . أبو القاسم محمد كرو (تونس). ضمن كتاب « دراسات عن الشابي ».
- **محاولة جعل إطار لترجمة الشابي**. عامر غديرة. مجلة الفكر، تونس، ديسمبر، ١٩٥٩ م. وضمن كتاب « دراسات عن الشابي ».
- **مرض أبي القاسم الشابي**. محمد فريد غازي. مجلة فكر، تونس، ديسمبر، ١٩٥٩ م.
- **مصادر الشابي** . أبو القاسم محمد كرو. دار المغرب العربي، تونس.
- **مقالات عن الشابي** . أبو القاسم محمد كرو. دار المغرب العربي، تونس.
- **المكشوف**، مجلة أسبوعية، بيروت.
- **مع الشابي** . محمد الحليوى، تونس، ١٩٥٥ م.
- **ميلاد الشابيّ**. أبو القاسم محمد كرو (تونس). ضمن كتاب « دراسات عن الشابي ».

- ن -

- **النبيّ المجهول** . مصطفى حبيب بحري. دار المغرب العربي، تونس.
- **نفس الشابي** . محمد البشروش (تونس). ضمن كتاب « دراسات عن الشابي ».

- هـ -

- **الهلال** . مجلة شهرية، القاهرة.



الفهارس

١ ـ فهرس القوافي .

٢ ـ فهرس المحتويات .



١ ـ فهرس القوافي

(قافية الرّاء)

(قافية السين)

٢ - فهرس المحتويات